Agatha Christie

أجاثا كريستي

اجاثا كريستي & كتاب رواية



السيانيد الساطع

السيانيد الساطع

أجاثا كريستى





للتعرف على فروعنا في
المملكة العربية السعودية – قطر – الكويت – الإمارات العربية المتحدة
نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت www.jarirbookstore.com
للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: jbpublications@jarirbookstore.com

الطبعة الأولى ٢٠١٠

المملكة العربية السعودية ص.ب. ٣١٩٦ الرياض ١١٤٧١ – تليفون ٤٦٢٦٠٠٠ ١ ٩٦٦+ – فاكس ٤٦٥٦٣٦٣ ١ ٩٦٦+

Sparkling Cyanide

Agatha Christie



تُعرف أجاثا كريستى فى كل أنحاء العالم باسم "ملكة الغموض"، ولقد حققت مبيعات كتبها ما يربو على مليار نسخة باللغة الإنجليزية إضافة إلى مليار نسخة أخرى ترجمت إلى مائة لغة أجنبية وهى تعد أكثر كاتبة نُشرت لها كتب على مر العصور على مستوى كل اللغات، ولم يفُقها فى المبيعات إلا كتب شكسبير، وقد قامت بتأليف ثمانين كتابًا، ما بين روايات ومجموعات من القصص القصيرة فى الجريمة، كما قامت بتأليف تسع عشرة مسرحية، وست روايات تحت اسم مارى ويستماكوت.

ولقد كتبت أجاثا كريستى روايتها الأولى "السر الغامض فى ستايلز" قرب نهاية الحرب العالمية الأولى، والتى كانت تعمل خلالها فى الجيش كممرضة. وقد قامت فى هذه الرواية بابتكار شخصية هيركيول بوارو، ذلك المحقق البلجيكى ضئيل الجسم الذى صار أشهر محقق فى روايات الجرائم بعد شيرلوك هولمز، وقد نشرت الرواية أخيرًا بواسطة دار نشر Bodley Head فى عام 1920.

وفى عام 1926، وبعد أن اعتادت تأليف رواية واحدة كل عام، قامت أجاثا كريستى بتأليف روايتها العظيمة "من الذى قتل السيد روجر أكرويد؟"، تلك الرواية التى كانت أول رواية تنشرها لها دار النشر Collins والتى أسست علاقة ربطت بين الكاتبة والناشر دامت لخمسين عامًا ونتج عنها ما يزيد على سبعين رواية، كما كانت رواية "من الذى قتل السيد روجر أكرويد؟" هى أولى رواياتها التى يتم تمثيلها مسرحيًا ـ تحت عنوان Alibi ـ واستمر عرضها بنجاح على مسرح " ويست إند" فى "لندن" لمدة طويلة، وقد تم افتتاح مسرحية "مصيدة الفئران" ـ أشهر مسرحياتها على الإطلاق ـ فى عام 1952، وهى المسرحية المعروفة بكونها صاحبة أطول فترة عرض فى التاريخ.

وقد منحت أجاثا كريستى لقب "فارسة صاحبة مقام رفيع" فى عام 1971، وتوفيت فى عام 1976. ومنذ ذلك الحين ظهرت عدة مؤلفات لها منها تلك الرواية التى حققت أعلى المبيعات Sleeping Murder وظهرت لاحقًا فى نفس عام وفاتها. بعد ذلك نُشِرَت السيرة الذاتية لها، ثم مجموعة القصص القصيرة Problem at Pollensa Bay و Miss Marple's Final Cases و While the Light Lasts، وفى عام 1998 تم تحويل أول مسرحية لها وهى Black Coffee إلى رواية بواسطة مؤلف آخر هو "تشارلز أوزبورن".

الكتاب الأول

روزماری

"ما الذی يمكننی فعله لأتخلص من تلك الذكريات؟".

الفصل الأول

إيريس مارل

1

كانت إيريس مارل تفكر فى أختها روزمارى.

لقد حاولت عامدة منذ ما يقارب العام أن تبتعد عن التفكير فى روزمارى؛ فلم تكن ترغب فى تلك الذكرى.

إن استحضار ذكراها مؤلم للغاية ومرعب لأقصى حد!

كان الوجه مزرقاً، والأصابع متيبسة للغاية...

كان التناقض واسعًا بين ذلك المشهد و منظر روزمارى السعيد المبتهج قبلها... حسناً، ربما لم تكن مبتهجة تماماً؛ فقد كانت مصابة بالإنفلونزا – الأمر الذى جعلها مكتئبة وحزينة... لقد ورد كل هذا فى التحقيق. إيريس نفسها أكدت ذلك فى التحقيق. وقد أفلح كحجة فى تبرير انتحار روزمارى أو أن هذا ما جرى.

وما إن انتهى التحقيق، حتى حاولت إيريس عامدة أن تلقى بكل شيء بعيداً عن ذهنها. فما الذى تنفع به الذكرى؟ فلتنس الأمر برمته وفظاعته.

لكنها أدركت الآن أن عليها أن تتذكر. عليها أن تمعن التفكير فى الماضى... كى تتذكر بعناية كل حدث مهما بدا تافهاً أو غير مهم...

إن تلك المقابلة غير العادية مع جورج ليلة أمس توجب عليها استذكار الأمر.

لقد كانت مقابلة غير متوقعة، ومخيفة جداً. مهلاً – هل كانت غير متوقعة بحق؟

ألم تكن هناك أية دلائل مسبقة؟ إن استغراق جورج فى أفكاره وشرود ذهنه وتصرفاته غير محسوبة – بل وغرابته وهى الوصف الأنسب لحاله! – قادت كلها إلى تلك اللحظة عندما طلبها جورج إلى مكتبه وأخرج الخطابات من درج المكتب.

فلا مناص إذن من الذكرى الآن، إنها مضطرة للتفكير فى روزمارى – كى تتذكر.

روزمارى – أختها...

وفى ذهول، أدركت إيريس أنها ولأول مرة فى حياتها تفكر فى روزمارى. تفكر فيها بشكل موضوعى كشخص ارتبطت به زمناً.

لقد كانت دوماً تتقبل روزمارى دون تفكير فى شخصها. إن المرء لا يفكر فى أمه أو أبيه أو أخته أو عمته. فهم موجودون وحسب، ودون نقاش، فى حياتك.

إنك لا تفكر فيهم كأشخاص. ولا تسأل نفسك كيف يبدون.

فكيف كانت روزمارى؟

قد يكون هذا تساؤلاً مهماً جداً الآن. وقد ينبنى عليه الكثير. فأسلمت إيريس عقلها للماضى، وتذكرت طفولتها هى وروزمارى معاً...

كانت روزمارى أكبر بستة أعوام.

2

تدفقت لمحات من الماضى – فى ومضات موجزة – ومشاهد قصيرة، فها هى طفلة صغيرة تأكل الخبز وتشرب اللبن، وروزمارى، ذات الضفائر الطويلة، جلست تذاكر دروسها على إحدى الطاولات.

وها هما على شاطئ البحر ذات صيف - وإيريس تحسد روزمارى التى أضحت "فتاة كبيرة" تستطيع السباحة!

ثم تذكرت التحاق روزمارى بالمدرسة الداخلية - حيث لا تأتى البيت إلا فى الإجازات. وتذكرت ذهابها هى إلى المدرسة، فى حين "أنهت" روزمارى دراستها فى باريس وتذكرت أن روزمارى أيام الدراسة كانت ممتلئة الجسم تماماً، ضخمة الذراعين والساقين. وحين أنهت دراستها، عادت روزمارى من باريس فى تأنق غريب ومثير، مع صوت رقيق، وكياسة، وقوام أنثوى ممشوق، وشعر كستنائى، ورموش كبيرة سوداء، وعينين زرقاوين داكنتين، كانت مخلوقة جميلة - ناضجة - وكأنما جاءت من عالم آخر!

منذ ذلك الحين كانت لقاءاتهما ببعضهما تقل، وقد ازداد فارق السنوات الست اتساعًا.

كانت إيريس لاتزال فى المدرسة، بينما بلغت روزمارى قمة "نضجها". وحتى عندما أتت إيريس للمكوث معها فى المنزل ظلت الفجوة بينهما كما هى. كانت حياة روزماى تسير على نمط من ينامون لساعات متأخرة، ثم تتناول الغداء مع نظيراتها ممن بدأن لتوهن حياتهن الاجتماعية، ثم الرقص فى معظم أمسيات الأسبوع، أما إيريس فكانت تمكث فى غرفة الدراسة مع المربية الفرنسية، ثم السير فى المتنزه، ثم العشاء فى التاسعة مساءً، ثم النوم فى العاشرة. إن العلاقة بين الأختين قد انكمشت فى حدود حوارات من قبيل:

"مرحباً إيريس. اطلبى سيارة أجرة لى؛ فلدىّ موعد مع أحد الأقران وقد تأخرت كثيراً"، أو:

"روزمارى، لا تعجبنى هذه العباءة. إنها لاتناسبك، ففيها الكثير من البهرجة".

ثم تمت خطوبة روزمارى إلى جورج بارتون؛ حيث الإثارة، وجولات التسوق، وسيل من الهدايا، وفساتين الزفاف.

ثم كان الزفاف. حيث سارت خلف روزمارى فى ممر دار العبادة وسمعت الهمسات:

"يا لها من عروس جميل...".

لماذا تزوجت روزمارى ب. جورج؟ فحتى تلك اللحظة، كانت إيريس مندهشة بشدة، فهناك العديد من الشباب الرائعين الذين يحيطون ب. روزمارى ويخرجون معها، فلماذا اختارت جورج بارتون الذى يكبرها بخمس عشرة سنة، والذى كان لطيفاً حانياً، لكنه كئيب بلا شك؟

كان جورج ميسور الحال، لكن النقود لم تكن غرض روزمارى. فلديها مالها الخاص والكثير.

أموال العم بول...

عصرت إيريس ذهنها كى تفرق بين ما عرفته الآن وما كانت تعرفة حينها عن العم بول.

لم يكن بول عماً فعلياً، وكانت تعلم ذلك. لقد كانت على دراية ببعض الحقائق حتى دون أن يخبرها أحد. لقد كان بول بينيت يحب والدتهما. إلا أنها فضلت عليه رجلاً آخر أفقر منه. وقد تلقى بول بينيت هزيمته هذه بروح الفرسان، فظل صديقاً للعائلة، واتخذ حبه منحى أفلاطونياً عذرياً. وهكذا أصبح العم بول، الأب الروحى للطفلة الأولى، روزمارى. وحين مات وجدوا أنه ترك ثروته كلها لابنته تلك، والتى كانت حينها فى الثالثة عشرة من عمرها.

لقد أضيف إلى جمال روزمارى الثراء بالتوريث. وقد تزوجت من جورج بارتون الرجل الطيب الكئيب.

لكن لماذا؟ تساءلت إيريس حينها. ولا زالت تتساءل حتى الآن فهى لا تصدق أن روزمارى أحبته أصلاً. إلا أنها كانت تبدو سعيدة معه ومغرمة به. نعم مغرمة به فعلاً. لقد تهيأت لـ إيريس الفرصة كى تدرك هذا، فبعد عام من الزواج، توفيت أمهما الحبيبة الرقيقة فيولا مارل، وذهبت إيريس ذات السبعة عشر ربيعاً لتعيش مع روزمارى وزوجها.

كانت فتاة فى السابعة عشرة من العمر. لقد تأملت إيريس صورتها فى تلك السن. كيف كان شكلها؟ كيف كان إحساسها، تفكيرها، نظرتها للأمور؟

وقد وصلت لمحصلة مفادها أنها كانت فى الصغر بطيئة النمو، بليدة التفكير، تقبل الأوضاع على علاتها، تُرى هل استاءت مثلاً، من اهتمام أمها السابق بـ روزمارى؟ الإجابة عموماً هى أنها كانت لا تعتقد ذلك، فقد تقبلت، بلا تردد، حقيقة أن روزمارى هى الأهم. فقد كانت روزمارى خارج البيت معظم الوقت، فكان طبيعياً أن تكون الشغل الأكبر لأمها بالقدر الذى تسمح به صحة الأم. كان هذا طبيعياً بالنسبة لها. وكانت ترى أن دورها سوف يأتى يوماً ما. لقد كانت فيولا مارل دائماً أمًّا منعزلة، منشغلة أغلب الوقت بصحتها وتاركة أبناءها للمربيات، والممرضات، والمدارس، لكنها كانت رائعة المعشر فى اللحظات العابرة التى كانت تقضيها معهم. وحين توفى هيكتور مارل، كانت إيريس فى الخامسة من العمر. وحقيقة إدمانه الشراب تسربت إليها فى غموض شديد حتى إنها لم يكن لديها أدنى فكرة من أين أتتها تلك الحقيقة.

إن إيريس مارل ذات السبعة عشر عاماً كانت تتقبل الحياة كما هى، فقد احتدت على أمها على نحو رتيب، وارتدت الملابس السوداء، وانتقلت للعيش مع

أختها وزوج أختها فى بيتهما فى الفاستون سكوير.

فى بعض الأحيان كانت الكآبة تسود هذا البيت. فلم تخرج، فعلياً، حتى انتهى العام. وفى الوقت نفسه كانت تتلقى دروساً فى اللغة الفرنسية والألمانية ثلاث مرات فى الأسبوع، وتحضر دروساً فى التدبير المنزلى، إلا أنها كانت تصادف أوقات فراغ لا تفعل فيها شيئاً ولا تكلم أحداً. وكان جورج عطوفاً، حانياً، وأخاً فى تعامله. ولم تتغير معاملته لها أبدًا، فكانت ولا تزال كما هى.

وماذا عن روزمارى؟ إن إيريس لم تر من روزمارى إلا القليل، فـ روزمارى كانت بالخارج أغلب الوقت، ما بين مواعيد الخيَّاطات، وحفلات الكوكتيل، ولعب الورق...

ما الذى تدريه فعلاً عن روزمارى حين تفكر بها؟ ما الذى تدريه عن ميولها، عن آمالها، عن مخاوفها؟ إن من المفزع حقاً أن تكتشف مدى ضآلة ما تعلمه عن شخص عشت معه فى ذات المنزل دهراً طويلاً، فقد كان بين الأختين القليل من الألفة أو بالأحرى لم يكن بينهما أية ألفة على الإطلاق.

لكن عليها أن تفكر الآن، عليها أن تتذكر. فربما يكون ما تتذكره مهماً.

ولا ريب أن روزمارى كانت تبدو سعيدة بما فيه الكفاية...

3

حدث ذلك قبل الحادث بأسبوع.

لم تنس إيريس ذلك اليوم قط، فهو ماثل أمامها فى وضوح تام - بكل تفاصيله، وكلماته حيث تذكر طاولة الخشب الماهوجنى اللامعة، والكرسى المدفوع، والكتابة ذات الخط المتعجل المميز...

أغلقت إيريس عينيها واسترجعت المشهد...

ها هى تدخل غرفة جلوس روزمارى، لتقف فجأة.

لقد روعها ما رأت! فقد كانت روزمارى جالسة على طاولة الكتابة، ورأسها مستلقٍ على ذراعها الممدودة، كانت روزماى تبكى بنش.يج شديد - إن إيريس لم تر روزماوى تبكى من قبل - وقد أفزعها ذلك النحيب القاسى العنيف.

صحيح أن روزمارى كانت تعانى من إنفلونزا شديدة. وكانت فى فراشها حتى قبل يومين. ومن المعلوم للجميع أن الإنفلونزا تصيب مريضها ببعض الاكتئاب.

بصوت طفولى، صرخت إيريس فى ذهول:

"أوه، روزمارى، ماذا جرى؟".

اعتدلت روزمارى، وأزاحت شعرها عن وجهها، وحاولت أن تستعيد سيطرتها على أعصابها. وقالت فى سرعة:

"لا شىء - لاشىء - لا تحملقى إلىَّ هكذا!".

ثم نهضت ومرت بجانب أختها، وخرجت من الغرفة.

وفى حيرة وغضب، توغلت إيريس داخل الغرفة. جالت عيناها بطاولة الكتابة، ووقع بصرها على اسمها الذى كتبته أختها. فهل كانت روزمارى تكتب لها رسالة؟

اقتربت أكثر، ونظرت إلى الورقة الزرقاء وما عليها من عبارات كتبت بحروف ممطوطة، كانت ممطوطة أكثر من المعتاد لعجلة واضطراب من كتبتها.

عزيزتى إيريس،

ليس هناك داعٍ لكتابة أية وصية؛ لأن مالى يذهب إليك مباشرة على أية حال، لكنى أحب أن تمنحى أغراضًا بعينها لأشخاص بأعينهم.

فيُمنح جورج المجوهرات التى أهدانى إياها، وكذلك علبة المجوهرات الصغيرة الملونة التى اشتريناها خلال خطبتنا.

وتُمنح جلوريا كينج علبة السجائر البلاتينية.

وتُمنح مايسى، حصانى الفخارى الذى طالما أعجبت به.

توقفت الكتابة عند هذه النقطة بسحبة عنيفة من القلم كما لو أن روزمارى قد اختطتها لتنهار جانباً فى بكاء لا تستطيع منعه.

تسمرت إيريس فى مكانها وكأنها حجر.

ما الذى يعنيه هذا؟ إن روزمارى غير موشكة على الموت، أم أنها كذلك؟ لقد كانت مصابة بإنفلونزا شديدة، لكنها تحسنت الآن. وعلى أية حال، لا يموت الناس بسبب الإنفلونزا وإن حدث، فلن تكون روزمارى منهم. فإنها قد تحسنت على نحو كبير، ولم تعد تعانى سوى من وهن وإعياء.

مررت إيريس عينيها على الكلمات مرة أخرى، وفى هذه المرة استوقفتها عبارة ذات أثر:

"... فمالى سينتقل إليك على أية حال...".

كانت تلك أول إشارة تأتيها عن بنود وصية بول بينيت. فقد كانت تعلم منذ كانت صغيرة أن روزمارى قد ورثت أموال العم بول، وأن روزمارى تعد لهذا ثرية بينما هى فقيرة بالمقارنة بها. لكن حتى تلك اللحظة لم تسأل نفسها عن مصير هذه الأموال فى حال وفاة روزمارى.

ولو أنها سئلت عن ذلك، لردت بأن المفترض أن تئول إلى جورج زوج روزمارى، لكنها كانت لتضيف بأنه من السخف التفكير فى موت روزمارى قبل جورج!

لكن هذا ما ظهر، وبشكل واضح، وبخط يد روزمارى. فبموت روزمارى يئول المال لـ إيريس. ولكن هذا ليس قانونياً بالتأكيد؟ فالزوج يرث الزوجة والعكس، وليس الأخت. بالطبع إلا إذا كان بول بينيت قد أوصى بذلك فى وصيته. نعم، لابد أن الأمر كذلك. لابد أن العم بول قرر أن تذهب الأموال إليها فى حال موت روزمارى وهذا يجعل الأمر أقل ظلماً.

ظلماً؟ ذهلت حين قفزت تلك الكلمة إلى أفكارها. هل كانت تعتقد أن من الظلم أن تذهب كل أموال العم بول إلى روزمارى؟ لقد افترضت فى مكنون ذاتها أن شعورها بالغبن طبيعى، لقد كان وضعاً غير عادل. فهى وروزمارى أختان، وبنتان لأم واحدة. فلماذا يعطى العم بول الثروة كلها إلى روزمارى؟

لقد كانت روزمارى تحصل دائماً على كل شىء!

فهى تحظى بالحفلات والفساتين وشباب يحبونها وزوج متيم بها.

الشىء الوحيد غير السار الذى أصاب روزمارى كان إصابتها بالإنفلونزا! وحتى هذه لم تدم معها أكثر من أسبوع!

وقفت إيريس فى تردد إلى جانب المنضدة تنظر إلى تلك الورقة – أيعقل أن تكون روزمارى راغبة فى أن تتركها هكذا كى يراها الخدم؟

وبعد لحظات من ترددها، التقطت الورقة وطوتها، ووضعتها فى أحد أدراج المكتب.

وقد وجد فى هذا المكان فى يوم حفلة عيد الميلاد القاتلة، وقد وفر وجود الورقة

دليلاً إضافياً، إن كان للدليل من ضرورة، على أن روزمارى عانت اكتئابا وتعاسة بعد مرضها، ومن الممكن أن تكون قد فكرت فى الانتحار حينها.

الإحباط بعد الإنفلونزا. كان هذا هو دافع الانتحار الذى استقر عليه التحقيق، وهو الدافع الذى ساعدت شهادة إيريس على إيجاده. ربما لا يكون دافعاً كافياً، لكنه هو الوحيد المتاح حالياً، وبناء على ذلك تم قبوله. لقد كانت الإنفلونزا فى هذا العام من النوع العنيف.

ولم يكن يمكن لـ جورج أو إيريس أن يجدا دافعاً آخر – حينها.

أما الآن، وبالتفكير فى حادث علية المنزل، فقد تعجبت إيريس كيف كانت عمياء جداً حين وقع ما وقع.

لابد أن كل شيء كان يحدث تحت ناظريها! ولكنها لم تر أى شيء، ولم تلاحظ أى شيء!

ارتد عقلها سريعاً إلى مأساة يوم حفلة عيد الميلاد. لا داعى للتفكير فى ذلك! فقد انتهى الأمر بما فيه. لكن لندع جانباً ما كان من فزع، وما جرى من تحقيق، وما كان من رجفة فى وجه جورج واحتقان فى عينيه، ولنذهب مباشرة إلى حادث الصندوق بعلية المنزل.

4

كان ذلك بعد مرور ستة أشهر تقريباً على وفاة روزمارى.

كانت إيريس قد استمرت فى العيش بالمنزل فى الفاستون سكوير. وبعد الجنازة، كان محامى عائلة مارل، وهو رجل لطيف ذو رأس أصلع لامع ونظرة ثاقبة حادة على موعد مع إيريس حيث شرح لها بوضوح تام ما ورد فى وصية بول بينيت؛ حيث ترث روزمارى تركته على أن تئول إلى من تنجبهم من أطفال حال وفاتها. فإذا ماتت دون إنجاب، فإن التركة جميعها تئول إلى إيريس على الفور، وحسب ما أوضحه المحامى، فإن الثروة طائلة وسوف تئول إليها بمجرد وصولها إلى سن الحادية والعشرين أو عند زواجها.

فى ذلك الحين، كان أول ما ينبغى الاستقرار عليه هو مكان إقامتها. وقد أبدى السيد جورج بارتون قلقه من أن تستمر إيريس فى حياتها معه بمفردها، واقترح استقدام عمتها، السيدة دراك، التى كانت فقيرة الحال وتحتاج إلى رعاية مالية من أحد أبناء العائلة، لتقيم معهما فى البيت وتكون رفيقة إيريس فى المجتمع. فهل وافقت إيريس على هذه الخطة؟

كان لدى إيريس رغبة عارمة لذلك، وكانت ممتنة لعدم اضطرارها لوضع خطة جديدة بنفسها. لقد تذكرت بالفعل العمة لوسيلا فهى "نعجة" ودودة محبة ولا ترغب فى الكثير.

وهكذا استقر الأمر. كان جورج بارتون سعيداً لاستمرار أخت زوجته بالعيش معه فى المنزل وعاملها بمحبة وكأنها أخته الصغرى، أما السيدة دراك فلم تكن بالرفيق المثير، لكنها كانت طيعة دوماً لرغبات إيريس. وهكذا استقر البيت على خير ومحبة.

بعد مرور ستة أشهر أخرى، اكتشفت إيريس أمر علية المنزل.

كانت علية منزل الفاستون سكوير تستعمل كغرف لتخزين بقايا الأثاث، وصناديق الملابس، وحقائب السفر.

ذات مرة فى أحد الأيام، صعدت إليها إيريس بعد رحلة بحث فاشلة عن كنزة صوفية حمراء قديمة كانت تحب ارتداءها. فقد ترجاها جورج ألا ترتدى ملابس الحداد على روزمارى، فقد كانت روزمارى تعارض تلك الفكرة على طول الخط، حسب قوله. وكانت إيريس تعلم ذلك، ولذا فإنها اقتنعت واستمرت فى ارتداء الملابس العادية، رغم تحفظ لوسيلا دراك، والتى كانت محافظة ومحبة لما تسميه بمراعاة "قواعد الاحتشام". وكانت السيدة دراك لا تزال ترتدى ثوب الحداد على زوجها الذى توفى منذ عشرين عاماً.

كانت إيريس تعلم أن العديد من الملابس التى أهملت قد وضعت فى صناديق بالطابق الثانى. فبدأت بالبحث فيها عن الكنزة الصوفية الخاصة بها، مارة أثناء ذلك بالكثير من الأمتعة الخاصة، فوجدت معطفاً رمادياً وتنورة وكومة من الجوارب، وأدوات التزلج الخاصة بها، وواحدًا أو اثنين من أثواب السباحة القديمة.

فى تلك الأثناء قادتها المصادفة لعباءة كانت تخص روزمارى وكانت قد اختفت على نحو ما وتم التخلص منها مع باقى متعلقات روزمارى. وكانت عباءة من الحرير المنقط بجيوب واسعة وأقرب فى تصميمها إلى هندام الرجال.

فحصتها إيريس، فوجدتها بحالة جيدة. ثم طوتها بعناية وأعادتها إلى صندوق الملابس. وأثناء ذلك، أحست يداها بطقطقة شىء فى أحد الجيوب، فوضعت يدها وسحبت قطعة مغضَّنة من الورق. كانت الورقة بخط روزمارى، ففردتها وأخذت فى قراءتها:

عزيزى نمر، لا ريب عندى أنك لا تعنى ذلك... هذا غير ممكن - غير ممكن... فكلانا يحب الآخر! وكلانا ينتمى إلى الآخر! ولا ريب أنك تعرف ذلك كما أعرفه! وليس من الممكن أن نودع بعضنا ثم يمضى كل منا فى حياته ببرود. أنت تعلم أن هذا مستحيل - محال تماماً. إن كلينا يمتلك الآخر وللأبد. إننى لست امرأة تقليدية - ولا أبالى بما يقوله الناس. إن الحب بالنسبة لى أهم من أى شىء آخر. سوف نبتعد عن هنا معاً. وسنكون سعداء معاً - بل إننى سأجعلك رجلاً سعيداً. لقد قلت لى ذات مرة إن الحياة بدونى كالموت بالنسبة لك - هل تذكر عزيزى نمر؟ والآن ها أنت تكتب لى فى هدوء لتخبرنى أنه من الأفضل أن ينتهى هذا كله - لأن فى هذا خيرًا لى. أى خير هذا؟ إننى لا أستطيع العيش بدونك! أنا حقاً مستاءة من أجل جورج - فقد كان دوماً لطيفاً معى - لكنه سوف يتفهم الأمر. وسوف يقبل بأن يمنحنى حريتى. إنه من غير الصائب أن يعيش اثنان معاً فى حين لم يعد أى منهما يحب الآخر. لقد خلق الله كلا منا للآخر، أنا على يقين من ذلك. إننا سنحظى بالسعادة الكبرى - لكن علينا أن نتحلى بالشجاعة. فلابد لى من أن أخبر جورج بنفسى - أود أن أكون هادئة وصريحة فى الأمر برمته - ولكن ليس قبل عيد ميلادى.

عزيزى نمر - أنا على يقين من أننى أفعل الصواب، فأنا لا أستطيع العيش بدونك - لا أستطيع، لا أستطيع - لا أستطيع. كم أنا غبية لأكتب كل ذلك. فسطران كان ليفيا بالغرض. "أحبك. ولن أدعك ترحل عنى". وا حبيباه.

انقطع الخطاب عند هذا الحد.

وقفت إيريس بلا حراك تحملق إليه.

يالضآلة ما تعرفه الأخت عن أختها!

لقد كان لـ روزمارى حبيب إذن - تكتب له خطابات الحب - وخططت

للهرب معه؟

ما الذى جرى إذن؟ إن روزمارى لم ترسل بالخطاب فى نهاية الأمر. فما الخطاب الذى أرسلته إذن؟ ما الذى تقرر بالنهاية بين روزمارى وحبيبها المجهول؟

"نمر"! يا لها من خيالات غريبة تلك التى تواتى من يقعون فى الغرام. سخيفة جداً تلك التسمية.

لكن من كان هذا الرجل؟ هل كان يحب روزمارى كثيراً كما كانت تحبه؟ لابد أنه كان كذلك، فـ روزمارى كانت محبة بطريقة غير عادية. وحتى الآن، ووفقاً لخطاب روزمارى، فإنه اقترح "إنهاء العلاقة"، ماذا كان يعنى ذلك؟ هل كان يعنى تحذيراً؟ لقد قال بوضوح إن الانفصال كان لمصلحة روزمارى. لقد كان ذلك عادلاً لها. صحيح، لكن ألا يقول الرجال ذلك لحفظ ماء وجوههم؟ ألا يعنى ذلك أن الرجل، أياً كانت شخصيته، قد سئم الأمر برمته؟ ربما كان الأمر بالنسبة له نزوة عابرة. ربما لم يكن يعر الأمر اهتماماً بالأساس. على نحو ما، راود إيريس انطباع بأن الحبيب المجهول كان مصراً على إنهاء العلاقة مع روزمارى...

لكن روزمارى فكرت على نحو مختلف، فهى لم تكن تحسب للعواقب حساباً. لقد كانت مصرة هى الأخرى...

ارتجفت إيريس.

إنها لم تعلم أى شىء عن هذا الموضوع! إنها حتى لم تخمن مجرد حدوثه! فقد كانت ترى روزمارى سعيدة وراضية مع جورج وأن كلًا منهما قانع تماماً بالآخر. يا لها من عمياء! العمى فقط هو ما يحول بينها وبين معرفة كل هذا عن أختها.

لكن من كان ذلك الرجل؟

عادت بذهنها إلى الماضى، تفكر، وتتذكر. لقد كان هناك العديد من الرجال الذين أعجبوا ب. روزمارى وكانوا يخرجون معها ويتصلون بها. ولم يكن من بينهم شخص مميز. لكن لابد أنه أحدهم - وأن بقية المجموعة كانت مجرد تمويه لشخصه، إنه الوحيد الذى كان مهماً بالنسبة لها. قطبت إيريس جبينها فى حيرة وهى تفرز كل ذكرياتها بعناية.

اسمان فقط استوقفاها. لابد أنه أحدهما. ستيفن فارادای؟ لابد أنه كان ستيفن فارادای، ماذا رأت فيه روزمارى؟ إنه شاب عنيف مغرور - ولم يكن هو الآخر صغير السن. وبالطبع كان الناس يقولون عنه إنه ذكى. إنه سياسى صاعد، فهو على وشك أن يصبح وكيل وزارة، وخلفه كل مراكز القوة والنفوذ فى كيدمينستر. وربما يصبح رئيس وزراء فى المستقبل! أيكون هذا ما أعطاه البريق فى عينى روزمارى؟ فهى بالتأكيد لم تكن لتهتم بشخصه - فهو مخلوق بارد الحس. لكنهم قالوا إن زوجته كانت تحبه حباً شديداً، لذا فقد تغلبت على كل العوائق التى وضعتها عائلتها لمنع هذا الزواج - وهو لم يكن سوى شخص يملك طموحاً سياسياً! فإذا أحست إحدى النساء تجاهه بالحب، فلربما أحسته أخرى. نعم، إنه هو بالتأكيد، ستيفن فارادای.

وإن لم يكن ستيفن فارادای، فلابد أنه أنطونى براون.

ولم تكن إيريس ترغب فى أن يكون ذلك الحبيب هو أنطونى براون.

صحيح، أنه كان طوع أمر روزمارى، وفى انتظار إشارة أو دعوة منها، وكان وجهه الوسيم الداكن يعبر عن يأس ساخر. لكن تكريس نفسه لها كان واضحاً للغاية، ويشى بأنه مظهر لشعور حب أعمق.

لكن من الغريب أمر اختفائه بعد موت روزمارى، فلم يره أحد من حينها.

لكنه ليس أمراً غريباً تماماً – فهو رجل اعتاد السفر كثيراً. فقد كان يتحدث كثيراً عن الأرجنتين وكندا وأوغندا والولايات المتحدة الأمريكية. كانت تعتقد أنه أمريكى أو كندى، على الرغم من أنها لم تلحظ أية لهجة غريبة فى حديثه. كلا، لم يكن غريباً أبداً عدم ظهوره منذ ذلك الحين.

لقد كانت روزمارى صديقته. ولم يكن هناك من داع بعد وفاتها كى يأتى ويزور الآخرين. لقد كان صديقاً لـ روزمارى، ولكنه لم يكن حبيباً لها! لم تكن إيريس تريده حبيباً لـ روزمارى، فذلك قد يكون مؤلماً – قد يكون مؤلماً لدرجة كبيرة...

أمعنت النظر فى الخطاب الذى بين يديها. غضنته مرة أخرى. وهمت أن تتخلص منه، أو تحرقه...

لكن ثمة نداء داخلياً أوقفها عن فعل ذلك.

فقد يصبح إعلان وجود هذا الخطاب أمراً ذا بال يوماً ما...

سوَّته مرة أخرى، وأخذته معها إلى أسفل ووضعته فى صندوق المجوهرات الخاص بها وأغلقته.

فقد تظهر له أهمية يومًا ما فى توضيح سبب انتحار روزمارى.

5

"وما التالى من فضلك؟".

اخترقت تلك العبارة السخيفة عقل إيريس وحولت وجهها ليرسم ابتسامة ساخرة. ويبدو أن سؤال صاحب المحل العفوى مثّل تماما ما كان يدور فى ذهنها من أفكار.

أليس هذا ما كانت تحاول أن تفعله بالضبط من خلال مسح الماضى الذى تقوم به؟ لقد تعاملت مع الاكتشاف المفاجئ الذى وجدته فى علية المنزل. والآن – على نهج عبارة: "وما التالى من فضلك؟"، ما الخطوة التالية؟

الخطوة التالية بالتأكيد السلوك الغريب المتزايد من جورج، والذى بدأ منذ مدة طويلة. إن بعض الأمور الصغيرة التى كانت تحيرها، أصبحت واضحة فى ضوء المقابلة الغريبة التى جرت الليلة الماضية. إن بعض الملاحظات والأحداث غير المترابطة قد استقرت فى مكانها المناسب من سياق الأحداث.

كما كان كذلك ظهور أنطونى براون ثانية. نعم، ربما ينبغى وضع هذا الحدث تالياً فى سياق الأحداث حيث إنه قد حصل بعد اكتشافها للخطاب بأسبوع.

لم تستطع إيريس استعادة التحكم فى مشاعرها...

لقد ماتت روزمارى فى نوفمبر. وفى مايو التالى، انخرطت إيريس، تحت رعاية لوسيلا دراك، فى الحياة الاجتماعية كفتاة شابة. فبدأت تذهب إلى حفلات الغداء والشاى والرقص، رغم أنها لم تكن تستمتع بذلك كثيراً. كانت تشعر بالفتور وعدم القناعة، إلا أنه فى نهاية إحدى تلك الرقصات الفاترة بحفلة فى نهاية يونيو سمعت صوتاً من خلفها يقول:

"إيريس مارل، أليس كذلك؟".

استدارت، بوجه متورد، كى تنظر لترى وجه أنطونى الساحر الداكن أمامها.

فبادرها:

" لم أتوقع أن تتذكرينى، لكن –".

قاطعته:

"بالطبع أتذكرك".

"رائع، كنت أخشى ألا تتذكرينى. فقد مر وقت طويل منذ أن تقابلنا آخر مرة".

"أعلم. فلم نتقابل منذ حفلة عيد ميلاد روز -".

ثم توقفت. كانت الكلمات تتوارد على شفتيها فى ابتهاج ودون تفكير. ثم انسحبت الدماء من خديها، فصارت بيضاء خالية من الدماء. وبدأت شفتاها ترتعدان، واتسعت عيناها فجأة فى رعب.

قال أنطونى براون مسرعاً:

"أنا جد آسف. إنها لوحشية منى أن أذكرك بأمر كهذا".

ازدردت إيريس لعابها، وقالت:

"لا بأس".

منذ ليلة عيد ميلاد روزمارى، منذ ليلة انتحارها وهى تود ألا تفكر فيه مطلقًا، حقاً تود ألا تفكر فيه مطلقاً!

قال أنطونى براون مجدداً:

"أنا آسف جداً. سامحينى أرجوك. هلا ترقصين معى؟".

أومأت برأسها. وعلى الرغم من أنها كانت مشتركة فى الرقصة التى بدأت للتو، فقد تركت نفسها تجوب ساحة الرقص بين ذراعيه. نظرت لمن كان يشاركها الرقص من قبل وكان شاباً متورد الوجه، تبدو ياقته أكبر منه بكثير، ويتطلع إليها من بعيد. إنه من ذلك النوع من الرفقاء المتواضع فى نظرها، الذى تضطر الفتيات لمرافقته فى المناسبات الاجتماعية، لكنه على خلاف نوع هذا الرجل - صديق روزمارى.

شعرت بانقباض مفاجئ. صديق روزماري. وذلك الخطاب. أيكون ذلك الخطاب قد كتب لهذا الرجل الذى كانت تراقصه الآن؟ إن شيئاً من الرشاقة السنورية فى رقصه يوحى بذلك الاسم المستعار "نمر". هل كان هو وروزمارى على –

قالت بحدة:

"أين كنت كل هذه الفترة؟".

أبعدها قليلاً للخلف لينظر إلى وجهها. كان جامدًا، وفى صوته فتور.

"لقد كنت مسافراً – فى عمل".

"حسناً"، ثم أكملت مندفعة: "ولماذا عدت؟".

فابتسم، وقال برفق:

"ربما – لأراك يا إيريس مارل".

وفجأة، ضمها إليه قليلاً، ثم قام بانزلاقة جريئة عبر جموع الراقصين، كانت حركته هذه مذهلة فى التوقيت والتوجيه. تعجبت إيريس – وسط هذا الشعور الغامر بالسعادة – من إحساسها بالخوف.

منذ ذلك الحين، أصبح أنطونى جزءاً من حياتها. فكانت تراه على الأقل مرة كل أسبوع.

كانت تلاقيه فى المتنزه، وفى حفلات الرقص المختلفة، وتجده بجوارها فى مآدب العشاء.

المكان الوحيد الذى لم يأت إليها فيه كان منزل الفاستون سكوير ولقد مر وقت حتى لاحظت ذلك، فقد كان يراوغ أو يرفض ببراعة دعوات الحضور إلى هناك.

وعندما لاحظت ذلك، بدأت تتساءل عن سر ذلك. هل كان ذلك لأنه وروزمارى كانا -

بعد ذلك، أدهشها أن جورج الهادئ غير المتطفل، تحدث إليها بشأنه.

"من هو أنطونى براون هذا الذى تخرجين معه؟ ماذا تعرفين عنه؟".

حدقت إليه قائلة:

"ما الذى أعرفه عنه؟ لماذا، لقد كان أحد أصدقاء روزمارى!".

تغير وجه جورج. وطرفت عينه. ثم قال بصوت فاتر:

"نعم، كان كذلك بالطبع".

صاحت إيريس آسفة:

"أنا آسفة. ما كان لى أن أذكرك بهذا".

هز جورج بارتون رأسه وقال بلطف:

"كلا، كلا، أنا لا أريد أن أنساها بالأساس. لا أريد ذلك مطلقاً"، كان يتحدث فى اضطراب ويتفادى النظر بعينيه، ثم أردف محدقًا إليها: "إيريس، لا أريدك أن تنسى أختك".

فالتقطت أنفاسها وقالت:

"هذا لن يكون أبداً".

فتابع جورج:

"لكن بالنسبة لهذا الشاب، أنطونى براون، ربما أعجبت به روزمارى، لكننى لا أعتقد أنها كانت تعرف الكثير عنه. وينبغى عليك أن تكونى أكثر حرصاً. فأنت شابة غنية جداً".

اجتاحها غضب شديد فقالت:

"إن - أنطونى لديه الكثير من الأموال هو الآخر، وإلا فلماذا ينزل بالكلاريدج عندما يكون فى لندن".

ابتسم جورج قليلاً، وتمتم:

"لأنه نزل محترم السمعة، وغالى التكلفة. الأمر سيان، عزيزتى، لا أحد يعرف الكثير عن هذا الشاب".

"إنه أمريكى".

"ربما. لكن إن كان الأمر كذلك، فمن الغريب ألا تكفله سفارة بلاده. إنه لا يأتى كثيراً إلى هذا البيت، أليس كذلك؟".

"كلا، لا يأتى، ويمكننى أن أعرف السبب، إذا كنت قلقاً جداً من هذا الأمر!".

هز جورج رأسه قائلاً:

"يبدو أننى تجاوزت فى تدخلى. حسناً، إن كل ما أردته هو إسداؤك تحذيراً فى الوقت المناسب، وسيكون لى حديث مع لوسيلا".

قالت إيريس فى استياء: "لوسيلا!".

فقال جورج فى اضطراب:

"هل يسير الأمر معها على ما يرام؟ أعنى، هل ترين أن لوسيلا تقوم بكل ما تودين الاستمتاع به؟ كالحفلات - وغيرها من تلك الأمور؟".

"نعم بالطبع، فهى تعمل مثل القندس...".

"لو لم يكن الأمر كذلك، فعليك فقط أن تخبرينى. تعلمين صغيرتى، أنه يمكننا الاستعانة بشخص آخر. يكون أصغر سناً وأكثر مسايرة للعصر، فأنا أريدك أن تستمتعى بحياتك".

"أنا حقاً مستمتعة، جورج، إننى مستمتعة بالفعل".

فقال بهدوء:

"حسناً، إذن. لست ذا صلة قوية بهذه الأجواء ولم أكن كذلك قط. ولكن أرى أنه ينبغى أن تنالى أنت كل ما تبغين. فما من ضرورة للبخل فى الإنفاق".

هذا ما كان عليه جورج - إنه عطوف، وفج، ومتخبط.

ومصداقاً لوعده، أو وعيده، فقد تحدث للسيدة دراك بشأن أنطونى براون، لكن قدر الله ألا يحظى فى هذه الأثناء بكامل اهتمام لوسيلا.

فقد وصلتها للتو برقية من ابنها الفاشل دوماً والذى كان قرة عينيها، والذى يعرف حق المعرفة كيف يعتصر نوازع الأمومة لديها كى يحصل على أى مصلحة مادية تهمه.

"هل تستطيعين إرسال مبلغ مائتى جنيه. اليائس، والموشك على الهلاك، فيكتور".

"إن فيكتور ذو خلق كريم. وهو يعلم بظروفى الدقيقة ولن يلجأ لى إلا إذا كنت

الملجأ الأخير بالنسبة له. فهو لم يلجأ لذلك قط. إضافة أننى أخشى أن يطلق الرصاص على نفسه".

فقال جورج بارتون بلا أى إحساس: "ليس لهذا الحد".

"إنك لا تعرفه. إننى أمه وأعرف بطبيعة الحال ولدى ولن أسامح نفسى إذا لم ألب له ما طلب، فيمكننى تدبير الأمر ببيع أسهمى".

تنهد جورج وقال:

"اسمعى لوسيلا. سوف أحصل على معلومات كاملة فى برقية ستصلنى من صديق يقيم هناك غداً. وسوف نكتشف بالضبط نوعية المشاكل التى وقع فيها فيكتور. ولكن نصيحتى لك أن تدعيه يتعامل معها بنفسه. فلن ينصلح حاله إلا إذا فعلت ذلك".

"أنت قاس للغاية يا جورج. إن الفتى المسكين دائماً ما كان يصادفه سوء حظ – ".

توقف جورج عن إبداء آرائه عند هذا الحد. فلم ينجح من قبل فى جدال النساء.

لكنه اقتصر على القول:

"سوف أرسل روث حالاً من أجل هذا الأمر، وسوف نسمع الخبر اليقين بحلول الغد".

هدأت لوسيلا إلى حد ما. لقد تقلصت المائتين إلى خمسين، لكنها كانت مصرة بقوة على إرسال المبلغ.

علمت إيريس أن جورج وفر هذا المبلغ، على الرغم من أنه ادعى لـ لوسيلا أنه

باع أسهمها ولقد أعجبت إيريس بسخاء جورج وأخبرته بذلك. فكانت إجابته بسيطة:

"إننى أنظر للأمر دائماً على أن بكل عائلة فقراءها. وهناك دائماً من ينبغى أن نهتم بهم. وسيظل هناك دوماً من يهتم ب. فيكتور حتى مماته".

"لكن لا يجب عليك أن تكون أنت المهتم، ففيكتور ليس من عائلتك".

"عائلة روزمارى هى عائلتى".

"أنت عطوف جداً يا جورج. لكن ألا يمكن أن أفعل أنا ذلك؟ فأنت دائماً ما تخبرنى بأننى مندفعة".

فابتسم إليها وقال:

"لا تستطيعين فعل شىء كهذا حتى تتمى الحادية والعشرين، يا صغيرتى. ولو كنت حكيمة لا تفعلى ذلك حتى بعد بلوغك هذه السن. لكنى سأسديك نصيحة. حين يهدد شخص ما بأنه سينتحر إن لم يحصل منك على مائتى جنيه فى المقابل، فاعلمى أن عشرين جنيهاً تفى بالغرض وتزيد... بل أقول إن عشر جنيهات تفى أيضا! إنك لا تستطيعين إيقاف أم عن عطائها، لكنك تستطيعين تقليل الكمية، وفيكتور دراك لن ينتحر بطبيعة الحال، فمثله لا ينتحر! فمن يهددون بالانتحار لا ينتحرون أبداً".

أبداً؟ لقد تذكرت إيريس روزمارى. ثم أبعدت تلك الأفكار عن ذهنها. فلم يكن جورج يفكر فى روزمارى. بل كان يفكر فى ذلك الشاب المخادع فى ريو دى جانيرو.

رأت إيريس أن انشغال لوسيلا بولدها سوف يشغلها عن الانتباه الكامل

لصداقتها بأنطونى براون.

ولنعد ثانية إلى "الخطوة التالية". إن التغير الواضح على جورج لا يمكنها تجاهله أكثر من ذلك. فمتى بدأ هذا التغيير؟ وماذا كان سببه؟

فحتى الآن، وبالعودة للماضى، لا يمكن لـ إيريس أن تحدد بالضبط متى بدأ هذا التغيير. فمنذ أن ماتت روزمارى وجورج مشتت الذهن، فهو بين اللامبالاة والشرود. لقد بدا أكبر سناً وأثقل روحاً. وكان ذلك فى مجمله طبيعياً. ولكن منذ متى زاد شروده على الحد الطبيعى؟

فى اعتقادها أن ذلك قد بدأ بعد مجادلتهما بشأن أنطونى براون، فمن حينها بدأت تلاحظ أن نظراته لها مليئة بالتشوش والارتباك. بعد ذلك، بدأ باتباع عادة جديدة وهى مجيئه إلى البيت مبكراً من العمل ثم بقاؤه فى غرفة مكتبه. لم يبد أنه يفعل شيئاً فى المكتب. فقد دخلت عليه ذات مرة فوجدته جالساً على مكتبه ينظر أمامه فحسب. وحين دخلت، نظر إليها بعينين شاحبتين جامدتين حيث تصرف كمن أصابته صدمة، ولكن بسؤالها عما به، أجابها فى اقتضاب: "لا شىء".

وبمرور الأيام، حملت نظراته همًّا وشرودًا لا يكون سوى لشىء خطير ألمَّ به.

ولكن ما من أحد ألقى بالاً للأمر. وبالتأكيد لم تلق إيريس له بالاً. فالقلق قرين طبيعى "بعالم الأعمال".

بعد ذلك، وعلى فترات غير منتظمة، وبدون أسباب واضحة، بدأ فى طرح الأسئلة، ومنذ ذلك الحين بدأت إيريس تعتبر تصرفاته "غريبة" قطعاً.

"انظرى هنا يا إيريس، ألم تكن روزمارى تكثر الحديث معك؟".

فحدقت إليه إيريس.

"لماذا، بالطبع كانت تتحدث يا جورج. على الأقل - حسناً عن أى شىء تحديداً؟".

"أوه، عن نفسها - أصدقائها - كيف كانت الأمور تسير معها. عما إذا كانت سعيدة أم تعيسة. أى شىء من هذا القبيل".

ظنت أنها قرأت ما دار فى ذهنه. لابد أنه علم شيئاً ما عن قصة حب روزمارى التعيسة.

فقالت ببطء:

" لم تكن تقول الكثير. أعنى - كانت دائماً مشغولة - مشغولة بما تفعله".

"وأنت بالطبع كنت لا تزالين طفلة. نعم، أتفهم الأمر. فهذا وضع معتاد، وأظنها كانت لتقول الشىء ذاته".

ظل ينظر إليها فى تساؤل وفضول - وكأنه كلب يستجدى صاحبه.

لم تكن تريد أن تجرح جورج، وعلى أية حال، فإن روزمارى لم تتحدث بشىء قط، فهزت رأسها.

فتنهد جورج ثم قال بهدوء:

"حسناً، ما من ضير".

وفى يوم آخر سألها فجأة عن أقرب صاحبات روزمارى إليها من النساء.

فكرت إيريس ملياً ثم قالت:

"جلوريا كينج والسيدة أتويل - مايسى أتويل وجين رايموند".

"ما مدى حميمية علاقتها بهن؟".

"حسناً، لا أعرف بالتحديد".

"أقصد هل كانت تثق فى أى منهن؟".

"أنا حقاً لا أعرف... لا أظنها على الأرجح... أى نوع من الثقة تقصد؟".

وعلى الفور تمنت لو أنها لم تسأل سؤالها الأخير هذا؛ لكنها فوجئت برد جورج:

"هل تحدثت روزمارى قط عن أنها خائفة من شخص ما؟".

فقالت إيريس محدقة: "خائفة؟".

"ما أحاول معرفته هو هل كان لـ روزمارى أعداء؟".

"تقصد من النساء الأخريات؟".

"كلا، كلا، ليس هذا قصدى. بل أقصد أعداء حقيقيين. ألم يكن هناك من شخص - تعلمين به - ربما كان يضمر لها شيئاً؟". اجاثا كريستي & كتاب رواية

ويبدو أن نظرة إيريس قد أغضبته، فاحمر وجهه وقال متمتماً:

"أعرف أنه يبدو كلامًا سخيفاً وميلودرامياً أكثر من اللازم، لكنى فقط أتساءل".

مر يوم أو يومان على هذا الموقف ثم بدأ يسأل عن عائلة فارادای.

"إلى أى مدى كانت روزمارى تتردد على زيارة عائلة فاراداى؟".

كانت إيريس متشككة فأجابته:

"إننى حقاً لا أعرف يا جورج".

"هل كانت تتحدث عنهم؟".

"كلا، لا أظنها كانت تفعل".

"إلى أى حد كان قربها منهم؟".

"كانت روزمارى مهتمة جداًبالسياسة".

"نعم، كان ذلك بعد أن قابلت عائلة فارادای فى سويسرا فلم تكن قبل ذلك تهتم بها مطلقاً".

"بالفعل، وأظن أن ستيفن فارادای قد حببها فى السياسة فقد اعتاد أن يقرضها بعض الكتيبات وما شابه".

قال جورج:

"ماذا كان رأى ساندرا فارادای حيال هذا الأمر؟".

"حيال ماذا؟".

"عن إقراض زوجها كتيبات لـ روزمارى".

قالت إيريس فى انزعاج:

"لا أعلم".

قال جورج: "إنها سيدة كتوم. تبدو باردة مثل الثلج. لكنهم يقولون إنها متيمة بـ فارادای. وهذا النوع من النساء يستاء بشدة من صداقة زوجها لامرأة أخرى".

"ربما".

"كيف نجحت روزمارى وزوجة فاراداى فى التغلب على الأمر؟".

قالت إيريس بهدوء:

"لا أعتقد أنهما نجحتا؛ فقد سخرت روزمارى من ساندرا. وقالت إنها من نساء السياسة المتبلدات؛ فهى مثل حصان هزاز. فهى أقرب شبهاً إلى الحصان، كما تعلم. فقد اعتادت روزمارى القول: "إنك إن ثقبتها، فإن نشارتها سوف تنزل فى بطء".

ضحك جورج بصوت عال.

ثم قال:

"ألا زلت تجدين خيراً فى علاقتك ب. أنطونى براون؟".

"بقدر لا بأس به"، كان صوتها بارداً، لكن جورج لم يكرر تحذيراته. بل على العكس، فقد بدا مهتماً بالأمر.

"ألستم أقرب إلى علاقة جيدة؟ لابد أنه يتمتع بحياة مثيرة هل يتحدث معك عنها قط؟".

"ليس الكثير، فهو كثير السفر".

"من أجل العمل، حسب اعتقادى".

"أنا أيضاً أعتقد ذلك".

"ما طبيعة عمله؟".

"لا أعرف".

"تعاملات تجارية مع شركات الأسلحة، أليس كذلك؟".

" لم يذكر ذلك أبداً".

"حسناً، لا داعى لذكر سؤالى هذا. فقد كنت أتساءل وحسب. لقد كان فى الخريف الماضى كثير الالتقاء ب. ديوسبارى، رئيس شركة يونيتيد آرمز المحدودة... كانت روزمارى تلتقى أنطونى براون كثيراً، أليس كذلك؟".

"نعم، كانت تراه كثيراً".

"لكنها لم تكن تعرفه منذ أمد بعيد – لم يكن أكثر من مجرد أحد المعارف العابرين؟ واعتاد أن يرافقها إلى الحفلات الراقصة؛أليس كذلك؟".

"بلى".

"أتدرين، لقد كنت مندهشاً من إصرارها على حضوره لحفلة عيد ميلادها، لم أكن أعلم أنها كانت تعرفه لهذه الدرجة".

قالت إيريس بهدوء:

"إنه راقص بارع...".

"نعم – نعم، بالفعل هو كذلك...".

ودون رغبة منها، ورغما عنها استعاد ذهنها صورة تلك الأمسية.

تلك الطاولة المستديرة فى فندق لوكسمبورج، والأضواء الخافتة، والزهور، والفرقة الموسيقية وإيقاعها المميز، والأشخاص السبعة الجالسين إلى المنضدة، هى، وأنطونى

براون، وروزمارى، وستيفن فارادای، وروث ليسينج وجورج، وعلى يمين جورج زوجة ستيفن فارادای، والسيدة ألكسندرا فارادای ذات الشعر الأصفر الناعم والأنف المحدب والصوت الصافى المتعجرف، لقد كانت حفلة مرحة، أولم تكن كذلك؟

فى المنتصف، كانت روزمارى..، كلا، من الأفضل ألا تسترسل بالتفكير فى ذلك. الأفضل أن تذكر جلوسها إلى جوار أنطونى كانت تلك هى المرة الأولى التى تقابل فيها أنطونى فعلاً، كان قبل ذلك مجرد اسم، أو طيف فى ردهة المنزل، أو رفيق ملازم لـ روزمارى ينتظرها بالأسفل فى سيارة الأجرة.

تونى

عادت إلى الحاضر فزعة، مع تكرار جورج لسؤاله.

"لقد اختفى بشكل غريب بعدما جرى مباشرة. فإلى أين ذهب، هل تعرفين؟".

قالت فى غموض: "أوه، ذهب إلى سيلان، أو الهند على ما أعتقد".

"ألم يذكر شيئاً عن ذلك فى تلك الليلة؟".

قالت إيريس بحدة:

"ولماذا يذكره؟ وهل علينا الحديث عن – عن تلك الليلة؟".

احمر وجهه بشدة.

"بالطبع لا. أنا آسف، إنها أمور قديمة. بالمناسبة، لِمَ لا تقومين بدعوته على العشاء، إننى أريد أن ألقاه مجدداً".

سُرّت إيريس لذلك. فقد بدأ جورج فى الرجوع إلى طبيعته. وقد وجهت إليه الدعوة وقبلها، لكن فى اللحظة الأخيرة توجب على أنطونى أن يسافر شمالاً فى عمل

ولم يتمكن من الحضور.

فى نهاية شهر يوليو، فاجأ جورج إيريس ولوسيلا بأنه قد اشترى منزلاً فى الريف.

كانت إيريس مندهشة فقالت: "اشتريت منزلاً؟ ظننت أننا سوف نستأجر هذا البيت الذى يقع فى جورينج لمدة شهرين؟".

"أليس من الرائع أن يمتلك الشخص مكاناً خاصاً به؟ يمكنه قضاء إجازاته الأسبوعية فيه طوال العام".

"أين يقع؟ على ضفة النهر؟".

"ليس بالضبط. فى الحقيقة ليس على الإطلاق. إنه فى سوسكس، بـ مارلنجهام، ويطلق عليه اسم ليتل بريورز. إنه منزل صغير من العصر الجورجى على مساحة عشرين فداناً".

"هل تعنى أنك اشتريته دون حتى أن تلقى عليه نظرة؟".

"لقد كان البيت فرصة سانحة، فاقتنصتها".

قالت السيدة دراك:

"أعتقد أنه سيحتاج إلى الكثير من العمل وتجديد الطلاء".

قال جورج بلسان طليق:

"إن ذلك صحيح، سوف تهتم روث بذلك".

استقبل كل منهما اسم روث، سكرتيرة جورج القديرة، بصمت مطبق؛ فقد كانت روث تعد فرداً من العائلة، كانت جميلة، حادة الصرامة، كانت خليطاً رائعاً

من الكفاءة واللباقة...

وفى أثناء حياة روزمارى، كانت عادة ما تقول: "دعى روث تتول الأمر، إنها مذهلة حقاً، اتركى الأمر لها".

كل الصعوبات يمكن أن تذللها أصابع الآنسة ليسينج البارعة. فالابتسامة واللطف واللامبالاة تتمكن من تذليل كل الصعوبات. كانت تدير مكتب جورج، ويبدو أنها كانت تدير جورج نفسه. فقد كان يستمع إلى رأيها ويعتمد على تقديرها للأمور فى كل شىء. وكانت تبدو وكأنها لا تحتاج أو ترغب فى أى شىء لنفسها.

لكن فى هذه المرة كانت لوسيلا دراك متضايقة فقالت:

"عزيزي جورج، على الرغم من ثقتنا فى كفاءة روث، فإننى أعتقد أن سيدة المنزل قد ترغب فى أن تختار لون قاعة الاستقبال بنفسها! لابد أن تتشاور فى الأمر مع إيريس، أنا لا أطلب شيئاً لنفسى. فالأمر لا يعنينى، لكنه ربما يزعج إيريس".

بدا جورج نادماً.

"لقد أردتها مفاجأة لكما".

ابتسمت لوسيلا:

"يا لتفكيرك الطفولى يا جورج".

قالت إيريس:

"لست أبالى بمسألة لون قاعة الاستقبال، فأنا أثق بأن روث سوف تختار الأفضل، ولكن ما الذى قد نفعله هناك؟ أعتقد أنه سيكون هناك ملعب تنس ".

"نعم، وأيضاً ملعب جولف على بعد ستة أميال، وهو على بعد أربعة عشر ميلاً فقط من البحر. والأكثر من ذلك أننا سنحظى بجيران، فمن الحكمة أن يكون استقرار المرء بمكان يعرف فيه بعض الأشخاص".

سألت إيريس بحدة: "أى جيران تقصد؟".

ودون أن يرفع جورج عينيه إلى عينيها، قال:

"عائلة فاراداى. إنهم على بعد ميل والنصف فقط عبر المتنزه".

نظرت إيريس إليه ملياً، وفى لحظة رأت أن الفكرة أساساً قد تكون متعمدة، فشراء وتجهيز بيت ريفى يهدف إلى شيء واحد، وهو تقريب العلاقات بين جورج وستيفن وساندرا فاراداى، فجيران قريبون فى الريف، أصحاب ممتلكات متجاورة، أمر يعنى توثيق الصلة إلى درجة الحميمية، إما هذا أو الفتور المتعمد!

ولكن لماذا؟ لماذا هذا الإلحاح على وتر عائلة فاراداى؟ لماذا كل هذه التكلفة سعياً وراءِ هدف غامض؟

هل يشك جورج فى أن العلاقة بين روزمارى وستيفن كانت أبعد من الصداقة؟ هل يكون هذا نوعاً غريباً من غيرة ما بعد الوفاة؟ لا شك أن هذا تفكير بعيد الاحتمال!

ولكن ماذا كان يريد جورج من عائلة فاراداى؟ ولم كل هذه الأسئلة التى استمر فى توجيهها إليها؟ ألم يكن ذلك أمراً غريبًا فى جورج فى الفترة الأخيرة؟

إن المظهر الغريب والمشوش الذى كان عليه فى المساء، أرجعته لوسيلا لتناوله كأسًا أو أكثر من الشراب، فهذا ما قد يحدث لها!

كلا، بل هناك ما هو غريب فى جورج فى الفترة الأخيرة، فتبدو عليه مشاعر

الإثارة ممزوجة بكم هائل من اللامبالاة والفتورالشديدين حين يروح فى سبات عميق.

قضوا معظم شهر أغسطس فى منزلهم الريفى ب. ليتل بريورز! إنه منزل فظيع! كانت إيريس ترتجف منه، لقد كرهته، إنه منزل أنيق البناء، ذو أثاث وطلاء متناسقين (ف. روث ليسينج لا تخطئ أبداً!)، لكنه خاوٍ على نحو مثير ومخيف. إنهم لم يسكنوه، بل احتلوه. فهم كجنود فى حرب قاموا باحتلال مركز مراقبة.

وما جعله مريعاً هو طابع الحياة الصيفية العادية التى تسود المكان؛ حيث يأتى الناس فى عطلة نهاية الأسبوع، وحيث تجمعات ملعب التنس، وولائم العشاء مع عائلة فاراداى، كانت ساندرا فاراداى لطيفة معهم - فكانت نموذجاً مثالياً للجار الذى هو صديق فى الأساس. فقد عرفتهم على المنطقة وأشارت على جورج وإيريس باقتناء وركوب الخيل، وكانت تجل لوسيلا لكبر سنها.

ما من أحد يمكنه كشف قناع تلك المرأة الذى كان خلف ابتسامتها الشاحبة هذه، فهى امرأة كتوم كأبى الهول.

أما ستيفن فلم يكونوا يرونه إلا لماماً. فقد كان كثير الانشغال، وكثيراً ما يتغيب لارتباطات عمله السياسى، أما بالنسبة ل. إيريس فقد رأت أنه كان يتجنب عامداً عدم اللقاء بسكان ليتل بريورز بحجة انشغاله.

وهكذا مر شهر أغسطس ثم سبتمبر، وكان من المقرر أن يغادروا فى شهر أكتوبر عائدين إلى منزلهم اللندنى.

تنفست إيريس الصعداء؛ فلعل العودة تعود بجورج إلى طبيعته.

بعد ذلك، وليلة أمس، استيقظت على صوت نقر خفيف على باب غرفتها، فأضاءت الغرفة ونظرت نظرة سريعة إلى الساعة فوجدتها الواحدة صباحاً. لقد

خلدت للنوم فى العاشرة والنصف وبدا لها الوقت متأخراً قليلاً.

ارتدت روبها بسرعة ثم اتجهت نحو الباب. كان ذلك أكثر منطقية من أن تصيح فى مكانها قائلة: "ادخل".

كان جورج هو من بالباب، لم يكن قد خلد للنوم بعد ومازال مرتدياً ملابس المساء، كانت أنفاسه مضطربة وفى وجهه زرقة تلفت النظر.

قال لها:

"إيريس؛ اتبعينى إلى المكتب، أريد الحديث إليك، ينبغى أن أتحدث إلى أحد".

أطاعته مستغربة وخدر النوم ما زال يغالبها.

فى المكتب أغلق الباب وأشار إليها كى تجلس أمامه على المكتب، دفع إليها علبة السجائر بعد أن أخذ منها سيجارة وأشعلها بعد محاولة أو اثنتين بيد مرتعشة.

قالت: "هل من خطب ياجورج؟".

لقد توجست خيفة حقاً الآن؛ فقد كان شكله مروعاً.

تحدث جورج لاهثاً وكأنه كان يجرى.

"لم أعد أستطيع الانفراد بالأمر وحدى، لم أعد أحتمل أكثر من ذلك، عليك أن تخبرينى برأيك؛ هل هو أمر حقيقى هل هو ممكن".

"لكن، عم تتحدث يا جورج؟".

"لابد أنك لاحظت شيئاً، رأيت شيئاً. لابد أنها قالت شيئاً ما لابد من وجود سبب ما".

حدقت إليه.

مسح جورج جبينه بيده قائلاً:

"إنك لا تفهمين ما أتحدث عنه. يمكننى تفهم ذلك. لا تخافى يا صغيرتى. عليك أن تساعدينى. عليك أن تتذكرى أى شىء. أعلم أن حديثى يبدو غير مترابط، لكنك ستفهمين كل شىء فى غضون دقيقة - بعد أن أريك الخطابات".

فتح أحد الأدراج فى جانب المكتب وأخرج منه قطعتين من الورق.

كانتا ذواتى لون أزرق شاحب وبهما كتابة خطت بحروف أنيقة صغيرة.

قال جورج: "اقرئى هذه".

نظرت إيريس إلى الورقتين. وكان ما كتب فيهما واضحاً تماماً وخالياً من الإسهاب:

"هل تظن أن زوجتك قد انتحرت؟ كلا لم يحدث. فقد قُتلت".

الورقة الثانية كانت تقول:

"إن زوجتك روزمارى لم تنتحر، لقد قُتلت".

وبينما ظلت إيريس محدقة إلى الورق، تابع جورج:

"لقد وصلت هذه الرسائل منذ حوالى ثلاثة أشهر. فى البداية ظننت أنها مزحة - مزحة وحشية بشعة. لكننى بعد ذلك بدأت أفكر. لماذا قد تفكر روزمارى فى الانتحار؟".

أجابت إيريس بشكل آلى:

"اكتئاب ما بعد الإنفلونزا".

"نعم، ولكن حين تفكرين فى هذا المبرر تجدينه هزلياً، أليس كذلك؟ فكثير من الناس يصابون بالإنفلونزا ويكتئبون ولكن ماذا يحدث؟".

قالت إيريس فى جهد:

"ربما لم تكن سعيدة؟".

"نعم، ربما لم تكن كذلك فعلاً"، تدارس جملته الأخيرة فى هدوء تام ثم تابع: "لكن على الرغم من ذلك، لا أظن أن روزمارى قد تنتحر لأنها غير سعيدة، فمثلها قد يهدد بذلك لكنها لا تقدم عليه إذا وصل الأمر إلى حد الانتحار".

"لكن لابد أنها انتحرت بالفعل يا جورج! وإلا فبماذا تفسر ما جرى غير ذلك؟ ولماذا إذن وجدوا المواد المخدرة فى حقيبتها؟".

"أعرف. فالأمر كله يسير فى هذا الاتجاه. لكن منذ أتتنى هذه" وربت على الخطابات المجهولة بطرف إصبعه، ثم تابع: "لقد كنت أقلب الأمر كله فى ذهنى. وكلما فكرت تزايد لدى إحساس بأن ثمة شيئاً وراء ما جرى. لذا سألتك كل هذه الأسئلة عن أعداء مفترضين لـ روزمارى، وعن أى شىء قالته يوحى بأنها كانت خائفة من شخص ما، فأياً من كان قاتلها، فلابد أن لديه أسباباً لذلك".

"لكن، جورج، إنك مجنون".

"فى بعض الأحيان أعتقد أننى كذلك. وأحياناً أخرى أرى أننى على الطريق الصحيح. لكن علىّ أن أعرف. ينبغى علىّ أن أكتشف الأمر. وينبغي عليك أن تساعدينى يا إيريس. عليك أن تفكرى. عليك فقط أن تتذكرى. عودى بالذاكرة إلى تلك الليلة مرة بعد مرة. وسوف تعرفين ما إذا كانت قد قتلت. لابد أنه كان

أحد الجالسين إلى تلك الطاولة فى تلك الليلة؟ أنت تفهمين هذا، أليس كذلك؟".

نعم، لقد فهمت ذلك. فلم يعد هناك من مفر لإعادة تلك الذكرى بعد الآن. وعليها أن تتذكر الأمر برمته. الموسيقى، وقرع الطبول، وخفت الأضواء، والبرنامج الغنائى، ثم تقوية الإضاءة مرة أخرى ثم مشهد روزمارى ممدة على الطاولة وقد تشنج وجهها وازرق.

وهنا ارتعدت إيريس، لقد بدأت تخاف الآن - تخاف بشدة...

إن عليها أن تفكر - أن تعود بالذاكرة - وتتذكر.

ف. روزمارى تعنى الذكرى.

ولم يعد هناك من سبيل للنسيان.

الفصل الثانى

روث ليسينج

فى لحظة من لحظات الخمول العابرة فى يومها المشحون، تذكرت روث ليسينج، روزمارى بارتون زوجة رب عملها.

كانت تكره روزمارى كثيراً، ولم تكن تعرف تماماً مدى كراهيتها لها حتى حادثت للمرة الأولى فيكتور دراك فى صباح أحد الأيام من شهر نوفمبر.

كانت تلك المقابلة مع فيكتور هى بداية كل شىء، وهى ما حركت القطار كله، فقبل هذا، كل ما كان لديها فى السابق من إحساس وأفكار تجاه روزمارى مستقراً تحت تيار عقلها الواعى حتى إنها لم تكن تدرك وجود هذه المشاعر.

لقد كانت مخلصة لـ جورج بارتون. كانت كذلك دوماً. عندما أتته للمرة الأولى كشابة هادئة، كفء، صغيرة السن لم تتجاوز الثالثة والعشرين، أدركت أنه بحاجة لمن يرعاه، وقد فعلت هى ذلك، فوفرت له الوقت، والمال، وخلصته من القلق. كانت تختار له أصدقاءه، وترشده إلى ما يناسبه من هوايات. وجنبته مغامرات الأعمال غير المحسوبة، وشجعته على المدروس منها فى بعض الأحيان. ولم يحدث على مدار زمن ارتباطهما الطويل أن شك جورج ولو لمرة واحدة أنها لم تعد التابعة اليقظة التى يتحكم فيها تماماً، كان يشعر بسعادة فطرية بمظهرها حيث الشعر الأسود اللامع والأنيق، والقمصان المموجة التى حيكت على اليد على نحو رائع، والأقراط الصغيرة فى أذنيها الجميلتين، ومساحيق وجهها الباهتة التى وضعت بتحفظ، والظل الوردى الخافت لطلاء الشفاه.

لقد كان يرى روث على صواب دائماً.

لقد أحب أسلوبها المستقل وغير الشخصى، وتغييبها الكامل للشكل العاطفى

من التعامل. ولذا فقد كان يتحدث إليها كثيراً فى أموره الشخصية وكانت هى تستمع إليه بتعاطف وتسديه النصيحة المفيدة دائما.

لكن لم يكن بمقدورها فعل شىء حيال إقدامه على الزاوج، فهى لم تسعد له، لكنها تقبلته وقامت بجهد لا يقدر بالمساعدة فى ترتيبات الزواج، معفية السيدة مارل من عمل كثير.

ولفترة من الوقت بعد الزواج، كانت روث أقل خصوصية مع رب عملها. وحصرت نفسها فى إدارة شئون العمل فقط. فكان جورج يعتمد عليها فى كثير منه.

ومع ذلك، فإن كفاءتها جعلت روزمارى تدرك سريعاً أن الآنسة ليسينج مساعدة جورج معين لا يقدر بثمن من كل الوجوه. فالآنسة ليسينج لطيفة، وباسمة، ومهذبة على الدوام.

كان جورج وروزمارى وإيريس يدعونها جميعاً باسم روث وعادة ما كانت تدعى إلى الفاستون سكوير لتناول الغداء. كانت قد بلغت التاسعة والعشرين ولكنها كانت لا تزال تبدو كما لو كانت فى الثالثة والعشرين.

وعلى الرغم من أنهما لا يتبادلان أى كلام ودود، فإن روث كانت تدرك أدق انفعالات جورج العاطفية. وكانت تعلم متى ذهبت نشوة زواجه الأولى لتصير مجرد حالة من الرضا المصحوب بالسعادة، وكانت تعلم متى انحسر ذلك الرضا ليكون شيئاً آخر يصعب تعريفه.

وعلى الرغم من شرود ذهن جورج، فلم يبد على الآنسة ليسينج أنها كانت مدركة له. وكان ممتناً لها لذلك.

وفى صباح أحد الأيام من شهر نوفمبر تحدث جورج إليها بشأن فيكتور دراك.

"أريدك أن تؤدى لى عملاً صغيراً يا روث؟".

نظرت إليه متسائلة. فما من داع لأن يقول ذلك لأنها بالقطع ستقوم بما يطلبه منها. فذلك أمر مفهوم.

قال جورج: "إن لكل عائلة فقراءها يا روث".

فأومأت برأسها متفهمة:

"من أعنيه هنا هو ابن خالة زوجتى - وهو فى دائرة متاعب لا تنتهى، وأنا متخوف. فقد أوشك على أن يوقع أمه العطوف فى الإفلاس؛ حيث باعت معظم ما لديها من أسهم قليلة من أجله. لقد بدأت متاعبه بتزوير شيك فى أكسفورد - وقد كتم أمر هذا الشيك ومنذ ذلك الحين وهو مبحر فى أرجاء العالم ولا يصلح أبداً فى أى مكان يحط به".

استمعت روث دون كثير اهتمام. فقد كانت على دراية بأمثال هؤلاء، فقد بدأ أهلها بزراعة البرتقال، ثم بدأوا بتربية الدواجن، وذهبوا إلى أستراليا لتربية الماشية، ثم انتهوا إلى العمل فى مجال اللحوم المجمدة ب. نيوزيلاندا. لكنهم أبداً لم يحسنوا صنعاً، ولم يمكثوا قط فى أى مكان مدة طويلة. ودائماً ما كانوا يقضون على أية أموال تستثمر نيابة عنهم. وهكذا، فلم يثيروا إعجابها قط، فقد فضلت النجاح.

"وقد عاد إلى لندن الآن وأعتقد أنه يقلق زوجتى. إنها لم تره منذ أيام دراستها، لكنه وغد مخادع ويرسل لها طلباً للمال، وأنا لن أكون مستعداً لقبول ذلك. وقد رتبت موعداً للقائه فى الفندق الذى ينزل به فى تمام الساعة الثانية عشرة من صباح اليوم. وأريد أن تتعاملى أنت مع الأمر بدلاً منى. فى الواقع أنا لا أريد التعامل مع هذا الشخص، فأنا لم أقابله من قبل ولا أريد مقابلته ولا أريد ل. روزمارى أن تقابله. وأرى أنه من الممكن أن يظل الأمر فى إطار عملى مطلق إذا تم التعامل معه عن

طريق طرف ثالث".

"صحيح، دائماً ما يكون هذا هو الأسلوب الناجع. فما هى الترتيبات إذن؟".

"مائة جنيه نقداً وتذكرة سفر إلى بيونس آيرس، على أن يمنح المال وهو على متن القارب".

ابتسمت روث.

"هكذا إذن. تريد أن تتأكد من أنه قد أبحر بالفعل!".

"أرى أنك قد فهمت".

قالت بلامبالاة: "ليست تلك بالحالة الغريبة".

"فعلا، هناك الكثير منها"، ثم أضاف فى تردد: "هل أنت متأكدة من عدم وجود موانع لديك فى القيام بأمر كهذا؟".

قالت ضاحكة: "بالطبع لا"، وبضحكة صغيرة تابعت: "سوف أؤكد لك أننى قادرة على التعامل مع مثل هذا الأمر".

"أنت قادرة على القيام بأى شىء".

"ماذا عن حجز رحلته؟ وما اسمه بالمناسبة؟".

"اسمه فيكتور دراك. وها هى التذكرة، لقد هاتفت شركة الملاحة البحرية أمس. والباخرة هى سان كريستوبال وسوف تبحر من تيلبرى غداً".

نظرت روث إلى التذكرة وتأكدت من صحتها ثم وضعتها فى حقيبتها.

"اتفقنا، سوف أدبر الأمر إنها الحادية عشرة، ما العنوان؟".

"ذا رابرت؛ متفرع من راسيل سكوير".

قامت بتسجيل العنوان.

"عزيزتى روث لا أعلم ماذا كنت سأفعل من دونك -"، ثم وضع يده على كتفها برفق؛ كانت تلك هى المرة الأولى التى يفعل معها شيئاً كهذا ثم أضاف: "أنت ساعدى الأيمن، وملاكى الأمين".

احمر وجهها خجلاً، وبدا عليه السرور.

"لم أكن من قبل قادراً على قول كهذا - فقد كنت أتقبل كل ما تفعلينه دون التفات لقدره - لكن الأمر ليس كذلك بالمرة. أنت لاتدركين مدى اعتمادى عليك فى كل شىء"، وكرر قائلاً: "كل شىء، إنك ألطف وأعز وأفضل معين على وجه الأرض!".

قالت روث ضاحكة لتخفى سعادتها: "أنت تفسدنى بقولك الجميل هذا".

"أوه، لكننى أعنيه بالفعل، إنك جزء من شركتى يا روث ولا أظن أن الحياة بدونك محتملة".

خرجت وهى تعيش حرارة كلماته. وظلت تتردد فى أذنها حتى وصلت إلى فندق ذا رابرت لقضاء مأموريتها.

لم تشعر روث بارتباك إزاء ما كلفت به. فقد كانت دائماً واثقة من قدرتها على التعامل فى أى موقف. فقصص الحظ العاثر وأبطالها لم تكن لتستهويها أبداً. وكانت مستعدة للتعامل مع فيكتور دراك باعتباره جزءاً من عملها اليومى.

كان تماماً مثلما وصفه، وربما أكثر جاذبية مما وصفه. لم تخطئ أبداً فى تقديرها لشخصيته. فلم يكن فى فيكتور دراك من الخير الكثير. فقد وجدته خير مثال للشخصية الباردة الحذرة، مختبئًا خلف قناع من الأسلوب العذب. أما الشيء الذى لم تستطع الولوج له فهو قدرته على قراءة ما يدور فى نفوس الآخرين، والسكينة المدروسة التى يمكنه من خلالها اللعب على العواطف، ولعلها أيضاً لم تحسن تقدير مقاومتها لسحره.

حياها بما يوحى أنها مثلت له مفاجأة سارة.

"أأنت رسول جورج؟ يا لورعة الرسل. لكم هى مفاجأة سارة!".

وفى لهجة جافة للغاية، ألقت عليه بشروط جورج. ووافق فيكتور عليها بأسلوب ودود.

وقال بسعادة: "مائة جنيه؟ ليس هذا بالمبلغ السيئ على الإطلاق. يا لجورج العجوز الطيب. لقد كنت لأقبل بستين - لكن لا تخبريه بذلك! أما بالنسبة للشروط:"لا تقلق ابنة الخالة الحبيبة روزمارى - ولا تفسد ابنة الخالة البريئة إيريس - ولا تحرج ابن عمى العزيزجورج". فقد وافقت على جميع الشروط! من سيكون بوداعى إلى سان كريستوبال؟ هل ستكونين أنت بوداعى عزيزتى الآنسة ليسينج؟ هذا رائع حقاً". رفع كتلة أنفه لأعلى وبرقت عيناه السوداوان على نحو أخاذ. كان له وجه بنى نحيف وفيه إيحاء بفروسية - فى التصور الرومانسى! كانت فيه جاذبية للنساء وكان يعلم ذلك عن نفسه!

"تعملين لدى بارتون منذ مدة آنسة ليسينج، أليس كذلك؟".

"منذ ستة أعوام".

"وهو الآن لا يعرف كيف يسير حياته من دونك، صحيح، فأنا أعرف كل

شيء عنك آنسة ليسينج".

سألته روث على نحو حاد: "كيف لك أن تعرف ذلك؟".

ابتسم فيكتور: "أخبرتنى روزمارى".

"روزمارى؟ ولكن -".

"لا بأس، أنا لا أنوى إزعاج روزمارى بعد الآن. لقد كانت ودودة جداً معى - ومتعاطفة تمامًا، وللحق، لقد أخذت منها مائة جنيه".

"إنك -".

توقفت روث وضحك فيكتور. ويبدو أن ضحكته كانت معدية. فوجدت نفسها تضحك هى الأخرى.

"إن ذلك سيئ جداً منك سيد دراك".

"إننى متطفل بارع. وصاحب مهارة كبيرة فى هذا الأسلوب. فأمى مثلاً تتفاعل بالإيجاب معى دائماً كلما أبرقت لها لأخبرها بأننى سوف أنتحر".

"ينبغى أن تخجل من نفسك لذلك".

"أنا أنكر على نفسى ما هى عليه بشدة، إننى رجل سيئ آنسة ليسينج. لقد أردت أن تعرفى كم أنا سيئ".

سألت بفضول: "لماذا؟".

"لا أعرف. أنت مختلفة. إننى لا أستطيع ممارسة أسلوبى المعهود معك. فعيناك الصافيتان هذه - لا يمكن أن تنطلى عليهما هذه الخدعة. كلا، فقد فاضت

خطاياى، ولن أجد لديك موضع تعاطف، أنت لا تحملين شفقة بداخلك".

تحجر وجهها.

"أنا أحتقر الشفقة".

"على الرغم من اسمك؟ ف. روث تعنى الشفقة، يا له من أمر مثير".

فقالت: "أنا لا أتعاطف مع الضعف!".

"من قال إننى ضعيف؟ كلا، أنت مخطئة فى ذلك يا عزيزتى ربما شرير، ربما. لكن يبقى شىء واحد هنا لصالحى".

مطت شفتيها قليلاً، لتسأل سؤالاً استنكارياً لازماً:

"نعم وأى شىء ذاك؟".

"أننى أستمتع بحياتى حقاً" وأومأ برأسه متابعاً: "أنا أستمتع بحياتي لأقصى حد. فقد رأيت من الحياة الكثير. وفعلت كل شىء تقريباً. لقد عملت كممثل وبائع ونادل وفى الأعمال المنزلية وحامل أمتعة وعامل نقل دعامات فى سيرك! وقد أبحرت من قبل على متن باخرة تجارية. وكنت ذات مرة بين المتجمهرين لرؤية أحد الرؤساء بأمريكا الجنوبية. وقد دخلت السجن أيضاً! لكن شيئين وحيدين لم أفعلهما أبداً، أن أعمل عملًا شريفاً ولو ليوم واحد، أو أن أتحمل أنا تكلفة سفرى".

نظر إليها وهو يضحك، فشعرت أنه كان ينبغى عليها أن تثور لكلامه. لكن قوة فيكتور دراك كانت كقوة الشيطان. ولو أنه الشيطان لكانت رفقته مضحكة ومسلية. وقد بدأ ينظر إليها الآن نظرة نافذة على نحو خارق للعادة.

"لا ينبغى أن تكونى راضية عن نفسك بهذا الحال يا روث! وليس لديك من

الفضائل ما تظنين أنه لديك! فأنت تعبدين النجاح. وأنت من النوع الذى ينتهى أمره بالزواج من رب عمله وهذا ما كان ينبغى أن يحدث بينك وبين جورج. فلم يكن ينبغى له أن يتزوج تلك الحمقاء روزمارى، كان ينبغى عليه أن يتزوجك أنت ولو فعل لكان خيراً له".

"أعتقد أنك بدأت بتوجيه الإهانات".

"روزمارى مجرد حمقاء لعينة، كانت دائماً كذلك. كانت رائعة كالجنة وحمقاء كأرنب، إنها من النوع الذى يقع الرجال فى شركه لكنهم لا يبقون فيه أبداً. أما أنت، أنت فعلاً مختلفة. فلو وقع أحدهم فى حبك، فلن يمله أبداً".

لقد وصل إلى نقطة النيل منها، فقالت بنبرة مفاجئة من الإخلاص الساذج:

"هذا لو! لكنه لم يقع فى حبى!".

"تقصدين أن جورج لم يقع بحبك؟ لا تخدعى نفسك يا روث. فلو حدث أى شىء لـ روزمارى فسوف يتزوجك جورج فى الحال".

نعم، ها قد وصلنا. فتلك كانت بداية الأمر كله.

قال فيكتور وهو يراقبها:

"وأنت تعرفين ذلك مثلما أعرفه تماماً".

كانت يدا جورج على يديها وكلامه إليها دافئاً حنوناً - نعم، بالتأكيد كان كلامه صحيحاً... لقد التفت إليها، واعتمد عليها...

قال فيكتور بلطف: "لابد أن تكونى واثقة من نفسك أكثر من ذلك يا فتاتى الطيبة، إن بإمكانك طى جورج حول إصبعك الصغير. فـ روزمارى مجرد فتاة

حمقاء".

حدثت روث نفسها قائلة: "هذا صحيح. لو لم تكن روزمارى موجودة، لجعلت جورج يطلب منى الزواج. فسوف أكون مناسبة تماماً له. وكنت لأعتنى به أيضاً".

شعرت بغضب حاد ومفاجئ، كان حنقاً عاطفياً متصاعداً وكان فيكتور ينظر إليها بقدر كبير من الاستمتاع. فقد كان دائماً يحب زرع الأفكار فى عقول الناس. أو أن يظهر لهم من أفكارهم ما خفى عليهم، كما فى حالة روث...

نعم، كانت تلك هى البداية – فى ذلك اللقاء العابر مع شخص سيتجه فى اليوم التالى إلى آخر الدنيا. روث التى عادت إلى المكتب لم تعد أبداً هى روث التى غادرته، رغم أن أحداً لم يلحظ أى تغيير على روحها أو حتى على مظهرها.

وبعد وصولها إلى المكتب بقليل، اتصلت روزمارى بارتون هاتفياً.

"السيد بارتون قد ذهب للتو لتناول الغداء، هل من مساعدة أستطيع تقديمها؟".

"نعم يا روث لو تفضلت، الكولونيل رايس المتعب أرسل برقية يقول فيها إنه لن يستطيع حضور حفلة عيد ميلادى. فاسألى جورج من يحب أن يدعوه بدلاً منه. فنحن حقاً بحاجة لدعوة شخص بديل، فهناك أربع نسوة سيحضرن. إيريس باعتبارها مدعوة وساندرا فاراداى ومن أيضا سيأتى؟ إننى حقاً لا أستطيع التذكر!".

"أنا الرابعة على ما أعتقد، فقد وجهت إلىّ دعوة كريمة".

"أوه، بالطبع. لقد نسيت أمر دعوتك تمامًا!".

جاءت ضحكة روزمارى رنانة. ولم تر احمرار وجه روث ليسينج وهى تصر على فكيها.

لقد تمت دعوتها لحضور الحفلة كمعروف - كتنازل من أجل جورج! "نعم سوف ندعو روث، فإنها فى النهاية ستسعد لأنها دعيت ولأنها مفيدة على نحو كبير، وأنها أيضاً تصلح لتقديمها فى مناسبات كهذه".

فى تلك اللحظة عرفت روث أنها كانت تكره روزمارى بارتون.

كرهتها لأنها غنية وجميلة ومستهترة وخاملة. فلا هى مضطرة لعمل مكتبى شاق - وكل شىء يقدم إليها على طبق من ذهب، فلديها الحب والزوج المحب لدرجة الجنون - فلا حاجة عندها للعمل أو التخطيط.

حقد، وذلة نفس، وغرور، وجمال لعوب...

قالت روث بصوت منخفض للهاتف الساكن: "أتمنى لو تموتين".

لقد صعقتها تلك الكلمات. فإنهم لم يكنوا لها حباً مطلقاً، ولم تكن أبداً محل تعاطف أو حماسة؛ فهى فقط تلك المرأة الجامدة الطيعة الكفء.

سألت نفسها: "ما الذى جرى لى؟".

لقد كرهت روزمارى هذا المساء. وقد ظلت تكره روزمارى بارتون بعد هذا اليوم بعام كامل.

ربما يوماً ما تتمكن من نسيان روزمارى بارتون. لكن ليس الآن.

عادت بذاكرتها عامدة إلى تلك الأيام من شهر نوفمبر.

تذكرت جلوسها إلى جانب الهاتف وموجة من الكراهية تجتاح قلبها حيال روزمارى...

أخبرت جورج برسالة روزمارى بصوت متزن ومهذب. واقترحت حلاً للموقف

وهو ألا تأتى هى إلى الحفلة حتى يظل عدد الرجال والنساء فى تعادل. لكن جورج رفض هذا الحل على الفور!

بوصول خبر إبحار سان كريستوبال فى اليوم التالى، هدأ جورج وابتهج.

"إذن فقد سافر على متنها بالفعل؟".

"نعم. فلم أعطه المال إلا قبل رفع السلم مباشرة". وترددت قليلاً، ثم قالت: "لقد لوح لى من على متن السفينة ونادى بصوت عالٍ: "حبى وقبلاتى إلى جورج وأخبريه بأننى سوف أشرب نخبه الليلة".

قال جورج: "وقاحة!"، ثم سألها فى شغف: "كيف وجدته يا روث؟".

كان صوتها غير واضح المعالم وهى تجيبه: "مثلما توقعته، إنه رجل ضعيف".

وبينما لم ير جورج شيئاً ولم يلاحظ شيئاً كانت هى ترغب فى الصياح قائلة: "لماذا أرسلتنى لمقابلته؟ هل كنت تعلم ما يمكن أن يفعله بى؟ ألم تلاحظ أننى مختلفة عن الأمس؟ ألا ترى أننى فى خطر؟ وأن أحدا لا يدرى ما قد أقدم عليه؟".

لكنها بدلاً من ذلك تابعت بصوتها الجاد: "أما عن ذلك الخطاب الصادر من سان باولو...".

ثم استرسلت فى حديثها عن العمل، كانت سكرتيرة على درجة عالية من الكفاءة...

بعد ذلك بخمسة أيام كانت حفلة عيد ميلاد روزمارى.

خاضت يوم عمل هادئاً حيث ذهبت إلى مصفف الشعر - ثم ارتدت فستانًا جديدًا أسود، وازدانت على نحو بارع ولقد بدا وجهها وكأنه ليس لها حيث بدا

وجهاً باهتاً، وحازماً، وحاداً.

كان صحيحاً ما قاله عنها فيكتور دراك؛ فهى لا تحمل فى قلبها شفقة.

لاحقا، وحين وقفت محدقة عبر الطاولة إلى وجه روزمارى بارتون الأزرق المتشنج، لم تشعر حينها أيضاً بأية شفقة.

الآن، وبعد مرور أحد عشر شهراً، وحين فكرت ثانية فى روزمارى بارتون، شعرت فجأة أنها خائفة...

الفصل الثالث

أنطونى براون

قطب أنطونى براون حاجبيه عابساً حين حلت بتفكيره روزمارى بارتون.

لقد كان أحمق كما لم يكن من قبل حين فكر فى الاقتراب منها، على الرغم من أن الرجل قد يُلتمس له العذر على ذلك! فهى بلا شك تستطيع جذب كل عين إليها. وفى تلك الليلة فى دورشيستر لم يستطع تحويل بصره عنها. فقد كانت فى جمال الحور وربما فى ذكائهن أيضا!

لقد وقع فى شراكها تمامًا. وبحث باستماتة فى محاولة منه للعثور على شخص يستطيع أن يعرفه عليها. لكنه ظل صارماً بشدة حين كان الأمر يتعلق بالتزامات تخص العمل. فهو على أية حال لن يقضى أيامه متسكعاً فى الكلاريدج لمجرد الاستمتاع.

لكن روزمارى بارتون كانت من اللطف بحيث تغفر بعض لحظات الغياب عنها، كان كل ما يملكه الآن هو أن يؤنب نفسه ويعجب من حمقه الذى كان عليه. ولحسن الحظ لم يكن هناك ما يندم عليه، فبمجرد أن تحدث إليها بدأ سحرها يخبو وأخذت الأمور حجمها الطبيعى بينهما. فلم يكن ذلك حباً ولم يكن حتى إعجاباً. فلم يكن أكثر من وقت جميل قضياه معاً لا أكثر من ذلك و لا أقل.

والحق أنه استمتع بهذا الوقت، وكذلك استمتعت به روزمارى. لقد كانت ترقص مثل الملاك وكلما ذهبا إلى مكان جذبت إليها أنظار الحضور. لقد كانت تعطى لمن يرافقها إحساساً غامراً بالسعادة. وهذا طالما لم تنتظر منها حديثاً. لقد حمد الله أنه لم يتزوجها. فماذا يبقى بعد أن تعتاد حسن صورتها وقدها؟ إنها لم تكن حتى تحسن الاستماع إلى الآخرين. إنها من نوع النساء الذى يود أن تخبرهن كل صباح على

الإفطار بأنك مغرم ولهان بهن!

أوه، من الجيد جداً التفكير فى هذا كله الآن.

لقد وقع فى شراكها، أم لم يكن الأمر كذلك؟

فقد تعلق بها بشدة. أحاط بها بشدة، خرج معها، راقصها، احتضنها فى سيارة الأجرة. كاد أن يجعل من نفسه أضحوكة حتى كان ذلك اليوم الفاجعة الذى لا يمكن تصديقه.

يذكر تماما كيف بدت يومها، فهذه خصلة من شعرها الكستنائى انحلت منسابة على إحدى أذنيها، ورموش عينيها السفليين وذاك الشعاع المنطلق من عينيها شديدة الزرقة ونتوء شفتيها الناعمتين.

"أنطونى براون. إنه اسم جميل!".

قال بلامبالاة:

"إنه حقاً اسم عتيق وذو شرف. ثمة حاجب للملك هنرى الثامن كان يدعى أنطونى براون".

"أحد أجدادك مثلاً؟".

"لا أستطيع الجزم بذلك".

"خير لك ألا تفعل!".

رفع حاجبيه قائلاً:

"أنا من سلالة المستوطنين".

"من المستوطنين الإيطاليين، أليس كذلك؟".

فضحك قائلاً: "أهذا للون بشرتى الزيتونى؟ إن لى أماً إسبانية".

"هذا يفسر كل شىء".

"ماذا يفسر؟".

"الكثير سيد أنطونى براون".

"يبدو أنك مغرمة جداً باسمى".

"نعم، إنه اسم لطيف".

ثم أردفت على نحو مباغت: "ألطف من تونى موريلى".

للحظة لم يصدق ما سمعته أذناه! غير معقول، مستحيل!

أمسك بها من ذراعيها، فحاولت التملص من قسوة قبضته.

"أنت تؤلمنى!".

"من أين أتيت بهذا الاسم؟".

كان صوته فظاً وبه رنة وعيد.

ضحكت سعيدة بالأثر الذى أحدثته. تلك الحمقاء الصغيرة!

"من أخبرك؟".

"شخص ما تعرف عليك".

"من كان هذا الشخص؟ هذا أمر لا هزل فيه روزمارى. لابد لى أن أعرف من هو".

رمقته بنظرة سريعة.

"ابن عم لى سيئ السمعة، يدعى فيكتور دراك".

"لم أقابل قط أى شخص بهذا الاسم".

"ربما لم يكن يستخدم هذا الاسم حين تعرفت عليه حفاظاً على مشاعر العائلة".

قال أنطونى ببطء: "أدركت الأمر الآن، كان ذلك فى السجن؟".

"نعم. لقد كنت أقرأ عن سلوك فيكتور المشين وأخبرته بأنه يسىء إلينا جميعا. ولم يكن ليبالى بالطبع. وبعدها ابتسم لى قائلاً: "أنت أيضاً فى بعض الأحيان تقعين فى مواطن الخزى عزيزتى. فقد رأيتك بالأمس تراقصين سجيناً سابقاً، وهو الآن أعز أصدقائك. إنه ذاك الذى سمعتك تناديه أنطونى براون. لكن فى السجن كان يسمى تونى موريلى".

قال أنطونى فى صوت مستخف:

"لابد أن أجدد معرفتى برفيق شبابى هذا، إن رفاق السجن لابد لهم أن يظلوا أوفياء لبعضهم".

هزت روزمارى رأسها: "لقد فات الأوان. فقد أبحر إلى أمريكا الجنوبية. أبحر بالأمس فقط".

أخذ جورج نفساً عميقًا ثم قال: "حسناً. إذن أنت الوحيدة التى تعرفين أمرى".

أومأت برأسها: "لن أشى بك".

"يجدر بك ألا تفعلى". كان صوته صارماً وهو يتابع: "اسمعى، روزمارى، الأمر جد خطير. لا أحسبك تودين أن يقوم أحدهم بتشويه وجهك الجميل هذا، أليس كذلك؟ هناك أشخاص لا يحبون شيئاً قدر ولعهم بتشويه جمال فتاة. وقد يصل الأمر إلى القتل أيضاً. تلك أمور لا يقتصر حدوثها فى الروايات والأفلام بل تحدث فى الواقع أيضاً".

"هل تهددنى ياتونى؟".

"فقط أحذرك".

لكن هل قبلت تحذيره؟ هل لاحظت أنه جاد للغاية؟ يا لها من حمقاء. فما من حدس بهذا الرأس الجميل الخاوى. لا يمكنك أبداً أن تعتمد عليها فى كتمان أمر. ومع ذلك فإن عليه أن يعيد الكَرَّة ويلح على قصده.

"انسى أنك سمعت يوماً باسم تونى موريلى، هل تفهمين؟".

"ليس لدىّ مانع يا تونى. فأنا ذات عقل متفتح. إننى أشعر بالإثارة لأننى قابلت مجرماً. ولست بحاجة إلى أن تخجل من ذلك".

يا لتلك الفتاة البلهاء. نظر إليها فى برود. وتساءل فى تلك اللحظة لو أنه تخيل ولو للحظة أن يعالج الأمر بحسم. إنه لم يكن ليقدر قط على أن يعاقب حمقاء وهو سعيد لذلك – حتى لو كانت حمقاء حسناء.

قال بشكل صارم: "انسى أمر تونى موريلى، أنا أعنى ما أقول. لا تذكرى هذا الاسم مجدداً".

لقد أصبح من الواجب عليه أن يغادر. ذاك هو الشىء الوحيد الذى يمكنه فعله. فلا يمكنه الاعتماد على صمت تلك الفتاة، فسوف تتحدث بمجرد شعورها بالرغبة

فى الكلام.

كانت تبتسم له – كانت ابتسامة ساحرة، لكنه ظل متسمراً فى مكانه.

"لا تكن عنيفاً هكذا. أريدك أن ترافقنى إلى مرقص الجاروس فى الأسبوع القادم".

"لن أكون هنا. فأنا مسافر".

"ليس قبل حفلة عيد ميلادى. لا تخيب أملى فيك. فأنا أعول على حضورك. والآن لا تقل لى إنك لن تأتى. لقد كنت أعانى بشدة من الإنفلونزا ولازلت أحس بالوهن الشديد. فلا تزد ألمى. لابد أن تأتى".

كان عليه أن يبقى صلباً. بل كان عليه أن يدع الأمر برمته – ويبتعد فى الحال.

لكنه بدلاً من ذلك، وعبر الباب المفتوح، رأى إيريس تهبط الدرج. كانت إيريس معتدلة ورشيقة القوام، ولها وجه شاحب وشعر أسود وعينان رماديتان. كانت إيريس أقل جمالاً بكثير من روزمارى ولها صفات ليست لـ روزمارى ولن تكون لها قط.

فى تلك اللحظة كره نفسه لأنه سقط ضحية، ولو إلى درجة طفيفة، لسحر روزمارى. لقد شعر حينها وكأنه روميو الذى تذكر روزالين عندما رأى جولييت لأول مرة.

لقد غير أنطونى براون رأيه.

وفى جزء من الثانية رتب لنفسه ترتيباً جديداً بالكلية.

الفصل الرابع

ستيفين فاراداى

كان ستيفين فاراداى يفكر فى روزمارى – كان يفكر بذلك الهول العجيب من الوله الذى كانت تثيره صورتها فى نفسه. كان دائماً ما يهرب من التفكير بها كلما ألحت عليه الأفكار – لكن فى بعض الأحيان، حين تلح عليه فى موتها كما كانت فى حياتها، تكون عصية على الانصراف.

كان رد فعله الأول هو ذاته دون تغيير كلما ذكر مشهد المطعم. إنه على أقل تقدير ليس بحاجة لتذكر ذلك المشهد مجدداً. لكن ذكريات أخرى تلح عليه، فيذكر روزمارى وهى حية، ويذكرها وهى تبتسم، ويذكرها وهى تتنفس ويذكرها وهى تشع بريقها فى عينيه...

يا له من أحمق – لكم كان أحمق بحق!

ثم استحوذ عليه الذهول، كان ذهولاً مربكاً بحق. كيف سار الأمر إلى ما سار إليه؟ لم يستطع ببساطة أن يفهم ما جرى. كان كما لو أن حياته انقسمت لشطرين. كان أحدهما، وهو الأكبر، تبدو حياته فيه على تطور حكيم متزن ومنتظم. أما الآخر المحدود كان فيه على جنون غير محدود. ولم يتسق الجزءان معًا.

وعلى الرغم من قدرته ومهارته وذكائه الحاد، فلم يكن لدى ستيفين إدراك داخلى بأن جانبى حياته متسقان تماماً معاً.

فى بعض الأحيان كان يتطلع إلى حياته مقيماً إياها ببرود وبلا مبالغة فى مشاعره، لكن كان ينظر إليها بقدر متزمت من تقدير ذاته. لقد كان منذ نعومة أظفاره عازماً على النجاح فى حياته. وعلى الرغم من الصعوبات والعوائق الأولى التى واجهته، فقد حقق النجاح.

كان لديه دوماً بساطة فى الاعتقاد والرؤية. فقد كان يعتقد فى الإرادة، وأن ما يريده الإنسان هو ما يقدر على فعله!

لقد صنع ستيفن فاراداى منذ صغره إرادته القوية. وكان ممن يسعون وراء مساعدة قليلة فى حياته لتوفر له جهوداً أكبر من لدنه. كان طفلاً ضئيل الجسم شاحباً يبلغ السابعة، له جبين جميل وذقن يشير لانعقاد عزمه، وقد قصد العلا - قصد العلا حقاً. ولم يكن والداه اللذان كان يعرفهما بالكاد، ذا نفع من أى نوع بالنسبة له. فقد تزوجت أمه من رجل دون طبقتها الاجتماعية وقد ندمت على ذلك. أما والده فكان مقاول بناء صغيراً، بارعاً، وماكراً، وبخيلاً، وكان محل احتقار زوجته وولده... أما عن أمه فكانت غامضة وبلا هدف ومتقلبة المزاج على نحو غير معقول، وكان ستيفن لا يشعر نحوها سوى بالحيرة وعدم الفهم حتى كان ذلك اليوم الذى وجدها مستلقية على ركن الطاولة وبيدها قارورة عطر فارغة تسقط من يدها. لم يخطر بباله قط أن الشراب هو السبب فى تقلب مزاج أمه. فهى لم تكن تعاقر الشراب أبداً. ولم يدرك قط أن ولع أمه بالعطور كان له سبب آخر بخلاف تفسيرها الغريب لعلاج الصداع.

لقد أدرك فى تلك اللحظة أنه لا يحمل الكثير من الحب لوالديه. ووجد بفطنته أنهما لن يقدما له الكثير. كان ستيفن ضئيلاً بالنسبة لسنه، هادئا، كثير التلعثم. كان أبوه يصفه بالضعيف الباهت. وكان مهذباً، وقليلاً ما يثير المشكلات فى المنزل. وكان أبوه ليفضل نموذجاً أكثر شغباً. (فقد كان مثيراً للمشكلات بشكل كبير فى سن ولده هذه). أحياناً كان ينظر إلى ستيفن ويتذكر فى أسى وضاعة أصله بالنسبة لأصل زوجته. وكان ستيفن منتمياً لهما.

بهدوء، وبعزم متنام، اختط ستيفن درب حياته المقبلة. وكان موقناً بالنجاح. وفى أول اختبار للإرادة قرر أن يسيطر على تلعثمه. فمارس التحدث ببطء مع تريث خاطف بين كل كلمة والتى تليها. وبمرور الوقت تكللت جهوده بالنجاح؛ فلم يعد

لتلعثمه أبداً. وفى المدرسة كرس نفسه لدروسه. فقد عزم أن ينهى تعليمه. فالتعليم يرتقى بأصحابه، وسريعاً بدأ اهتمام معلميه به وتشجيعهم له. بعدها حصل على منحة تعليمية. فقد كان أبواه على مقربة من مسئولى التعليم الحكومى – لقد أصبح مستقبل الغلام مبشراً. وكان السيد فاراداى قد كسب الكثير فى بناء صف من المنازل الرخيصة، واقتنع بأن يستثمر بعض المال فى تعليم ولده.

وفى سن الواحدة والعشرين عاد ستيفن من أكسفورد بدرجة جامعية مرموقة، وسمعة ببراعته فى الخطابة والفكاهة، وكذلك موهبته البارزة فى كتابة المقالات. إلى جانب ذلك، فقد كون بعض الصداقات المفيدة. كانت السياسة هى ما استهواه. فقد تعلم التغلب على خجله الفطرى وأن يتبنى سلوكيات اجتماعية رائعة – حيث التواضع، والود، ولمسة من ألمعية تجعل من حوله يقولون: "إن ذلك الشاب سيكون له شأن". وعلى الرغم من ولعه بالحزب الليبرالى، فإن ستيفن أدرك أن هذا الحزب قد مات. فالتحق بصفوف حزب العمال. وذاع صيته بسرعة "كشاب واعد"، لكن حزب العمال لم يقنع ستيفن. فقد رآه أقل انفتاحاً على الأفكار الجديدة وأكثر تدثراً بالتقاليد من غريمه القوى. فكان حزب المحافظين على الجانب الآخر محل مراقبة الموهبة الشابة الواعدة.

وهناك قبلوا ستيفن فاراداى – فقد كان من النوع الذى يبحثون عنه. فقد نافس على دائرة عمالية صلبة وفاز بها بأغلبية محدودة. وحصل ستيفن على مقعده فى مجلس العموم وقد امتلأت نفسه فرحة بالانتصار. وهكذا بدأ مجاله المهنى، وهذا كان المجال المهنى المناسب الذى اختاره لنفسه. ففى مجال كهذا يمكنه استغلال كل قدراته وطموحه. فقد أحس من داخله بقدرة لديه على أن يحكم، وأن يمارس حكماً رشيداً. فقد كان موهوباً فى كيفية التعامل مع الناس، وفى اختيار وقت الملاطفة ووقت المجابهة. وقد وجد فى نفسه أنه سيكون قادراً يوماً ما على دخول مجلس الوزراء.

وعلى الرغم من ذلك، وبعد أن انحسرت نشوته بدخول مجلس العموم، انقشعت سريعاً أوهام الترقى الخاطف إذ إن الفوز الصعب الذى حققه فى الانتخابات جعله محط الأنظار، أما الآن فهو واحد بين الآخرين، مجرد وحدة غير مهمة لا فى المرتبة ولا فى التصنيف، مجرد تابع لتوجهات الحزب، ودون أن يبرح مكانه. كان من الصعب أن يتجاوز دائرة الغموض التى تحيط به. فالشباب فى تلك المواقع ينظر إليهم بشىء من الريبة. والمرء فى هذا يحتاج إلى ما هو أبعد من الكفاءة. إنه بحاجة إلى النفوذ.

فثمة مصالح. وثمة عائلات. لابد أن يكون هناك من يدعمك.

بدأ يفكر فى الزواج. لم يكن حتى تلك اللحظة قد فكر فى الموضوع بشكل جدى. فى خياله ثمة صورة لم تنضج بعد لامرأة جميلة تقف بجواره تشاركه حياته وطموحه؛ امرأة تعطيه الولد ويلقى إليها بأثقال أفكاره ومواطن حيرته. امرأة تشعر بما يشعر به، امرأة تتوق مثله لنجاحه وتفخر به حين يحققه.

وذات يوم كان ضيفاً بحفل استقبال فى منزل آل كيدمينستر. وعلاقات هؤلاء هى الأقوى فى إنجلترا. فقد كانوا على الدوام عائلة سياسية عظيمة. فاللورد كيدمينستر بسمته الملكى، وقامته الطويلة المميزة كان معروفاً أينما ذهب أو حل. وكان وجه السيدة كيدمينستر الضخم الجامد الملامح مألوفاً على المنابر العامة وفى اللجان بكل أنحاء إنجلترا. وكان لديهم خمس بنات. ثلاث منهن جميلات، وولد وحيد لازال يدرس فى إيتون.

كانت عائلة كيدمينستر حريصة على تشجيع الأعضاء الشباب الواعدين بالحزب. ومن هنا أتت دعوة فاراداى لمنزلهم.

لم يكن يعرف العديد من الأشخاص هناك ووقف وحيداً بجانب إحدى النوافذ لمدة حوالى عشرين دقيقة بعد وصوله. كان حشد الضيوف يتضاءل حول طاولة

الشاى ويتفرق فى الغرف الأخرى؛ عندها لاحظ ستيفن شابة طويلة ذات رداء أسود تقف وحيدة بجانب الطاولة تتطلع للحظات فى حيرة.

كانت لدى ستيفن فاراداى عين بارعة فى قراءة الوجوه. ففى قطار الأنفاق هذا الصباح التقط مجلة "هوم جوسيب" كانت قد ألقت بها إحدى المسافرات. وقد تطلع إلى المجلة ببعض اهتمام. وقد رأى بها نسخة لصورة الليدى ألكسندرا هايل البنت الثالثة لـ إيرل كيدمينستر لكن ببعض البقع على الصورة. وكتب أسفل الصورة "... إنها دائماً خجولة وميالة للانسحاب – تحب الحيوانات – والليدى ألكسندرا تلقت دورة فى التدبير المنزلى فالسيدة كيدمينستر ترى أن بناتها ينبغى أن يتقن كل ما يتعلق بشئون المنزل".

وها هى الليدى ألكسندرا هايل تقف هناك، وبحس لا يخطئ لرجل خجول، علم ستيفن أنها أيضاً، كانت خجولة. فكون ألكسندرا أقل البنات الخمس جمالاً، جعلها تعانى إحساساً بالدونية. فعلى الرغم من أنها تلقت نفس التعليم والتربية التى نالتها أخواتها، فإنها لم تصل أبداً إلى لباقتهن مما أزعج أمها كثيراً. فلابد أن تبذل ساندرا جهداً فمن غير المعقول أن تبدو بلهاء أو غير لبقة.

لم يكن ستيفن يعلم ذلك. لكنه كان يعرف أن الفتاة تعانى الاضطراب والتعاسة. وفجأة تولد لديه إيمان راسخ أن تلك هى فرصته ! "اقتنصها أيها الأحمق. اقتنصها! فإما الآن وإما ضاعت للأبد!".

عبر الغرفة إلى البوفيه الطويل. ووقف بجانب الفتاة ثم التقط شطيرة. ثم التفت وتحدث إليها بعصبية ومجهود ضخم لم يتصنع ذلك فقد كان عصبياً بالفعل قائلاً:

"هل تمانعين إذا تحدثت إليك؟ أنا لا أعرف الكثير من الأشخاص هنا وأرى أنك كذلك. لا تصديني أرجوك؛ فأنا حقاً رجل خـ خـ خجول – كان تلعثم الماضى قد عاد إليه فى تلك اللحظة – وأعتقد أنك أنت الأخرى خجول، أليس كذلك؟".

تورد وجه الفتاة وفتحت فمها. لكن مثلما توقع، لم تستطع أن تنطق. فمن الصعب أن تجد كلمات كى تقول: "أنا ابنة صاحب البيت". بدلاً من ذلك اعترفت بهدوء:

"فى حقيقة الأمر، أنا - أنا فعلاً خجولة. لقد كنت دوماً كذلك".

استمر ستيفن قائلاً:

"إنه لإحساس فظيع. لا أعرف ما إذا كان المرء سيتغلب عليه يوماً ما. فى بعض الأحيان أشعر أنى مربوط اللسان".

"وكذلك أنا".

تابع حديثه - بسرعة نسبية وبقدر أقل من التلعثم - كانت طريقته طفولية وجذابة، إنها الطريقة التى كان عليها منذ سنوات مضت والآن عادت إليه على نحو واع، لقد كانت طريقة طفولية، وساذجة، ولينة.

قاد الحديث لموضوع المسرحيات، فذكر إحدى تلك المسرحيات التى يجرى عرضها الآن وتنال اهتمام الكثيرين. كانت ساندرا قد شاهدت المسرحية. فتناقشا فيها. وكانت المسرحية تعالج أمراً يتعلق بالخدمات الاجتماعية فقادهما ذلك سريعاً لمناقشة حول إجراءات تلك الخدمات.

لم يبالغ ستيفن فى تضخيم الأمور. فقد رأى السيدة كيدمينستر تدخل الغرفة باحثة عن ابنتها. ولم يكن قد انتوى تقديم نفسه الآن، فتمتم مودعاً إياها.

"لقد استمتعت بالتحدث إليك. لقد كان الوضع برمته مزعجاً لى حتى التقيتك، شكراً لك".

غادر منزل كيدمينستر فى حالة من الانتعاش. لقد اغتنم فرصته. والآن عليه أن

يعزز ما بدأه.

ولأيام عديدة بعد ذلك، ظل ينزل فى الجوار لمنزل كيدمينستر. وذات مرة خرجت ساندرا مع إحدى أخواتها. وفى مرة أخرى غادرت وحدها، لكن فى عجلة. فهز رأسه. فلن يفلح الحديث معها هذه المرة، فمن الواضح أنها كانت فى الطريق لموعد. بعد ذلك وبعد أسبوع من الحفل كوفئ على صبره. فقد خرجت ذات صباح ومعها كلب سكوتى صغير واتجهت صوب المتنزه بخطوات متمهلة.

بعد خمس دقائق، توجه الشاب مسرعاً فى الاتجاه المعاكس ووقف أمام ساندرا وتعجب مرحاً:

"يا له من حظ! لم أتصور مطلقاً أننى قد ألقاك مجدداً".

كانت لهجته تحمل سروراً كبيراً حتى إن وجهها احمر خجلاً قليلاً.

انحنى باتجاه الكلب قائلاً:

"يا له من رفيق ظريف. ما اسمه؟".

"ماك تافيش".

"إنه اسم اسكتلندى".

تحدثا إلى الكلب لفترة، بعد ذلك قال ستيفن ببعض الارتباك:

"إننى لم أخبرك باسمى أبداً فى لقائنا ذلك اليوم. أنا فاراداى – ستيفن فاراداى. عضو مجلس نواب مغمور".

نظر إليها متسائلاً فى المقابل، ورأى تورد وجهها مرة أخرى وهى تقول: "أنا ألكسندرا هايل".

كانت استجابته لذكر اسمها مناسبة تماماً. فقد ادعى مزيجاً من الاندهاش، والإدراك، والحيرة، والارتباك!

"آه أنت إذن - السيدة ألكسندرا هايل - يا إلهى! لابد أنك وجدتنى غاية فى الحمق ذلك اليوم!".

كان منحى إجابتها عليه إجبارياً. فقد كانت مجبرة وفق أصول تربيتها ورقة قلبها الفطرية أن تفعل كل ما فى وسعها لتهدئ من روعه.

"كان علىّ أن أخبرك".

"بل كان علىّ أن أعرف. لابد أنك ظننت بى الحماقة!".

"كيف لك أن تعرف؟ ليس مهماً على أية حال. من فضلك سيد فاراداى لا تبتئس لذلك. هيا بنا نمشى إلى السيربنتين. انظر، إن ماك تافيش هو من يقودنا".

بعد ذلك، تقابلا عدة مرات فى المتنزه وأخبرها عن طموحه. وتناقشا معاً فى بعض أمور السياسة. وقد وجدها ذكية، واسعة الاطلاع، ومرهفة الحس. كانت ذات عقل نابه وفكر غير منحاز. وقد صارا صديقين الآن.

وقد تمت الخطوة التالية حين جرت دعوته للعشاء فى منزل كيدمينستر والمتابعة إلى الحفل الراقص. لقد تغيب أحد المدعوين من الرجال فى اللحظة الأخيرة. وبينما كانت السيدة كيدمينستر تفكر ملياً فى بديل، قالت ساندرا بهدوء:

"ماذا عن ستيفن فاراداى؟".

"ستيفن فاراداى؟".

"نعم. لقد كان فى الحفلة الماضية وقد قابلته من حينها مرة أو مرتين".

استشير اللورد كيدمينستر فى الأمر وكان محباً لتشجيع الشباب الواعد فى عالم السياسة، فقال عنه:

"شاب رائع – رائع حقًّا. لم أسمع عن أهله قط، لكنه سوف يصنع لنفسه اسماً يومًا ما".

وقد حضر ستيفن وأبلى بلاء حسناً.

قالت السيدة كيدمينستر بغطرسة فطرية: "إنه شاب يحسن التعرف إليه".

وبعد مرور شهرين، وضع حظوظه موضع الاختبار. كانا معا فى السيربنتين وماك تافيش واضعاً رأسه عند أقدام ساندرا.

"تعرفين ساندرا – لابد أنك تعرفين أننى أحبك. إننى أريدك للزواج. وما كنت لأطلب منك ذلك لو أننى غير مؤمن بأننى سأصنع لنفسى اسماً، فأنا فاعل ذلك قطعاً. إنك لن تخجلى من اختيارك لى، وأقسم لك على ذلك".

قالت: "لست خجلة".

"إذن فهل تهتمين بطلبى؟".

"ألا تعلم أننى أهتم؟".

"أتمنى ذلك – لكنى غير متأكد. أتعلمين أنى أحببتك منذ تلك اللحظة التى رأيتك فيها عبر الغرفة وحملت شجاعتى على يدى وتحدثت معك. فلم أرتعب فى حياتى قط مثل ذلك اليوم".

قالت: "أعتقد أننى أحببتك حينها أيضاً...".

لم يكن الطرق ممهداً تماماً، فاعتراف ساندرا الهادئ أنها سوف تتزوج ستيفن

فارادای جعل عائلتها تعترض على الفور. فمن يكون ستيفن هذا؟ وماذا يعرفون عنه؟

بالنسبة للورد كيدمينستر، كان ستيفن صريحاً بالنسبة لعائلته وأصله. فقد وفر على نفسه الكذب باعتبار أن موت والديه الفعلى لا يمثل فارقاً عند من تقدم لهم.

أما بالنسبة لزوجته، قال اللورد كيدمينستر: "إن رأيها ربما يكون أسوأ".

كان اللورد يعرف ابنته جيداً. يعلم أن طبيعتها الهادئة كانت تخفى تصميماً قوياً، وأنها إذا ما أرادت أن تتزوج هذا الشاب فسوف تتزوجه. فهى لا تستسلم أبداً!

"إن بانتظار الشاب مستقبلًا مهنيًا حقيقيًا. وببعض الدعم سوف ينطلق إلى أبعاد رحبة. وبإمكاننا حقاً أن نوفر ذلك لشاب صغير. فضلاً عن أنه يبدو شاباً مهذباً".

وافقت السيدة كيدمينستر هى الأخرى على مضض. فلم تكن ترغب فى تلك الزيجة لابنتها. إلا أن ساندرا كانت أعقد حالة بين أفراد العائلة. فكان لدى سوزان الجمال وكان لدى إستر رجاحة العقل، أما الصغيرة الذكية ديانا فقد تزوجت من دوق هاورتش الشاب – فى حفلة كانت حديث الموسم. أما ساندرا فكانت أقلهن سحراً – فضلا عن خجلها – وإذا كان لهذا الشاب مستقبل كما يتوقع الكثيرون...

فاستسلمت مغمغمة:

"لكن، لابد أن يكون له بعض النفوذ...".

وهكذا اتخذت ألكسندرا كاترين هايل ستيفن زوجاً لها فى السراء والضراء، فى ثوب زفاف من الستان الأبيض، وشريطة بلجيكية، ومع ست وصيفات للعروس

وغلامين صغيرين وكل لوازم الزفاف الأنيق. ذهبا إلى إيطاليا لقضاء شهر العسل وعادا إلى منزل صغير ساحر فى ويستمنستر. بعد ذلك بقليل، توفيت جدة ساندرا وتركت لها بيت كوين آن مانر الريفى الصغير المبهج. كان كل شيء على ما يرام بالنسبة للزوجين الشابين، وأقحم ستيفن نفسه فى الحياة البرلمانية بحماس متجدد. ساعدته ساندرا وحثته بكل وسيلة مجندة قلبها وروحها لطموحه، أحياناً كان ستيفن يشك فى أن يكون للحظ دور فيما جرى له! فمصاهرته لعائلة كيدمينستر صاحبة النفوذ مكنته من الارتقاء السريع فى سلمه المهنى. وقدراته الخاصة وذكاؤه يعززان موقفه من تلك الفرصة التى صنعت له. كان يؤمن إيماناً صادقاً بطاقاته الداخلية وكان معداً للعمل بلا هوادة من أجل مصلحة ورفعة شأن وطنه.

كثيراً ما كان ينظر عبر الطاولة نحو زوجته بامتنان شديد لقدر ما تبديه من عون له - كانت تلك هى الزوجة التى تمناها فعلاً. كان يحب تلك الخطوط البيضاء فى رأسها ورقبتها وكذلك عينيها البندقيتين المباشرتين تحت الحواجب. وجبينها الأبيض المرتفع والشموخ الخافت فى أنفها المعقوف. كانت تشبه فى ذهنه فرس سباق فى أناقته، وتفرد سلالته، وكبريائه. لقد وجد فيها الرفيقة المثالية، فكان عقلاهما يميلان سريعاً إلى ذات الاستنتاجات. حقاً، لقد رأى ستيفن فاراداى، ذلك الغلام البائس الضئيل، أنه أحسن لنفسه. فحياته سارت كما أراد لها بالضبط. فها هو لم يتخط الثلاثين إلا بعام أو بعض عام وقد أصبح النجاح فى متناول يده.

وبهذه الروح المنتصرة الراضية، رافق زوجته لقضاء أسبوعين فى فندق سانت مورتيز. وبينما هو يجول ببصره فى بهو الفندق إذ به يرى روزمارى بارتون.

لم يفهم ما حدث له فى تلك اللحظة. فقد صدق القائل : إن الحب جنون فمن خلال نظرة عابرة سقط صريعاً للحب. حب عميق، طاغ، ومجنون. لقد كان الحب المتهور، الطائش، المراهق الذى كان مفترضاً أنه مر به وتجاوزه منذ زمن بعيد.

لطالما ادعى أنه ليس من الصنف المحب من الرجال. فليس أكثر من علاقة عابرة أو علاقتين، وبعض الملاطفة الخفيفة - كان ذلك هو كل ما يعنيه الحب بالنسبة له. فاللذة الحسية لم تكن تغريه. فقد أقنع نفسه بأن من الصعب إرضاءه من خلال شيء كهذا.

ولو أنه سئل إن كان قد أحب زوجته، لأجاب قائلاً: "بالقطع" إلا أنه يعلم الآن أنه ما كان ليتزوجها لو كانت ابنة رجل ريفى معدم. لقدأعجب بها، وانبهر بها وكن لها عاطفة قوية، وكذا قدر لها ما صنعته له مكانتها.

ولأنه وقع فى الحب وهو الغلام المنعزل البائس قليل الخبرة، فقد كان حبه لها مفضوحاً، فلم يعد يفكر فى شيء سوى روزمارى. لا يفكر إلا فى وجهها الجميل الباسم، وشعرها الكستنائى الكثيف، وقوامها المثير المتمايل، لم يعد يطيق الطعام أو النوم. ذهبا للتزلج معاً، ورقصا معاً، وكلما ضمها إليه تأكد أنه يريدها أكثر من أى شيء آخر على وجه الأرض. وهكذا كانت مأساته، وكان عذابه الممتد - هكذا كان حبه!

ومع هذا الانشغال الكامل بـ روزمارى، فقد حمد الله أن رزقه سلوكاً هادئاً. فلا ينبغى لأحد أن يخمن أو يعرف بما كان يشعر به سوى روزمارى فقط.

غادرت عائلة بارتون قبل عائلة فارادای بأسبوع، وقال ستيفن لـ ساندرا إن سانت مورتيز لم يعد مسلياً. وعرض عليها أن يقطعا إقامتهما ويعودا إلى لندن. وافقت ساندرا بلطف شديد. وبعد أسبوعين من عودتهما، أصبح محبوب روزمارى.

كانت فترة انتشاء واضطراب غريبة - كانت محمومة وخيالية. فكم دامت؟ ستة أشهر على الأكثر، ستة أشهر كان ستيفن يذهب فيها إلى عمله كالعادة، فيزور دائرته الانتخابية ويطرح الأسئلة فى المجلس، ويخطب فى العديد من اللقاءات ويناقش أمور السياسة مع ساندرا ويفكر فى شيء واحد فقط - روزمارى.

ففكره كان منصباً على تلك اللقاءات السرية بتلك الشقة الصغيرة وجمالها الفاتن وسيل الغزل الذى يمطرها به، وأحضانها الشهية الحميمة. كان شيئاً كالحلم، حلم مثير وساحر.

وبعد الحلم - جاء وقت اليقظة.

ويبدو أنه قد حل فجأة.

كان مثل الخروج من النفق المظلم إلى ضوء النهار.

ففى يوم، كان ستيفن ذلك المحب الشغوف. وفى اليوم التالى عاد ل. ستيفن فارادای القديم الذى يفكر بعدم ملاقاة روزمارى ثانية. لقد أنهى كل ما كان، فبلقائهما، يخاطران مخاطرة جسيمة. فلو أن ساندرا شكت فى الأمر - كان يسترق إليها النظر عبر طاولة الإفطار وحمد الله أنها لم تشك فى الأمر؛ فليس لديها أى فكرة عن الأمر. إلا أن حجج غيابه عن المنزل لم تعد مقنعة، إن نساء غيرها كن ليشتممن رائحة شيء ما. فحمداً لله أن ساندرا ليست من النوع المتشكك من النساء.

أخذ نفساً عميقاً. حقاً لقد كان هو وروزمارى طائشين بحق! إن من العجيب أن زوجها لم ينتبه لشيء. إنه أحد هؤلاء الحمقى الذين لا يشكون فى شيء أبداً - وهو الأكبر سناً منها بكثير.

لكم كانت مخلوقة جميلة...

فكر فجأة فى لعب الجولف. تخيل الهواء العذب يهفو على التلال الرملية. والسير على الأقدام مع المضارب، والتلويح بالمضرب قبل اللعب - تلك إصابة متقنة للهدف - وتلك لعبة صغيرة بعصا الجولف. وها هم الرجال يرتدون سراويل الجولف الواسعة ويدخنون غلايينهم. ولكن لم يكن مسموحاً للنساء بدخول ملعب

الجولف!

قال فجأة ل. ساندرا:

"ألا نذهب إلى فايرهيفين؟".

نظرت إليه بدهشة.

"هل ترغب أنت فى ذلك؟ هل تستطيع أن تفر من أعبائك؟".

"يمكننا النزول هناك لمدة أسبوع. فأنا أرغب فى لعب الجولف. وأشعر أننى مرهق".

"يمكننا أن نذهب غداً إذا أردت. هذا يعنى تأجيل موعد أستليز، ولابد من إلغاء موعد يوم الثلاثاء. لكن ماذا عن موعد لوفاتس؟".

"لنلغ ذلك أيضاً. يمكننا أن نختلق بعض الأعذار. فأنا أريد الهروب بعيداً".

كانت اللحظات فى فايرهيفين وادعة مع ساندرا والكلاب فى شرفة المنزل وفى الحديقة المسورة القديمة، ومع لعب الجولف فى ساندلى هيث، وفى التسكع إلى المزرعة فى المساء وماك تافيش يلاحقه.

شعر وكأنه شخص يتعافى من مرض قد ألم به.

عبس وجهه حين رأى خطاباً من روزمارى. لقد أخبرها ألا تكتب له. فقد كان ذلك خطيراً للغاية. وعلى الرغم من أن ساندرا لم تسأله قط عن مصدر هذه الخطابات، تبقى المراسلة أمراً غير حكيم فى كل الأحوال. فالخدم لا يمكن الوثوق بهم أبداً.

مزق الظرف ليفتح الخطاب ببعض الضيق. وأخذ الخطاب إلى مكتبه، لقد كان

ببساطة عبارة عن صفحات كاملة.

وبينما كان يقرأ، عاوده سحرها القديم. لقد هامت به. لقد أحبته أكثر من السابق. لم تكن تتحمل عدم رؤيته مدة خمسة أيام كاملة. هل كان يشعر نفس الشعور؟ هل كان النمر مفتقداً مراعيه؟

كان على وجهه نصف ابتسامة، ونصف حسرة. فتلك النكتة السخيفة ولدت عندما اشترى لها روب دى شامبر المنقط وكان قد أعجبها. قال لها: "إن النمر يغير بقعه. لكن لا ينبغى لك حبيبتى أن تغيرى جلدك". بعد ذلك أطلقت عليه اسم النمر وقد أطلق عليها هو الآخر الجمال الأسود.

أمر سخيف بالكلية. نعم سخيف تماماً على الرغم من كونه جميلاً أن تكتب له تلك الصفحات والصفحات. ولكن لم يكن ينبغى أن تفعل. مزق الورق كله. كان ينبغى عليهما أن يكونا أكثر حرصاً! فلم تكن ساندرا من ذلك النوع من النساء التى تقف مكتوفة الأيدى أمام أمر كهذا. لو أن الشك ساورها مرة واحدة - إن كتابة الخطابات فكرة خطيرة. وقد أخبر روزمارى بذلك، لماذا لم تنتظر حتى يعود؟ إنه سينهى الأمر برمته. وسوف يراها فى غضون يومين أو ثلاثة أيام.

كان هناك خطاب آخر على طاولة الإفطار فى صباح اليوم التالى، وهذه المرة سخط ستيفن فى نفسه. إن عينى ساندرا قد وقعتا عليه لثانية أو اثنتين. لكنها لم تقل شيئاً. حمداً لله أنها ليست من ذلك النوع من النساء اللواتى يسألن أسئلة عن مراسلات أزواجهن.

بعد الإفطار أخذ السيارة إلى المتجر على بعد ثمانية أميال. لم يشأ أن يجرى اتصالاً هاتفياً من القرية. وهناك اتصل ب. روزمارى.

"مرحباً - أهذه أنت روزمارى؟ لا تكتبى أية خطابات بعد الآن".

"حبيبى ستيفن. لكم هو جميل أن أسمع صوتك!".

"احترسى هل هناك من يسمعك".

"بالطبع لا، أيها الملاك. لقد افتقدتك كثيراً. هل افتقدتنى أنت الآخر؟".

"نعم بالطبع. لكن لا تكتبى لى أى خطابات. إنه لأمر شديد المخاطرة".

"هل أعجبك خطابى؟ هل جعلك تشعر وكأننى معك؟ أريد أن أقضى معك كل دقيقة يا حبيبى. هل تشعر بذلك أنت أيضاً؟".

"نعم - لكن ليس عبر الهاتف. إنه لأمر قديم".

"يا لتحذيراتك السخيفة. ومن يبالى؟".

"أنا أفكر فيك أيضاً يا روزمارى ولا أستطيع أن أتحمل أى مشاكل قد تلحق بك بسببى".

"أنا لا أهتم بما قد يحدث لى. أنت تعلم ذلك".

"حسناً، أما أنا فأهتم يا عزيزتى".

"متى ستعود؟".

"يوم الثلاثاء".

"وسوف نلتقى فى الشقة يوم الأربعاء".

"نعم".

"عزيزى، أنا لا أتحمل الانتظار. هل تستطيع أن تتعذر ببعض الأمور وتأتى اليوم؟

أوه يا ستيفن هل تستطيع! تعذر بأمر من أمور السياسة أو أى أمر غبى كهذا؟".

"أخشى أن يكون هذا محالاً".

"لا أصدق أنك قد اشتقت لى نصف مقدار شوقى إليك".

"هراء. لقد اشتقت إليك بالطبع".

عندما أنهى المكالمة أحس بأنه مرهق. لماذا تصر النساء على تهورهن؟ ينبغى عليه وعلى روزمارى أن يكونا أكثر حرصاً فى المستقبل. وألا يكثرا من المقابلات أيضاً.

أصبحت الأمور بعد ذلك أكثر صعوبة. فقد انشغل بشدة – انشغل فعلاً. وأصبح من المستحيل أن يعطى الكثير من الوقت لـ روزمارى. وما زاد الأمر مشقة أنها لم تكن قادرة على تفهم الأمر. لقد فسر لها الأمر لكنها لم تنصت إليه.

"يا للسياسة البغيضة هذه – وكأن لها أهمية حقيقية!".

"لكنها كذلك بالفعل".

لم تكن مدركة. لم تكن مهتمة. لم يكن لديها أى اهتمام بعمله ولا بطموحه، كان جل همها أن يكرر على مسامعها مراراً وتكراراً أنه يحبها. "هل تحبنى كما فى السابق؟ أخبرنى مجدداً أنك تحبنى بالفعل؟".

لقد أدرك بالتأكيد فى ذلك الوقت أنها لا تقيم وزناً لعمله! لقد كانت مخلوقاً جميلاً، يمكنك أن تحبه، لكنك تواجه المتاعب حيث لا تستطيع التحدث معه.

المشكلة أنهما كانا يلتقيان كثيراً بعضهما البعض. ولا يمكن أن تبقى الأمور على حرارتها على الدوام. كان عليهما أن يقللا من تلك اللقاءات.

لكن ذلك أثار استياءها بشدة، فأصبحت دائمة اللوم له.

"إنك لم تعد تحبنى مثلما كنت تفعل فى الماضى".

وحين كانت تؤنبه، كان عليه أن يؤكد ويقسم لها إنه بالفعل يحبها. وبالتالى تطلب منه أن يحيي ما كان بينهما فى الماضى.

"هل تتذكر حين قلت لى لكم هو جميل لو متنا معاً؟ ونمنا كل يوم وذراع كل منا محيطة بصاحبه؟ هل تذكر عندما قلت لى إنك تتمنى لو اتخذنا خيمة وعشنا بداخلها فى الصحراء؟ حيث لا شىء سوى النجوم والجمال - وكيف أننا سوف ننسى أى شىء آخر فى العالم؟".

يا لها من سخافات تلك التى يقولها المرء عندما يكون غارقاً فى الحب! لم تبد الكلمات حمقاء فى ذلك الوقت، لكن عليه أن يسكت تلك الكلمات بدم بارد الآن! لماذا لا تستطيع المرأة تسيير الأمور فى حدها المحتشم؟ فالرجل لا يحب من يذكره دوما بقدر ما كان عليه من حماقة.

خرجت عليه فجأة بطلب لم يكن معقولاً بالمرة. سألته إن كان يستطيع الذهاب إلى جنوب فرنسا حيث تلاقيه هناك؟ أو أن يذهب إلى سيسيلى أو إلى كورسيكا فهناك لن يريا أى شخص يعرفانه؟ وقال ستيفن كدرا إنه لا يوجد مكان فى العالم بهذا الوصف. فحتى فى الأماكن البعيدة غير المتوقعة، من الممكن أن تقابل صديقاً عزيزاً من أصدقاء الدراسة لم تكن قد قابلته منذ أعوام.

بعدها قالت شيئاً أخافه كثيراً.

"حسناً. وما أهمية أن يرانا أحد؟".

وفجأة تنبه وبردت مشاعره من الداخل.

"ماذا تعنين؟".

كانت تبتسم له، تلك الابتسامة الساحرة التى جعلته ذات يوم يسلم إليها قلبه وتدغدع عظامه رغبة، أما الآن فهى تدفعه لنفاد الصبر.

"عزيزى نمر. لقد رأيت أنه من الحمق أن نستمر فى متابعة أمرنا فى السر. فهو عمل رخيص بشكل ما. فدعنا نبتعد معاً. دعنا نوقف هذا الادعاء. سوف أنفصل عن جورج وأنت تنفصل عن زوجتك وبعدها يمكننا الزواج".

بهذه السهولة! تلك كارثة! خراب! وهى لا تستطيع فهم ذلك!

"لن أدعك تفعلين شيئاً كهذا".

"لكن ياعزيزى، أنا لا أهتم. فأنا لست امرأة تقليدية".

لكنه كان يحدث نفسه قائلاً: "لكنى كذلك، أنا رجل تقليدى".

"أنا أشعر أن الحب هو أهم شىء فى العالم. ولا يهم ما يظنه الناس فينا".

"لكن الأمر يهمنى يا عزيزتى. فضيحة كبيرة من هذا النوع قد تكون نهاية لمشوارى المهنى".

"وهل لذلك أهمية حقاً؟ فهناك العديد من الأشياء التى يمكن أن تعمل بها غير السياسة".

"لا تكونى حمقاء".

"ولماذا ينبغى عليك العمل على أية حال؟ إن لدىّ الكثير من الأموال وأنت تعلم ذلك. وأنا أعنى مالى الخاص وليس ما يخص جورج. نستطيع أن نطوف العالم كله وأن نذهب إلى أبعد الأماكن وأكثرها سحراً. وربما تلك التى لم يذهب إليها أحد من قبل. أو إلى جزيرة فى المحيط الهادى. تخيل ذلك: الشمس الدافئة والبحر الأزرق

والشعاب المرجانية".

لقد فكر فعلا فى الأمر. جزيرة فى جنوب البحر! وكل تلك الأفكار المجنونة. كيف اعتقدت أنه رجل تافه إلى هذا الحد - يقضى حياته متسكعاً على الشواطئ؟

نظر إليها بعينين بارزتين خرج منهما آخر قدر من التقدير لها. يا لها من مخلوقة جميلة تحمل عقل دجاجة! لقد كان مجنوناً بكل ما فى الكلمة من معان. لكنه عاد لعقله الآن ويريد الخروج من تلك الورطة. فإن لم يكن حريصاً، فسوف تدمر حياته بأكملها.

لقد قال كل الأشياء التى قالها مئات الرجال من قبله. ولابد لهما أن ينهيا هذا الأمر تماماً. ولهذا كتب لها. كتب أن الانفصال لمصلحتها هى. فهو لا يستطيع المغامرة بجلب التعاسة لها. لكنها لم تتفهم الأمر - مرة بعد مرة بعد أخرى.

لقد انتهى الأمر تماماً - ولابد أن يقنعها بذلك.

لكن رفضت أن تفهم. لم يكن إقناعها بالأمر الهين؛ فقد كانت متيمة به. لقد أحبته أكثر من اللازم. ولم تعد تستطيع العيش بدونه! ورأت أن من الصدق أن تخبر زوجها وأن يخبر ستيفن زوجته بالحقيقة! تذكر البرود الذى كان يشعر به وهو يقرأ رسالتها. تلك الحمقاء، تلك الحمقاء الشغوف! ستذهب وتشى بالسر لـ جورج بارتون وبعد ذلك ينفصل عنها جورج ويقاضيه باعتباره شريك الخيانة. وقد تطلقه ساندرا رغماً عنه هو الآخر. لم يكن لديه أى شك فى أن ذلك ما قد يحدث. لقد تحدثت ذات مرة عن صديق وقع فى ذلك، وقالت فى دهشة باهتة: "لكن بالطبع ليس أمام زوجته - حين علمت بعلاقته بامرأة أخرى - سوى أن تطلقه". ذلك ما كانت ساندرا لتفعله به. فقد كانت ذات كبرياء. وما كانت لتقاسم امرأة أخرى فى رجل أبداً.

وعندها يكون قد انتهى، نعم انتهى، ودعم عائلة كيدمينستر المؤثر سوف يتلاشى، ستكون فضيحة لن يستطيع التعايش معها، حتى لو أبدى الرأى العام تفتحاً على غير ما اعتاد. لكن ذلك لا يكون فى فضيحة منكرة كهذه! وساعتها سيودع أحلامه وطموحاته. فكل شىء سيكون حطاماً - وهذا كله بسبب إعجابه المجنون بفتاة سخيفة. بسبب حب مراهق. كان ذلك كل ما كان. حب مراهق حصل فى الوقت غير المناسب من الحياة.

لقد أوشك على أن يخسر كل شىء راهن عليه. ولن يبقى سوى الفشل والخزى!

وسيخسر ساندرا...

وفجأة صدم بشعور مفاجئ حينما أدرك أنه لا يرضى بخسارتها. أيفقد ساندرا. ساندرا بجبهتها العريضة البيضاء وعينيها البندقيتين الصافيتين. ساندرا صديقته ورفيقته العزيزة، بكبريائها وفخرها به وولائها له. كلا، لا يمكن أن يخسر ساندرا يمكنه أن يتقبل أى شىء إلا أن يخسر ساندرا.

وهنا تفصد العرق من جبينه.

فبطريقة ما عليه أن يخرج من هذا المأزق.

بطريقة ما لابد لـ روزمارى أن تذعن لنداء العقل... لكن هل ستنصاع؟ فـ روزمارى والعقل لا يمكن أن يجتمعا أبداً. وبفرض أنه سوف يخبرها بذلك، هل يخبرها بأنه يحب زوجته بعد هذا كله؟ كلا. فهى لن تصدق ذلك. فهى حمقاء تماماً. خاوية الذهن، شغوف، محبة للتملك، ثم إنها لا تزال تحبه وكان هذا هو مصدر الأذى.

اجتاحته ثورة من الغضب العارم. فأى شىء يمكن أن يضمن له هدوءها؟ إغلاق فمها؟ ليس سوى جرعة صغيرة من السم تضمن له ذلك.

طن بقربه دبور، فحدق إليه شاردًا، فإذا به يسقط فى علبة المربى ولم يستطع منها خروجاً.

فقال لنفسه: حال هذا الدبور كحالى تماماً، أغرته الحلوى، وهو الآن لا يستطيع الخروج من شركها. وغد مسكين.

لكن ستيفن فاراداى سوف يخرج بطريقة ما. الوقت. لابد أن يحسب حساب الوقت.

إن روزمارى الآن ملازمة للسرير بسبب الإنفلونزا. سيفعل ما هو معتاد فى مناسبة كهذه، سيرسل باقة كبيرة من الورد. فهذا يرجئ الأمر قليلاً. وفى الأسبوع التالى سيكون هو وساندرا فى عشاء مع عائلة بارتون احتفالا بعيد ميلاد روزمارى. لقد قالت روزمارى: "لن أقدم على شيء قبل حفلة عيد الميلاد فشيء كهذا سيكون قاسياً على جورج. وقد يثير جلبة لا داعى لها. إنه يحبنى. وسنصل بالنهاية لتفاهم".

وحين عرض على ذهنه فكرة إخبارها بصراحة بأن أمرهما قد انتهى، وأنه لم يعد يهتم، شعر برعدة تسرى فيه. كلا، فهو لا يجرؤ على ذلك. فربما ذهبت إلى جورج تحكى له فى حالة هستيرية، ومن الممكن أن تأتى إلى ساندرا أيضاً. يكاد يسمع صوتها الباكى وهى تتحدث لزوجته:

"يدعى أنه لم يعد يهتم. لكنى أعلم أن هذا غير صحيح. هو فقط يريد أن يكون مخلصاً – وأن يتابع تظاهره بأنه يحبك. لكنى أعلم أنك تتفقين معى على أنه حين يقع اثنان فى الحب فالصدق فى العلاقة ينبغى أن يكون الطريق الوحيد. لهذا السبب أطلب منك أن تعطيه حريته".

كان هذا ببساطة هو الهراء المثير للغثيان الذى قد تقدم على التصريح به. فى حين قد ترد ساندرا بوجه مزدرٍ مترفع: "يمكنه أن يحصل على حريته".

لكنها لن تصدق - كيف لها أن تصدق؟ لكن ماذا لو أحضرت روزمارى تلك الخطابات التى كان به من الغباء ما يكفى لأن يكتبها. الله وحده يعلم بما كتب فيها. إن بها ما يكفى لإقناع ساندرا بالحقيقة - إنها خطابات لم يكتب لها مثلها -

لابد أن يفكر فى شيء ما. شيء يبقى روزمارى صامتة. فكر عابساً: "إن من المؤسف أننا لا نحيا فى زمن بورجياس..."

زجاجة من الشراب المسممة كانت هى الحل الوحيد لجعل روزمارى تبقى صامتة للأبد.

نعم، لقد فكر فى هذا بالفعل.

بعض من سيانيد البوتاسيوم فى كأس الشراب، وزجاجة سيانيد البوتاسيوم فى حقيبة يدها. ليكون التفسير هو إحباط ما بعد الإنفلونزا.

وعبر الطاولة، التقت عيناه بعينى ساندرا.

كان ذلك منذ عام تقريباً، ولم يستطع النسيان.

الفصل الخامس

ألكسندرا فاراداى

لم تنس ساندرا فاراداى روزمارى بارتون.

كانت تفكر فيها فى تلك اللحظة بالضبط، حيث تذكرتها وهى تتمايل حول الطاولة فى تلك الليلة بالمطعم.

تذكرت أنفاسها الحادة وكيف أنها - حين رفعت بصرها - وجدت ستيفن يرقبها...

هل قرأ الحقيقة فى عينيها؟ هل رأى الكراهية فيهما، هل رأى خليط الرعب والنصر فى عينيها؟

منذ عام مضى تقريباً - ولا تزال تلك الأفكار حاضرة وكأنها كانت بالأمس! روزمارى، اسم يعنى الذكرى. كم كانت مرعبة تلك الذكرى. ما من جدوى فى موت شخص يظل حياً فى عقلك. وهذا ما فعلته روزمارى. فقد كانت فى عقل ساندرا ولعلها فى عقل ستيفن أيضاً. لم تكن على يقين، لكنها رأته أمراً محتملاً.

فى مطعم لوكسمبورج - ذلك المكان الكريه ذى الطعام الشهى، والخدمة الراقية، وزخارفه وجلسته الفاخرة. مكان لا يمكن تجنبه، فالناس دائماً يحبون التواجد هناك.

لقد أرادت أن تنسى - لكن كل الأشياء اجتمعت لتجعلها تتذكر. حتى فايرهيفين لم يعد استثناء من ذلك؛ فقد جاء جورج بارتون ليعيش فيه بمنزل ليتل بريورز.

كان حقاً أمراً غير عادى منه. لقد كان جورج بارتون رجلاً غريباً بكل المقاييس. ليس الجار الذى تحب السكنى بجواره. وكان وجوده فى ليتل بريورز قد بدد عندها

الشعور بالطمأنينة والسلام فى فايرهيفين. فدائماً وحتى هذا الصيف، كان المكان محلاً للاستشفاء والراحة، مكان كانت تشعر فيه مع ستيفن بالسعادة - هذا إن كان ثمة سعادة جمعتهما من قبل؟

ضغطت على شفتيها قليلاً. نعم وألف نعم! كان من الممكن أن يعيشا سعيدين لولا روزمارى. كانت روزمارى هى التى حطمت الصرح الرقيق من الثقة والحنان المتبادلين والتى قد شرعت هى وستيفن فى بنائه. إن شيئاً ما، شيئاً ما فى داخلها، دفعها لأن تخفى عن ستيفن شعورها، شعورها بحبه وإخلاصها الكامل له. لقد أحبته منذ تلك اللحظة التى عبر خلالها الغرفة إليها ذاك اليوم فى بيت كيدمينستر، وهو يتظاهر بالخجل، ويتظاهر بأنه لا يعرف هويتها.

لم تستطع أن تخبره فى أول مرة تقبلت فيها تلك الحقيقة كان ذلك بعد حين من زواجهما، وفى يوم ما عندما كان يشرح لعبة سياسية دقيقة قام بها وكانت ضرورية للهروب من كشف حساب معين.

لمعت الفكرة فى عقلها حينها: "إن ذلك يذكرنى بأمر ما. ما هو؟" بعد ذلك أدركت أن لعبته هذه كانت فى جوهرها هى ذات الطريقة التى استخدمها فى ذلك اليوم فى منزل كيدمينستر. لقد تقبلت إدراكها هذا دون دهشة. وعلى الرغم من أن شيئاً مثل هذا كان يجب أن تدركه منذ أمد، فإنه طرأ للتو على عقلها.

ومنذ زواجهما لاحظت أنه لا يحبها بنفس الطريقة التى أحبته بها ولكنها اعتقدت أنه غير قادر فعلياً على مبادلتها هذا الحب. لقد كان الحب الغامر هو إرثها الكريه الذى لا خلاص لها منه. فالحب بلا مقابل شعور متطرف لا تميل إليه النساء! لقد كانت مستعدة لتموت فى سبيله راضية؛ كانت مستعدة أن تكذب من أجله، أن تتآمر من أجله، أن تعانى من أجله! وعلى الرغم من ذلك، رضيت فى فخر وتحفظ المكانة التى أرادها لها. لقد أراد تعاونها، وتعاطفها، أراد مساعدتها النشطة والفعالة.

أراد ذلك منها، لم يطلبه من قلبها، بل من عقلها.

هناك شيء واحد لن تقدم قط على فعله، أن تربكه بمظاهر إخلاص كامل لا يستطيع هو ردها بمقابل مناسب. فهى تؤمن حقاً أنه أحبها، وأنه يشعر بالسعادة فى رفقتها. لقد استبصرت مستقبلهما معا، فوجدت حملها يخف على نحو غير معقول - وجدت مستقبلاً يملؤه الحنان والصداقة.

وقد اعتقدت أنه أحبها على طريقته.

وعندها ظهرت روزمارى.

كانت أحياناً تتعجب، قاضمة شفتيها بعنف، كيف تخيل أنها لا تعرف. لقد عرفت منذ الوهلة الأولى هناك فى سانت مورتيز عندما رأت للمرة الأولى طريقته فى النظر إلى تلك المرأة.

لقد عرفت منذ ذلك اليوم أن تلك السيدة أصبحت عشيقته.

كانت تعرف رائحة العطر التى تستخدمه...

كانت تستطيع أن تقرأ وجه ستيفن المهذب، ذى العيون الشاردة، ماذا كانت ذكرياته بالضبط، وفيما فكر بالضبط عن تلك المرأة، تلك المرأة التى غادرها لتوه!

فكرت فى الأمر بحياد، وجدت أنه كان من الصعب تقييم المعاناة التى كانت تمر بها. كان عليها الصبر على ألم الخيانة يوماً بعد يوم، وما من مساعد لها فى تجاوزه إلا إيمانها بشجاعتها وكبريائها. لم تظهر ما كانت تشعر به، وما كانت لتظهره أبداً. لقد هزلت، أصبحت أكثر نحافة وشحوباً، وعظام رأسها وكتفيها أصبحت أكثر بروزاً من اللحم الذى يكسوها. أجبرت نفسها على الأكل، لكن لم تستطع أن تجبر نفسها على النوم. لقد استلقت فى فراشها ليالى طويلة، بعيون جافة، تنظر

إلى الظلام. استنكفت من تعاطى العقاقير باعتباره ضعفاً. كانت مستعدة للصبر. فإظهار الألم، والنزيف العلنى، والاعتراض - كانت كلها أمورًا كريهة بالنسبة لها.

كان لديها مرجع ارتياح وحيد، وضئيل - هو أن ستيفن لا يرغب فى هجرها، فوجوده إلى جوارها ضمان لمستقبله المهنى، فلم تكن رغبته تلك غراماً بها على أية حال، لكن تبقى الحقيقة أنه لا يريد هجرها.

ربما يوماً ما، يزول إعجابه بتلك الفتاة...

ما الذى يراه فيها؟ كانت جذابة لكنها مثل باقى النساء. ما الذى أعجبه فى روزمارى بارتون؟

لقد كانت حمقاء، سخيفة، ولم تكن - فى رأيها - جذابة المعشر. فيا ليت لها عقلاً أو سحراً أو إثارة، فتلك هى الصفات التى تجذب الرجال. تعلقت ساندرا باعتقادها أن هذا الإعجاب سينتهى وأن ستيفن سوف يمل الأمر.

كانت مقتنعة بأن الاهتمام الرئيسى فى حياته كان عمله. فقد كان موجهاً لأمور عظيمة كان يدركها. فقد كان يمتلك صفات رجل السياسة المحنك وهو يسعد باستخدام تلك الصفات. لقد كانت تلك مهمته الكبرى فى الحياة. وحالما تنقضى لديه السكرة ستبدأ الفكرة.

لم تفكر ساندرا للحظة واحدة أن تتركه. لم تطرأ لها تلك الفكرة أبداً. فقد كانت روحه وجسده فلا خيار لها فى الأخذ أو الترك. وكان هو حياتها، ووجودها. إنه الحب المتوهج داخلها بقوة خارقة أزلية.

وجاءت لحظة تجدد فيها الأمل. كان ذلك حين نزلا إلى فايرهيفين. كان ستيفن أقرب إلى طبيعته. شعرت فجأة بتجدد تلك العاطفة القديمة بينهما. وانتعش الأمل فى قلبها. لقد أرادها أن تبقى، كان يستمتع برفقتها، كان يحتكم الى آرائها. إنه

للحظة تخلص من مخالب تلك المرأة.

كان يبدو أكثر سعادة، عاد إلى طبيعته السابقة.

ليس من شيء ذهب بلا رجعة بينهما. فقد كان يتغلب على الأمر. فيا ليتها كانت تستطيع توجيهه نحو قطع علاقته بها تماما...

ثم عادا إلى لندن وانتكس حال ستيفن. فكان يبدو منهكاً، قلقاً، مريضاً. وما عاد قادراً على التركيز فى عمله.

وقد خمنت السبب، إن روزمارى تريده أن يذهبا معا بعيداً... وكان هو يفكر لاتخاذ قرار بقطع كل صلة له بما كان دائماً شغله الشاغل. خطأ! جنون! فهو من الرجال الذين يحتل عملهم المرتبة الأولى فى الأهمية لديهم، كان من الصنف الإنجليزى الصرف وكان عليه أن يعرف ذلك بنفسه، ومن أعماقه - صحيح، أن روزمارى كانت فاتنة جداً إلا أنها كانت حمقاء جداً ولم يكن ستيفن من ذلك النوع من الرجال الذى يلقى بعمله وراء ظهره من أجل امرأة ثم يندم بعد ذلك!

تصيدت ساندرا بضع كلمات، عبارة قيلت ذات يوم فى إحدى الحفلات.

"...إخبار جورج، علينا أن نحسم أمرنا". بعدها بقليل حدث أن أصيبت روزمارى بالإنفلونزا.

بصيص أمل انتعش فى قلب ساندرا، وظنت أنها قد تصاب بالتهاب رئوى - فقد كان الناس يصابون به بعد الإنفلونزا - لقد مات صديق شاب لها فى الشتاء الماضى بتلك الطريقة. لو أن روزمارى تموت.

لم تحاول أن تطرد تلك الفكرة عن ذهنها بل إنها لم تخف من تفكيرها هذا، لقد كانت فى كراهيتها صريحة واضحة.

لقد كرهت روزمارى بارتون. ولو كان يمكن للأفكار القتل، لقتلتها.

لكن الأفكار لا تقتل.

الأفكار وحدها لا تكفى...

كم كانت روزمارى تبدو جميلة فى تلك الليلة فى مطعم لوكسمبورج وفرو الثعلب يتدلى على كتفيها فى حجرة خلع المعاطف النسائية. كانت أكثر نحافة وشحوباً منذ أن مرضت - كانت بها لمحة وهن جعلت جمالها أكثر رقة. ثم وقفت أمام المرآة تتلمس وجهها...

كانت ساندرا خلفها تنظر إلى انعكاس صورتيهما فى المرآة، كان وجهها كتمثال منحوت، بارد، فاقد للحياة. ما كان فيها من إحساس، ولو رأيته لقلت إنها امرأة باردة وقاسية.

قالت روزمارى: "ساندرا، هل أستحوذ على كل مساحة المرآة؟ لقد انتهيت الآن. لقد أنقصت تلك الإنفلونزا من جمالى الكثير. فأنا أبدو كشبح، أشعر بالوهن والصداع".

سألت ساندرا باهتمام وبصوت هادئ:

"هل تعانين من صداع الليلة؟".

"نعم، لكن بشكل ضئيل، هل أجد معك قرصاً من الإسبرين؟".

"لدى كبسولة فايفر".

فتحت حقيبة يدها، وأخرجت الكبسولة.

أخذتها روزمارى وقالت: "سوف أحتفظ بها فى حقيبة يدى".

كانت سكرتيرة بارتون؛ تلك الفتاة الكفء ذات الشعر الأسود، تراقب هذا الحوار الصغير، وقد جاءت بدورها إلى المرآة، ووضعت قليلاً من مسحوق التجميل. إنها فتاة لطيفة وجميلة. وكان لدى ساندرا انطباع بأن تلك الفتاة لا تحب روزمارى.

وعندما خرجن من الغرفة، كانت ساندرا فى المقدمة ثم روزمارى وبعد ذلك الآنسة ليسينج - أوه، وبالطبع كانت إيريس، أخت روزمارى، هناك. إنها جيدة الإنصات لغيرها، ذات عينين رماديتين واسعتين، ترتدى ثوبا أبيض يليق بتلميذة.

فخرجن وانضممن الى الرجال فى القاعة.

وجاء كبير الندل يرشدهن إلى الطاولة التى سيجلسن عليها. ومررن أسفل المدخل المقبب ولم يكن هناك من شيء على الإطلاق ليحذر إحداهن من أنها لن تمر من هذا الباب حية بعد الآن...

الفصل السادس

جورج بارتون

روزمارى...

أنزل جورج بارتون كأسه ونظر باهتمام نحو المدفأة.

لقد شرب الكثير مما جعله يشعر بالرثاء لحاله.

لكم كانت فتاة جميلة. لقد كان دوماً متيماً بها، كانت تعرف ذلك، لكنه كان يعتقد دوماً أنها كانت تخدعه.

حتى عندما طلب منها لأول مرة أن تتزوجه، لم يفعل ذلك بأى قدر من الاقتناع.

قلب شفتيه، وغمغم قائلاً وهو يؤدى دور المغفل المبتهج:

"فى أى وقت تقررين يا فتاتى – عليك فقط أن تخبرينى. أعلم أنه ما من فائدة، وأنك أبدا لن تهتمى بى. فطالما كنت بغيضاً. إننى أمتلك أيضاً جزءاً فى إحدى الشركات. أنت تعلمين ما أشعر به، أليس كذلك؟ أعنى – أعنى أننى دوماً كنت قريباً منك. وأعلم أننى لن أحصل على أية فرصة حقيقية، لكنى قررت أن أطلبها وحسب".

ضحكت روزمارى وقبلت رأسه.

"أنت رجل لطيف يا جورج، وسأظل أذكر هذا العرض السخى، لكنى لن أتزوج من أى شخص فى الوقت الحالى".

قال هو على نحو جدى: "هذا صحيح تماماً. عليك أن تأخذى بعض الوقت فى النظر من حولك. ولعلك تجدين الخيار الأنسب".

لم يكن لديه أى أمل - أى قدر حقيقى من الأمل.

ولذا كان متشككًا، مذهولاً حين أخبرته روزمارى بعزمها على الزواج منه.

بالطبع لم تكن مغرمة به، كان يعلم ذلك تماماً، وقد أقرت بذلك فى الحقيقة.

"أنت تفهم ما أريد، أليس كذلك؟ أريد أن أستقر وأن أشعر بالسعادة والأمان، وهذا ما سيحدث لى معك، لقد مللت الوقوع فى قصص حب، فدائماً ما يسوء الأمر على نحو ما وينتهى بورطة. أنا معجبة بك يا جورج، فأنا أراك لطيفاً وظريفاً ووسيماً وأنت ترانى رائعة، وهذا كل ما أريده".

فأجاب بارتباك:

"فليكن إذن. سوف نكون فى سعادة الملوك".

حسناً، لم يكن ذلك بعيداً عن الحقيقة. فقد عاشا سعيدين بالفعل. كان فى داخله يشعر بالدونية. ودائماً ما أقنع نفسه أن ثمة حدودا للتواصل. فلن تقتنع روزمارى أبداً بزوج كئيب كحاله. ولا بد من وقوعها فى علاقات جانبية! لقد رتب نفسه على القبول - قبول تلك العلاقات! وعليه أن يتمسك باعتقاده أنها علاقات لن تدوم! وأن روزمارى دائماً ما ستعود إليه. وبمجرد تقبله لتلك الفكرة، سيسير كل شىء على ما يرام.

وذلك لأنه كان موقنًا بحبها له، وأنه كان ثابتاً ومتصلاً، وأن هذا الحب ظل بعيداً عن قصص غرامها وحبها الأخرى.

لقد وطن نفسه على قبول هؤلاء، وأقنع نفسه بحتمية وجود أمثالهم مع هذا

الجمال والسحر الأخاذ غير العادى الذى تمثله روزمارى. لكن ما لم يضمنه كان ردود أفعاله الخاصة.

لم تكن المغازلة من ذلك الشاب شيئاً ذا بال، لكنه فجأة شك للمرة الأولى فى وجود علاقة جادة.

لقد أدرك بالسرعة الكافية، وشعر بالاختلاف من جانبها، الابتهاج الزائد والجمال الزائد، وهذا التوهج الكامل. ثم تأكد حدسه بحقائق ملموسة قبيحة.

فى ذلك اليوم الذى دخل فيه غرفة الجلوس الخاصة بها، أخفت بيدها على نحو غريزى الورقة التى كانت تكتبها. لقد أدرك الأمر فى حينها. وأدرك أنها كانت تكتب رسالة لحبيبها.

فى الحال، وعندما خرجت من الغرفة ذهب هو إلى الدفتر، كانت قد أخذت الخطاب معها، إلا أن أثر الكتابة كان حديثاً، فأخذه إلى المرآة ليرى أثر الكلمات التى كتبتها روزمارى: "حبيبى العزيز..."

اندفع الدم فى أذنه، وفى تلك اللحظة أدرك ما كان يشعر به عطيل. أيتخذ قرارات حكيمة؟ هيهات! تأتى الحكمة فقط حين يكون الرجل فى حال طبيعية، لقد ود حينها لو خنقها! ود لو يقتل ذلك الرجل بدم بارد، ترى من يكون؟ أيكون ذاك المدعو براون؟ أم ذاك الشخص البليد ستيفن فاراداى؟ إن عينى كل منهما لا تفارقها.

ظل ينظر إلى وجهه فى المرآة. كانت عيناه حمراوين مثل الدم كما لو أنهما توشكان على الانفجار.

وبينما كان يذكر تلك اللحظة، سقط كأسه من يده. إذ عاوده الشعور بذلك الإحساس المثير للاشمئزاز، وبالدم الضارب فى أذنيه.

وبجهد كبير، طرد تلك الذكريات بعيداً عنه، لابد من التغلب على ذلك مجدداً، لقد انتهت - قتلت، لن يعانى من ذلك مجدداً، لقد ماتت روزمارى، ماتت فى سلام، وهو أيضاً كان فى سلام، لا مزيد من المعاناة...

طريف هو ما يعنيه موتها بالنسبة له. إنه السلام...

لم يخبر روث أبداً عن ذلك. روث فتاة طيبة، ذات عقل راجح. إنه حقاً لا يدرى ماذا يفعل من دونها. وقد تمثل ذلك فى تلك الطريقة التى كانت تساعده بها، تلك الطريقة التى كانت تتعاطف بها معه دون أى قدر من التلميح الجنسى. ما من أحد فى جنون روزمارى...

روزمارى... كانت تجلس إلى الطاولة فى المطعم بشحوب قليل فى الوجه بعد الإنفلونزا - وبعض النحافة - لكنها كانت لا تزال جميلة، جميلة جدًا.

كلا، لا يمكن أن يفكر الآن فيما حدث حينها، وليس الآن تحديداً، بل فى الخطة، عليه أن يفكر فى الخطة.

كان عليه أن يتحدث إلى رايس فى البداية. كان عليه أن يطلعها على الخطابات. ما الذى قد تفعله رايس بتلك الخطابات؟ إنها ستصعق، فلم يكن لديها أدنى فكرة عن الأمر.

حسناً، إنه المسئول عن الوضع الآن، وعليه أن يحكم سيطرته عليه.

الخطة، لقد رتبت بنجاح. وتحدد الزمان. وكذلك المكان.

الثانى من نوفمبر يوم الصلاة للأرواح. كانت تلك لمسة جميلة منه، فى مطعم لوكسمبورج بالطبع. وقد حاول أن يحصل على نفس الطاولة.

ونفس الضيوف. أنطونى براون، ستيفن فاراداى، ساندرا فاراداى. وبالطبع، روث

وإيريس إضافة له. الغريب أن يكون الضيف السابع هو رايس، فوجودها كان حتمياً فى ذلك العشاء.

ويبقى مكان آخر خال.

سيكون ذلك رائعاً!

دراميا!

فهذا تكرار لمشهد الجريمة.

حسناً، لم يكن تكراراً تاماً...

عاد بذهنه إلى الماضى...

يوم حفلة عيد ميلاد روزمارى...

حيث كانت روزمارى، ممددة على الطاولة - وهى ميتة...

الكتاب الثانى

يوم الأرواح

"إنها روز مارى، اسم يعنى الذكرى على الدوام".

الفصل الأول

كانت لوسيلا دراك كثيرة الثرثرة. كان هذا هو الوصف الذى اعتادت العائلة وصف لوسيلا به، وكان وصفاً مثالياً لما تصدره شفتا لوسيلا من أصوات.

كانت فى ذاك الصباح المهم مهتمة بأمور عديدة - عديدة جداً لدرجة أنها وجدت من الصعب الانشغال بكل أمر على حدة. كانوا على وشك العودة إلى المدينة وهناك ما يترتب على تلك العودة من مشكلات؛ فهناك ما يتعلق بالخدم، وتدبير شئون المنزل، وخزين الشتاء، وآلاف التفاصيل الصغيرة - وصاحب هذا كله قلقها على ما تبدو فيه إيريس.

"حقاً يا عزيزتى، أشعر بالقلق عليك، فأنت تبدين شاحبة ومرهقة تماماً، وكأنك لم تنامى، هل نمت جيداً؟ فإن كنت لم تنامى جيداً فهناك مستحضر نوم طبى ممتاز للدكتور ويلى أو أنه للدكتور جاسكيل - وهو ما يذكرنى ب... آه سوف أذهب للتحدث بنفسى مع البقال - وإما أن الخادمات قد طلبنه بأنفسهن، وإما أنه هو من يغش عامداً. هناك عبوات كثيرة من رقائق الصابون - إننى لم أتناول أكثر من ثلاث فى الأسبوع. ولكن قد يكون ماء الصودا أفضل؟ وشراب إيتون، لقد اعتاد الناس تقديمه حين كنت صغيرة، والسبانخ بالطبع. سوف أخبر الطباخ بأن يصنع السبانخ على الغداء اليوم".

كانت إيريس مرهقة جداً ومعتادة تماماً على أسلوب السيدة دراك الاستطرادى حتى إنها لم تسأل عن السبب الذى يجعل ذكر الدكتور جاسكيل يذكِّر عمتها بالبقال. ولو أنها أرادت أن تسأل، لتلقت ردها فى الحال: "لأن اسم البقال هو كرانفورد يا عزيزتى"، إن التسلسل المنطقى لدى العمة لوسيلا كان واضحاً تماماً بالنسبة لها.

قالت إيريس بكل ما أوتيت من قوة: "إننى فى حالة ممتازة بالفعل يا عمتى

لوسيلا".

قالت السيدة دراك: "هناك هالات سوداء تحت عينيك، لقد عملت كثيراً هذه الأيام".

"أنا لم أفعل أى شىء على الإطلاق منذ أسابيع".

"إذن أنت تفكرين ياعزيزتى. لكن لعب التنس بكثرة قد يكون مرهقاً جداً لشابة مثلك. وأعتقد أن الهواء هنا يسبب الإعياء. إن هذا المكان قفر، وكنت لأقول هذا لجورج لو أنه استشارنى بدلاً من تلك الفتاة".

"تلك الفتاة؟".

"أقصد الآنسة ليسينج والتى يثق فيها كثيراً. أستطيع القول إنها ماهرة تماماً فيما يخص المكتب، لكن من الخطأ الاستعانة بها فى غير ذلك. لقد شجعها ذلك على أن تظن نفسها فرداً من العائلة. وهى بالأصل لا تحتاج إلى أى تشجيع".

"حسناً عمتى لوسيلا، إن روث عملياً واحدة من أفراد العائلة".

أخذت السيدة دراك نفساً عميقاً قائلة: "إنها حقاً تريد أن تكون كذلك – وهذا واضح تماماً. يا لجورج المسكين – إنه يكون طفلاً بحق حين يتعلق الأمر بالنساء. لكن هذا لن يكون يا إيريس، يجب أن نحمى جورج من نفسه ولو كنت مكانك لأوضحت الأمور بذات اللطف الذى عليه الآنسة ليسينج، بأن فكرة الزواج من جورج ينبغى ألا تكون مطروحة لديها".

خرجت إيريس للحظة من لا مبالاتها وهى مذهولة.

"لم يخطر ببالى قط أن من الممكن أن يتزوج جورج من روث".

"إنك لا تفهمين ما يدور حولك طفلتى، وهذا طبيعى، فأنت لا تملكين خبرتى بالحياة". ابتسمت إيريس رغماً عنها. إن العمة لوسيلا أحيانا ما تكون مضحكة. "إن هذه السيدة الشابة عازمة على الزواج منه".

فسألت إيريس: "وما الضير فى ذلك؟".

"ما الضير؟ فى الأمر ضير بلا شك".

"ألن تكون تلك خطوة جيدة؟" فحدقت إليها عمتها، " أعنى أنه أمر جيد بالنسبة لـ جورج. وأظنك محقة بشأنها. أظن أنها مغرمة به. وأنها ستكون زوجة صالحة له وستعتنى به".

تذمرت السيدة دراك وكاد السخط يظهر على وجهها الساذج الطيب.

"إن الاعتناء بـ جورج يتم على أكمل وجه الآن. فما الذى قد يبغيه غير هذا؟ طعام جيد ورعاية صحية أيضاً. لكن من المبهج جداً له أن يحظى بشابة جذابة مثلك فى منزله وأتمنى عندما تتزوجينه يوماً ما أن أكون لا أزال قادرة على الاهتمام بصحته. تماماً، وربما أفضل مما تفعله فتاة شابة تعمل بمكتبه – فما الذى تعرفه هى عن إدارة شئون المنزل؟ إن الأرقام والدفاتر والاختزال على الآلة الكتابة والكتابة عليها – لا تغنى الرجل عن منزله شيئا.

ابتسمت إيريس وهزت رأسها، ولكنها لم تجادل فى الأمر، كانت تفكر فى شعر روث الناعم الحريرى، ولون بشرتها الصافى والقوام المعتدل الذى يزين تماماً ملابسها المضبوطة تماماً. مسكينة هى العمة لوسيلا، كل تفكيرها فى الراحة وتدبير شئون المنزل، أما الحب فهو بعيد عنها كل البعد حتى إنها ربما تكون قد نسيت ما تعنيه تلك الكلمة – فإن كان الأمر كذلك، فهذا يعنى أن زوج عمتها كان يعنى لزوجته الكثير.

كانت لوسيلا دراك أخت هيكتور مارل من الأب، فقد كانت طفلة أبيها من زواج سابق. وقد لعبت دور الأم مع أخيها الصغير عندما ماتت أمه. وقامت بتدبير أمور البيت بالنسبة لوالدها، وقد أصبحت أكثر صرامة برغبتها العلنية عن الزواج. وحين قاربت الأربعين من عمرها قابلت ريف كالب دراك، وكان يجاوز الخمسين. كانت حياتهما الزوجية قصيرة، فبعد عامين تقريباً تركت أرملة ولها طفل. كانت أمومتها متأخرة وغير متوقعة، وكانت هى التجربة الأهم فى حياة لوسيلا دراك. كبر ابنها معتل المزاج، مصدر حزن وإتلاف للمال- لكنه أبداً لم يكن مصدر خيبة أمل إذ رفضت السيدة دراك أن تعترف بأى عيب بولدها فيكتور سوى نقاط ضعف لطيفة بشخصيته. ف. فيكتور شديد الوثوق بأصحابه - فكثيراً ما يضل بسبب أصدقاء السوء لثقته الشديدة بهم. فيكتور غير محظوظ. فيكتور قد انخدع. فيكتور وقع ضحية احتيال. فيكتور مخلب قط لأشرار استغلوا براءته. كان وجه لوسيلا البرىء البشوش يتجهم فور أن يبدأ الحديث فى نقد ابنها. كانت ترى أنها تعرف ابنها. فهو ابن طيب، يملؤه الانشراح، وأصدقاؤه يستغلونه، وهى تعلم أكثر من غيرها كم كان فيكتور يكره طلب المال منها. ولكن عندما يكون المسكين فى موقف صعب حقاً، فما الذى كان ليفعله سوى ذلك؟ فليس لديه أى شخص آخر يلجأ إليه غيرها.

وعلى الرغم من ذلك، وباعترافها، فإن دعوة جورج لها بأن تعيش معه فى المنزل لرعاية إيريس، كانت هدية من السماء، فقد كانت فى حالة من الفقر المدقع. لقد كانت سعيدة جداً ومرتاحة خلال العام الماضى ولم يكن طبيعياً أن تتواءم مع إمكانية أن تحل محلها سيدة شابة مدعية، وبكل هذه الكفاءة والقدرة العصرية، والتى على أية حال لن تتزوج جورج إلا طمعاً فى ماله، أو هكذا أقنعت نفسها. وبالطبع كان هذا ما تسعى وراءه. لكن من الصعب أن تقنع العمة لوسيلا فى سنها هذه بأن أى فتاة شابة تحب - صادقة - العمل لكسب عيشها، فالنساء هن تماماً كما كن فى السابق - إن وجدت إحداهن الرجل الذى يوفر لها الراحة فإنها

ستفضله على العمل، وروث ليسينج هذه كانت ماهرة فى تمهيد طريقها نحو نيل موضع الثقة والمشورة لدى جورج فى مسألة تأثيث المنزل، مما يجعلها شخصاً لا يمكن الاستغناء عنه – لكن حمداً لله أن شخصاً واحداً على الأقل أدرك ما تسعى خلفه!

أومأت لوسيلا دراك برأسها عدة مرات، حتى اهتزت ترهلات ذقنها الثنائية، ورفعت حاجبيها فى إشارة إلى حكمة عظيمة، وغيرت موضوع الحديث إلى موضوع آخر يساويه فى الإثارة وربما كان أكثر إلحاحاً.

"ماذا عن البطاطين عزيزتى؟ إننى لم أتخذ بشأنها رأياً. فلا أدرى بالضبط إن كنا لن ننزل هنا قبل الربيع المقبل أم أن جورج سيداوم على النزول نهاية كل أسبوع. إنه لم يقل شيئاً بهذا الخصوص".

"لا أظنه يعرف بالضبط ما الذى سيكون عليه الحال". حاولت إيريس أن توجه انتباهها إلى نقطة بدت غير مهمة على الإطلاق فقالت: "إذا كان الجو لطيفاً، فقد يصبح من الممتع النزول على فترات، على الرغم من أننى لا أجد رغبة فى ذلك على نحو واضح، فالبيت موجود وسننزل به متى أردنا".

"صحيح عزيزتى، لكنى أريد أن أعرف؛ لأننا إذا قررنا عدم النزول إلا مع حلول العام القادم، فينبغى إذن وضع البطاطين فى كرات العثة. أما إن كنا سنعود، فلن يكون ذلك ضرورياً؛ لأن البطاطين ستكون محل استخدام – فرائحة كرات العثة سيئة للغاية".

"حسناً، لا تستخدميها".

"نعم، لكن إذا كان الصيف حاراً فهذا يعنى المزيد من العثة، فالكل يقول إنه سيكون عاماً سيئاً فيما يتعلق بالعثة. وكذلك الدبابير. أخبرنى هاوكينز بالأمس أنه عثر على ثلاثين عشاً للدبابير، ثلاثين، إنه أمر غير معقول".

تخيلت إيريس هاوكينز هذا متسللاً فى الظلام والسيانيد بيده، السيانيد، روزمارى، لماذا يقود كل شيء فى النهاية للتفكير فى أمر موتها؟

تواصل صوت العمة لوسيلا الخفيف وقد انتقلت الآن لنقطة أخرى.

"– وهل سنضطر لحفظ الفضيات فى البنك أم لا؟ السيدة ساندرا تقول إنه قد وقعت عدة حوادث للسطو على المنازل، مع أن لدينا مصاريع جيدة للمنافذ، أنا لا أحب تلك الطريقة التى تصفف بها شعرها، فهى تبديها أكثر صرامة لكن يبدو أنها صارمة بالأساس، وعصبية أيضا. الكل عصبى هذه الأيام. حين كنت صغيرة لم أكن أعرف معنى الغضب. وهو ما يذكرنى بأننى لم أعجب بحالة جورج مؤخراً، بل إننى قد أشك أنه قد يكون مصاباً بالإنفلونزا؟ وقد ارتبت مرة أو مرتين هذا الأسبوع بأنه قد يكون محموماً، لكن ربما كان ذلك قلقاً يخص العمل، يبدو لى أنه مهموم بأمر ما".

ارتعدت إيريس، فعقبت لوسيلا فى زهو: "هاك، قلت لك إنك تشعرين بالبرد".

"لكم أتمنى لو أنهم لم يأتوا إلى هنا".

نطقت ساندرا فارادای تلك الكلمات بمرارة غير معتادة جعلت زوجها يلتفت نحوها مندهشاً، وبدا وكأن أفكاره قد تجسدت فى كلماتها - تلك الأفكار الذى جاهد فى إخفائها. فهل تشعر ساندرا أيضاً بما لا يشعر به؟ إنها أيضاً شعرت بأن فايرهيفين قد فقدت نقاءها وسلامها بمقدم هؤلاء الجيران الجدد الذين يبعدون ميلاً واحداً عبر المتنزه، فقال باندفاع مترجماً دهشته:

" لم أكن أعلم أن لديك الشعور ذاته حيالهم".

وفى الحال، انسحبت عن التطرق إلى الأمر أو هكذا خيل له.

"الجيران مهمون جداً فى الريف. فهنا يكون المرء إما فظاً أو ودوداً، ولا يمكنه - كما فى لندن - مجرد الاحتفاظ بمعرفة جيدة بالناس".

قال ستيفن: "كلا، لا يمكن للمرء ذلك فعلاً".

"والآن نحن ملتزمون بالارتباط بتلك الصحبة غير العادية".

كان كلاهما صامتاً يسترجع ذلك المشهد وهما يتناولان الغداء، كان جورج بارتون لطيفاً جداً، بل هو وافر الحماسة والمرح، مع قدر خفى من الشعور بالإثارة؛ الأمر الذى أوقعهما فى حيرة. حقاً كان جورج بارتون غريباً تماماً هذه الأيام. لم يكن ستيفن يلتفت إليه أبداً قبل موت روزمارى. فكان جورج دائماً فى خلفية الأحداث. فهو ذلك الزوج الشغوف بامرأته الشابة الجميلة، حتى إن ستيفن لم يشعر أبداً بقلق حيال خيانة جورج، فإنه من ذلك النوع من الرجال الذين خلقوا كى تتم خيانتهم. فهو أكبر سناً بكثير، وأقل جاذبية من أن يحتفظ بامرأة جذابة ومتقلبة الأهواء

والنزوات. فهل كان جورج نفسه مخدوعاً؟ إن ستيفن لا يعتقد ذلك مطلقاً، فهو يرى أن جورج كان يعرف روزمارى تمام المعرفة. لقد كان يحبها، وكان يشعر بالضعف حيال قدرته على نيل اهتمام زوجته.

وعلى الرغم من هذا، فلابد أن جورج كان يعانى...

ثم بدأ ستيفن يتساءل عن ماهية الإحساس الذى أحس به جورج عند وفاة روزمارى.

فهو وساندرا لم يرياه إلا لماماً فى الشهور التى تلت المأساة. كان ذلك قبل أن يصبح فجأة جاراً لهم فى ليتل بريورز وبالتالى عاد إلى حياتهما، وفى الحال أحس ستيفن أنه عائد على غير عادته.

كان أكثر حيوية وأكثر إيجابية و.. نعم، كان غريباً تماماً.

كان غريباً اليوم بالفعل. حيث كانت دعوته المفاجئة التى وجهها لهما. وكانت حفلاً فى عيد ميلاد إيريس الثامن عشر. كان يعقد أملاً كبيراً على أن يتمكنا معاً من الحضور. وكان ستيفن وساندرا فى غاية اللطف فى الجوار الجديد.

تذكرت ساندرا تأكيدها له بسرعة: "بالطبع سنسعد جداً بالحضور". كان طبيعياً أن ينشغل ستيفن بالكثير حال عودته إلى لندن وهى أيضاً ستكون رهينة العديد من الارتباطات المملة. لكنها تمنت أن يتمكنا من تدبر الأمر.

فقال جورج بوجه مبتهج، باسم، وحازم:

"إذن لنحدد يوماً من الآن. أرى أن يوماً من الأسبوع بعد القادم سيكون مناسباً، الأربعاء أم الخميس؟ سيكون الخميس هو الثانى من نوفمبر. فهل سيكون ذلك اليوم ملائماً لكما؟ إننا سنستعد وفق أى يوم يلائمكما".

كانت الدعوة شكلاً من الإلزام، فقد كان أسلوبه يفتقد الكثير من اللباقة الاجتماعية، وقد لاحظ ستيفن أن إيريس مارل احمر وجهها خجلاً، أما ساندرا فكانت منضبطة تماماً. فقد استسلمت باسمة لتلك الدعوة الإجبارية وقالت: "ليكن الخميس الثانى من نوفمبر، سيكون ملائماً تماماً".

وفجأة أطلق ستيفن العنان لما كان يفكر فيه، وقال بحدة قاطعًا حبل أفكارها: "لسنا مضطرين للذهاب".

استدارت ساندرا نحوه قليلاً بوجه تطوف به الأفكار:

"هل تفكر فى ذلك فعلاً؟".

"من السهل إيجاد عذر لعدم الحضور".

"سوف يصر على أن نذهب فى وقت آخر أو قد يغير الميعاد، لقد بدا مصراً على قدومنا".

"لا أعرف سر هذا الإصرار، إنها حفلة إيريس ولا أعتقد أنها مهتمة جداً بحضورنا".

فكرت ساندرا بصوت عال: "كلا – كلا –".

ثم قالت:

"أتعلم أين ستكون هذه الحفلة؟".

"كلا".

"فى مطعم لوكسمبورج".

أفقدته الصدمة مقدرته على الكلام وأحس بأن الدم سينفجر من وجنتيه، فاستجمع شتات نفسه وتلاقت عيناهما، هل كان ذلك من باب المصادفة أم أنه كان يقصد شيئاً من ذلك؟

وفى غضب حاول به إخفاء مشاعره الشخصية، هتف مستعجباً: "غير معقول، فى لوكسمبورج، حيث تتجدد الذكرى برمتها، لابد أنه رجل مجنون".

قالت ساندرا: "أنا أيضاً فكرت فى ذلك".

"سنرفض الذهاب إذن. لقد كان الحدث غير لطيف بالمرة. تذكرين ذيوع الأمر حينها، والصور التى نشرت بالصحف".

قالت ساندرا: "أذكر المشهد الكريه برمته".

"ألا يدرك أن الأمر لن يكون مناسباً لنا بالمرة".

"إن لديه أسبابه يا ستيفن، ولقد ذكرها لى".

"ماذا كانت؟".

لاحظ أنها كانت تنأى ببصرها عنه حين تتحدث.

"لقد أخذنى جانباً بعد الغداء وقال لى إنه يريد أن يشرح الأمر لى. قال إن إيريس لم تتجاوز حتى الآن صدمة وفاة أختها".

توقفت، فقال ستيفن فى ضيق:

"حسناً، هذا يبرر عدم الذهاب إلى هناك، وهى أبعد ما تكون عن الصحة الجيدة. وقد لاحظت على الغداء مدى سوء حالتها الصحية".

"نعم، لقد لاحظت ذلك أنا أيضاً على الرغم من أنها عموماً كانت تبدو بصحة جيدة وروح عالية مؤخراً. لكنى أقول لك ما قاله لى جورج. لقد أخبرنى أن إيريس تتجنب الذهاب إلى لوكسمبورج قدر الإمكان".

"أمر لا عجب فيه".

"ولكن وفقاً لما قاله، فإن ذلك لا ينبغى أن يكون صحيحاً. فيبدو أنه استشار إخصائياً نفسياً فى هذا الشأن وكانت نصيحته تقضى بأنه بعد أية صدمة لابد من مواجهة الأمر، وليس تلافيه. وهذا قريب من تكليف الطيار برحلات بعد تعرضه لحادث مباشرة".

"فهل يقترح الإخصائى حادث انتحار آخر إذن؟".

أجابت ساندرا بسرعة: "إنه يعتقد أن الانتحار الذى حدث فى المطعم لابد أن يتم تخطيه؛ لأنه بالنهاية مجرد مطعم، وهو ينوى إقامة حفلة مبهجة قدر الإمكان وبحضور كل الأشخاص".

"مبهجة للناس!".

"هل تمانع فى ذلك يا ستيفن؟".

أحس بوخزة إنذار فقال مسرعاً: "بالطبع أنا لا أمانع، أراها فقط فكرة مخيفة، أنا شخصياً لايجب أن أمانع على الإطلاق... أنا فى الحقيقة كنت أفكر بك. فإن كنت لا تمانعين".

قاطعته قائلة: "بل أمانع. وبشدة. لكن الطريقة التى قدم بها الدعوة جعلت الرفض أمراً صعباً للغاية. وعلى كلٍ، لقد ترددت على ذلك المطعم كثيراً من حينها – وكذلك أنت. فنحن نُدعى إلى هناك كثيراً".

"ولكن ليس فى مثل هذه الظروف".

"كلا".

قال ستيفن:

"كما قلت، إنه من الصعب الرفض وإذا اعتذرنا عن الدعوة فإنه سوف يجددها. ولكن ليس هناك من داع لأن تتحملى أنت أمراً كهذا. سوف أذهب أنا ويمكنك أنت التملص فى اللحظة الأخيرة بداعى الصداع أو البرد أو شىء من هذا القبيل".

فرفعت رأسها ببطء وقالت:

"هذا جبن. كلا، كلا يا ستيفن، إن ذهبت فسوف أذهب معك، فرغم كل شىء"، ثم أراحت يدها على ذراعه وتابعت: "ورغم ضآلة ما يعنيه زواجنا، فعلى الأقل يجب أن يبقى ملزماً لنا بتقاسم ما يواجهنا من مصاعب".

حدق إليها وقد أخرسته تلك الجملة التى قد أفلتت منها بسهولة تامة، كما لو أنها عبرت عن حقيقة مألوفة جداً وغير ذات أهمية على الإطلاق.

قال مستجمعاً نفسه: "لماذا قلت على الرغم من ضآلة ما يعنيه زواجنا؟".

نظرت إليه بثبات، بعين واسعة وصادقة.

"أليس هذا صحيحاً؟".

"كلا وألف كلا. فزواجنا يعنى لى كل شىء".

ابتسمت.

"إننى أفترض ذلك على نحو ما. فنحن فريق متكامل يا ستيفن. ونحن معاً نحقق

نتيجة مرضية لكلينا".

" لم أقصد ذلك" اضطربت أنفاسه، فأمسك يديها بكلتا يديه واقترب منها كثيراً: "ألا تعلمين يا ساندرا أنك بالنسبة لى تعنين العالم كله؟".

وفجأة أدركت حبه. لم يكن شيئاً قابلاً للتصديق ولم يكن ظاهراً لكنه كان موجوداً.

كانت بين ذراعيه، قريبة جداً منه، كان يقبلها، ويتمتم بالكلمات فى غير اتساق.

"ساندرا، حبيبتى ساندرا، إننى أحبك... لقد كنت خائفاً جداً، كنت خائفاً جداً من أن أخسرك".

وجدت نفسها تقول:

"بسبب روزمارى؟".

"نعم". ثم أطلقها، وعاد خطوات إلى الخلف، والرعب على وجهه.

"أكنت تعرفين بأمر روزمارى؟".

"بالطبع، طوال الوقت".

"وكنت تفهمين؟".

هزت رأسها.

"لا، لم أكن أفهم، ولم أر أنه كان علىّ أن أفهم، هل أحببتها؟".

"ليس تماماً. فأنت من أحببت".

اجتاحتها موجة من المرارة، وقالت:

"منذ تلك اللحظة التى مررت بها عبر الغرفة؟ لا تكرر هذه الكذبة؛ لأنها كانت كذبة بالفعل!".

لم يعتره الذهول نتيجة تلك الهجمة المفاجئة. كان يبدو عليه أنه يتفهم كل كلمة تقولها فقال:

"نعم، كانت فى البداية كذبة، لكنها الآن، وعلى نحو ما لم تصبح كذلك، لقد بدأت أعتقد أنها الحقيقة. أرجوك حاولى أن تتفهمى قولى يا ساندرا. تعرفين أولئك الأشخاص الذين لديهم دوماً سبب نبيل لإخفاء أفعالهم القبيحة؟ وأولئك الذين يتوجب عليهم دوماً أن "يكونوا صادقين" حين يريدون أن يكونوا قاسين، "من يظنون أن عليهم أن يكرروا هذا أو يعيدون ذاك، والذين يخدعون أنفسهم بأنهم يخوضون حياتهم حتى نهايتها مقتنعين أن كل فعل خسيس وقاس قد تم بروح يملؤها الإيثار! كونى على يقين من أن نقيض هذا الصنف من الناس موجودون أيضا. أولئك المتشككون، عديمو الثقة بأنفسهم وبالحياة ومن لا يؤمنون إلا بدوافعهم السيئة فقط. إنك المرأة الوحيدة التى احتجتها. هذا هو الشعور الصادق تماماً على الأقل. وأعتقد بصدق الآن أنه لو لم يكن شعوراً صادقًا لما تجاوزت ما كنت فيه".

قالت بمرارة:

"لم تكن قد أحببتنى".

"كلا. فأنا لم أقع فى الحب قط. فقد كنت شخصاً محروماً، بارداً جنسياً، يفخر – نعم يفخر – بطبيعته الباردة الصعب إرضاؤها، وبعد ذلك وقعت فى الحب – كان حباً عنيفاً أحمق وسخيفاً. كان حالة أشبه بعاصفة رعدية صيفية، فكان قصير

الأمد، وهمياً، وتلاشى سريعاً"، ثم أضاف بمرارة: "إن قصة يحكيها أحمق، تملؤها الحكمة والغضب لن تعنى شيئًا بطبيعة الأمر".

توقف قليلاً ثم تابع:

"كنا هنا، فى فايرهيفين، حين أفقت وأدركت الحقيقة".

"الحقيقة؟".

"حقيقة أن الشىء الوحيد الذى كنت أهتم به هو أنت والاحتفاظ بحبك لى".

"فقط لو كنت أعرف...".

"ماذا كنت تظنين؟".

"لقد كنت أظن أنك كنت تخطط للرحيل معها".

"مع روزمارى؟"، ضحك ضحكة صغيرة وتابع: "لقد كان ذلك ليكون حكماً بالمؤبد مدى الحياة!".

"ألم تكن تريدك أن ترحل معها؟".

"بلى، كانت تريد ذلك".

"وماذا حدث؟".

أخذ ستيفن نفساً عميقاً. لقد عادا مجدداً لكى يواجها مرة أخرى ذاك الوعيد غير الملموس. قال لها:

"حدث ما حدث فى مطعم لوكسمبورج".

صمتا وكلاهما ينظر للآخر، فقد كان كل منهما يعرف ما جرى، إنه ذلك الوجه المزرق لامرأة كانت يوماً ما جميلة.

نظرا إلى الجسد الميت، ثم – ثم تلاقت عيناهما...

قال ستيفن:

"انسى الأمر يا ساندرا. بالله عليك، دعينا ننس الأمر!".

"لن يجدى النسيان فى شيء. لن يكون بوسعنا أن ننسى".

صمتا قليلاً، ثم قالت ساندرا:

"ما الذى سوف نفعله؟".

"ما قلته للتو، أن نواجه الأمر معاً. سنذهب معاً إلى تلك الحفلة المريعة مهما يكن وراءها من غرض".

"أنت لا تصدق ما قاله جورج بارتون عن إيريس، أليس كذلك؟".

"لا، هل تصدقين؟".

"قد يكون ما قاله عنها صحيحاً، لكن حتى لو كان كذلك، فلن يكون هو السبب الحقيقى".

"وما السبب الحقيقى باعتقادك؟".

"لا أعرف يا ستيفن. ولكنى خائفة".

"من جورج بارتون؟".

"نعم. أعتقد أنه يعرف".

فقال ستيفن بحدة:

"يعرف ماذا؟".

أدارت رأسها ببطء حتى تلاقت عيناهما.

ثم قالت هامسة:

"لا يجب أن نخاف. لابد أن نتسم بالشجاعة، شجاعة العالم أجمع. إنك ستصبح رجلاً عظيماً يا ستيفن، رجلاً يحتاج العالم إليه ولا يجب أن يعرقل ذلك أي شيء. فأنا زوجتك وأحبك".

"ما ظنك بهذه الحفلة يا ساندرا؟".

"أعتقد أنها فخ".

قال بصوت منخفض: "وهل سنسعى إليه؟".

"لا يمكننا أن نظهر علمنا بكونه فخاً".

"هذا صحيح".

وفجأة أرجعت ساندرا رأسها إلى الخلف وضحكت، ثم قالت:

"افعلى ما شئت يا روزمارى، فلن تفوزى".

أمسك كتفها.

"اهدئى يا ساندرا، فـ روزمارى ماتت".

هل ماتت حقاً؟ إنها تشعر بعض الأحيان أنها لا تزال على قيد الحياة.

فى منتصف الطريق عبر المتنزه، قالت إيريس:

"أتمانع يا جورج إذا لم أعد معك؟ أشعر برغبة فى السير قليلاً، أفكر فى صعود فرايرز هيل ثم العودة عبر الغابة، لقد كنت أعانى صداعاً طوال اليوم".

"حسناً صغيرتى. اذهبى أنت، فلن أستطيع الذهاب معك. فأنا فى انتظار قدوم صديق لى بعد ظهيرة اليوم، ولا أعرف متى سيصل".

"حسناً. إلى اللقاء إذن فى موعد الشاى".

ثم استدارت على نحو مفاجئ وتوجهت جهة اليمين حيث يوجد حزام من أشجار الصنوبر الموجودة عند منحدر التل.

حين ارتقت جانب التل، أخذت نفساً عميقاً. كان هذا اليوم واحداً من الأيام الرطبة فى شهر أكتوبر؛ فقد كانت هناك طبقة سميكة من الرطوبة تغطى أوراق الشجر وسحاب رمادى يلوح فى الأفق منذراً بهطول الأمطار فى أقرب وقت. لم يكن هناك الكثير من الهواء على التل كما الحال فى الوادى. وعلى الرغم من ذلك، شعرت إيريس أنها قادرة على التنفس بحرية أكثر.

جلست على جذع شجرة هاوية وأطلت على الوادى حيث يستقر منزل ليتل بريورز وقد استكان فى فجوة بين الآكام. وبعيداً أكثر ناحية اليسار استقر قصر فايرهيفين ببنائه الوردى الخالص.

حدقت إيريس بأسى إلى جو المكان وقد أراحت ذقنها بين راحتيها.

كان الحفيف الطفيف من خلفها أعلى صوتاً من قطرات الماء التى تسقط من

على أوراق الشجر، لكنها أدارت رأسها بحدة حين فُرقت بعض الأغصان وخرج من بينها أنطونى براون.

صاحت فى شىء من الغضب: "تونى! لماذا تحط هكذا دائماً كالعفريت؟".

افترش أنطونى الأرض بجانبها. ثم أخرج علبة سجائره، وعرض عليها سيجارة وعندما هزت رأسها أخذ هو واحدة وأشعلها. ومع أول نفس منها أجاب قائلاً:

"لأننى من تسميه الصحف بالرجل الخفى؛ فأنا أحب الظهور من العدم".

"كيف علمت بوجودى هنا؟".

"عبر منظار مقرب قوى. لقد سمعت بأنك سوف تتناولين الغداء مع عائلة فاراداى. فمكثت مراقباً لك وأنت تغادرين".

"ولماذا لا تأتى إلى البيت مثل أى شخص عادى؟".

قال أنطونى مصدوماً: "أنا لست إنساناً عادياً؛ فأنا استثنائى".

"أعتقد أنك كذلك فعلاً".

نظر إليها سريعاً، ثم قال:

"هل هناك خطب ما؟".

"كلا، بالطبع كلا، على الأقل...".

"على الأقل ماذا؟".

أخذت نفساً عميقاً.

"لقد سئمت المكوث هنا. فأنا أكره هذا المكان. وأريدالعودة إلى لندن".

"سوف تعودين قريباً، أليس كذلك؟".

"الأسبوع القادم".

"إذن فتلك كانت حفلة وداع لعائلة فاراداى؟".

"لم تكن تلك حفلة. كانوا هم فقط وابن عم لهم".

"هل تحبين عائلة فاراداى يا إيريس؟".

"لا أعلم. لا أعتقد أننى أحبهم كثيراً، إلا أنه لا ينبغى لى قول ذلك لأنهم كانوا فى غاية اللطف معنا".

"هل تعتقدين أنهم يحبونك؟".

"كلا، لا أعتقد ذلك. أعتقد أنهم يكرهوننا".

"أمر مثير".

"حقًا؟".

"لا أقصد الكراهية إن كانت حقيقية. بل أعنى استخدامك ضمير الجمع. فأنا أقصدك أنت بسؤالى".

" لقد فهمت...أعتقد أنهم يحبوننى تماماً على نحو سلبى. لكنى أظن أن سكن عائلتنا بجوارهم هو ما يكرهونه. فنحن لم نكن أصدقاء لهم بشكل محدد - بل كانوا أصدقاء لـ روزمارى".

قال أنطونى: "نعم. تماماً كما قلت. لقد كانوا أصدقاء ل. روزمارى، على الرغم من أننى لم أتخيل يوماً أن ساندرا وروزمارى كانتا صديقتين، أليس كذلك؟".

قالت إيريس: "كلا". ونظرت إليه على نحو مرتبك إلى حد ما، إلا أن أنطونى أخرج الدخان من حلقه بهدوء وقال:

"أتعلمين ما يستوقفنى أكثر فى أمر عائلة فاراداى؟".

"ماذا؟".

"إنى أفكر بهما ليسا كفردين ارتبطا بزواج رسمى، ولكن ككيان واحد، هكذا هى عائلة فاراداى. وهذا أبعد عما تظنينه عن الزواج. إنهما شخصان لهما ذات الهدف، وذات الطريقة فى الحياة، وذات الآمال والمخاوف والاعتقادات. لكن الغريب أنهما مختلفان تماماً فى الشخصية. ف. ستيفن فاراداى، كما أراه، رجل ذو منظور فكرى واسع، وحساسية بالغة تجاه الرأى الخارجى، وخجل شديد جداً، وربما افتقاد للشجاعة الأخلاقية، أما ساندرا، على الجانب الآخر، فهى ذات عقل ضيق رجعى، قادرة على بذل الإخلاص على نحو متطرف، وذات شجاعة تصل إلى حد التهور".

قالت إيريس: "لطالما بدا لى كذلك أنه رجل مغرور وغبى".

"ليس بغبى على الإطلاق. هو فقط أحد الناجحين غير السعداء".

"غير سعيد؟".

"معظم الناجحين غير سعداء. ولذا فهم ناجحون. فيجب عليهم أن يثبتوا لأنفسهم أنهم قادرون على إنجاز شىء يكون محل انتباه العا لم كله".

"يا لتلك الأفكار الغريبة التى لديك يا أنطونى".

"سوف تجدينها صحيحة إذا دققت النظر فيها. فالأشخاص السعداء فاشلون لأنهم متصالحون مع أنفسهم فلا يعبأون بشىء. وأنا مثال لذلك. إنهم أيضاً مستعدون للتكيف مع هذه الحقيقة وأنا مثال لذلك أيضاً".

"إن لك رأياً جيداً جداً عن شخصيتك".

"أنا فقط أحاول أن أوجه انتباهك إلى بعض النقاط الجيدة فى حال لم تكونى قد أدركتها".

ضحكت إيريس فقد بدأت أساريرها فى الانبساط ثانية. وقد غادرها ما كانت فيه من اكتئاب وخوف. ثم نظرت إلى ساعتها.

"تعال معى إلى البيت وتناول الشاى معنا. وامنح الآخرين بعضاً من أفكارك الثاقبة عن الناس والمجتمع".

هز أنطونى رأسه.

"ليس اليوم، يجب أن أعود".

استدارت إيريس نحوه فى حدة:

"لماذا لا تأتى أبداً إلى المنزل؟ لابد أن هناك من سبب".

هز أنطونى كتفيه بلامبالاة قائلاً:

"يمكنك القول إننى غريب فى مسألة قبول الاستضافة وزوج أختك لا يحبنى وقد ظهر ذلك منه جلياً".

"لا تعبأ بجورج إذا طلبنا منك الحضور أنا والعمة لوسيلا إنها عجوز طيبة سوف تحبها كثيراً".

"بالطبع يجب أن آتى، لكن تبقى لدىّ موانعى".

"لقد اعتدت المجىء فى حياة روزمارى".

قال أنطونى: "لقد كان الوضع مختلفاً".

غشيت قلبها برودة بقوله هذا، ثم قالت: "ما الذى أتى بك إلى هنا اليوم؟ هل كان لديك عمل فى هذا الجزء من العالم؟".

"عمل مهم جداً، ومعك أنت. لقد أتيت إلى هنا من أجل أن أطرح عليك سؤالاً يا إيريس".

تلاشى ما أصاب قلبها من برودة. وحلت بهجة خافتة، تلك البهجة التى ظلت تنزل على قلوب النساء منذ الأزل. ومعها اتخذ وجه إيريس ذو النظرة المتسائلة التى كانت على الدوام تغشو النساء قبل أن يجبن عن السؤال بالقول: "لقد فاجأتنى سيد إكس!".

أدارت وجهها شديد البراءة نحو أنطونى وقالت: "ما هو؟".

كان ينظر إليها بعينين رزينتين أقرب للتجهم.

"أجيبينى بصدق يا إيريس. هل تثقين بى؟".

فاجأها السؤال. فلم يكن هو ما توقعته. وقد أدرك ذلك.

"لم تتوقعى أن يكون هذا ما سأسألك عنه، أليس كذلك؟ لكنه سؤال مهم للغاية يا إيريس. بل هو أهم سؤال بالنسبة لى فى هذا العالم وسأسألك إياه ثانية، هل تثقين بى حقاً؟".

ترددت لجزء من الثانية ثم أجابت وعيناها منخفضتان: "نعم".

"إذن سأطرح عليك سؤالاً آخر: هل تتزوجينى عند عودتك إلى لندن دون إخبار أحد بالأمر؟".

حدقت إليه بشدة.

"ولكنى لا أستطيع! ببساطة لا أستطيع أن أفعل عملاً كهذا".

"لا تستطيعين الزواج منى؟".

"ليس بهذه الطريقة".

"ومع هذا تحبيننى. أنت تحبيننى يا إيريس، أليس كذلك؟".

سمعت نفسها تقول:

"نعم أحبك يا أنطونى".

"لكنك لن تأتى معى إلى دار العبادة، فى بلومسبرى، بالدائرة التى أعتبر أحد رعاياها والتى يمكننى عبرها وفقاً لذلك أن أتزوجك شرعياً فى أى وقت؟".

"كيف يمكننى أن أفعل شيئاً كهذا؟ شىء كهذا يجرح جورج كثيراً وكذلك العمة لوسيلا التى لن تسامحنى أبداً. وعلى أية حال، أنا لا أزال دون سن الرشد. فأنا لازلت فى الثامنة عشرة".

"ستضطرين إلى الكذب بهذا الشأن. فلست أدرى ما العقوبة التى قد تقع بى إن تزوجت قاصراً دون إذن وليها بالمناسبة، من وليك؟".

"إنه جورج وهو الوصى علىّ أيضاً".

"كما قلت لك، أياً كانت العقوبة التى سأتعرض لها، فلن تكون فسخ الزواج،

وهذا ما يهمنى".

هزت إيريس رأسها وقالت: "لا أستطيع فعل ذلك، لا أستطيع أن أكون بهذه القسوة، ولماذا؟ ما هو المغزى من ذلك؟".

قال أنطونى: "لذلك كنت أسألك فى البداية عما إذا كنت تثقين بى، عليك أن تتقبلى أسبابى بثقة. ولنقل إن هذه هى أبسط الطرق. لكن لا تقلقى".

قالت إيريس بخوف:

"لو أنك تسمح لـ جورج بأن يعرفك بشكل أفضل. تعال معى الآن؛ فلن يكون هناك إلا هو والعمة لوسيلا".

"هل أنت متأكدة؟ أعتقد -"، توقف لحظة ثم تابع: "بينما كنت أرتقى التل، رأيت رجلاً يتجه إلى الطريق المؤدى لمنزلكم. الطريف أننى قد ميزته، فهو رجل - تردد قليلاً - أظننى قابلته".

"حقاً، لقد نسيت، لقد قال جورج إنه بانتظار شخص ما".

"الرجل الذى أعتقد أننى قد رأيته يدعى رايس - الكولونيل رايس".

قالت إيريس: "محتمل تماماً. فـ جورج يعرف شخصاً يسمى الكولونيل رايس. كان يفترض به الحضور ليلة عيد ميلاد روزمارى التى".

ثم توقفت، واهتز صوتها. فأمسك أنطونى بيدها.

"توقفى عن تذكر ذلك الحادث، عزيزتى. أنا أعرف أنه قاس".

هزت رأسها.

"لا أملك للنسيان سبيلاً، أنطونى".

"حقاً؟".

"ألم يخطر ببالك قط، ألم تفكر مطلقاً"، كانت تواجه صعوبة فى التعبير عن فكرتها.

"هل خطر ببالك يوماً ما أن روزمارى ربما لم تنتحر؟ وأنها ربما قتلت؟".

"يا الله، من وضع برأسك تلك الأفكار يا إيريس؟".

لم ترد، بل تابعت فى إصرار: "ألم تخطر لك هذه الفكرة أبداً؟".

"بالقطع لا. ف. روزمارى انتحرت ولا شك".

لم تقل إيريس أى شىء.

"من الذى افترض ذلك؟".

وللحظة كانت على وشك أن تخبره بقصة جورج غير المعقولة إلا أنها تراجعت وقالت بهدوء:

"لقد كانت مجرد فكرة".

"تخلصى منها يا حبيبتى البلهاء"، ثم جذبها حتى وقفت وقبَّل خدها بخفة قائلاً: "حبيبتى، تخلصى من ذكرى روزمارى وفكرى بى فقط".

كان الكولونيل رايس ينفث دخان غليونه وهو ينظر بتأمل إلى جورج بارتون.

كان يعرف جورج بارتون منذ أيام طفولته. فعم جورج كان جاراً لعائلة رايس فى منزلها الريفى. وقد كان هناك خلاف بين الرجلين دام لأكثر من عشرين سنة. كان رايس رجلاً فى الستين من عمره، ذا قوام عسكرى طويل ومنتصب. وله وجه مسحوب وشعر بنى اللون وعينان حادتان سوداوان.

لم تكن بين الرجلين أية ألفة فى يوم من الأيام - لكن ظل بارتون بالنسبة لـ رايس هو "جورج الصغير" - وأحد أكثر من عرفهم فى الصغر غموضاً.

كان يعتقد فى تلك اللحظة أنه لن يعرف أبداً حقيقة "جورج الصغير". ولكن اللقاءات الوجيزة التى جرت بينهما فى السنوات الأخيرة أوضحت أن ما كان يجمع بينهما من أمور مشتركة قليل للغاية. فـ رايس رجل غير منزلى، هو بالأساس من فصيلة خدام الإمبراطورية. فقد قضى جل حياته بالخارج، أما جورج فكان رجل مدينة على نحو يثير الإشفاق. لقد كانت اهتماماتهما متباينة، وحين كانا يلتقيان فإنما يكون ذلك لتبادل ذكريات "الأيام الخوالى" وبعدها يخيم الصمت المطبق على مجلسهما. كان الكولونيل رايس لا يجيد الأحاديث القصيرة ولعله قصد من ذلك التشبه بنموذج الرجل القوى الصامت الذى كان يروق للجيل السابق من الروائيين.

وفى صمته فى تلك اللحظة، كان يتعجب من إصرار "جورج الصغير" على هذا اللقاء، لقد أحس أن الرجل قد تغير منذ أن تقابلا آخر مرة العام الماضى. دائماً ما كان جورج بالنسبة له كتلة من البلادة، فهو حذر، عملى، قليل الخيال.

لقد اعتقد أن خطباً ما ألم بالرجل. فقد كان متوتراً على نحو شديد. حتى إنه أعاد إشعال سيجاره الخاص ثلاث مرات. ولم تكن تلك من عادات بارتون على

الإطلاق.

أخرج الغليون من فمه قائلاً:

"حسناً جورج، ما المشكلة؟".

"أنت محق يا رايس، هناك مشكلة حقاً، وأنا فى حاجة لنصيحتك وأيضاً إلى مساعدتك".

أومأ الكولونيل برأسه وانتظر.

"منذ ما يقرب من العام، كنت مدعواً للعشاء معنا فى مطعم لوكسمبورج فى لندن. وقد اضطررت إلى السفر للخارج فى اللحظة الأخيرة".

أومأ رايس برأسه مرة أخرى.

"إلى جنوب إفريقيا".

"فى حفلة العشاء هذه، ماتت زوجتى".

تحرك رايس على كرسيه فى غير ارتياح.

"أعلم ذلك حيث قرأت عنه فى الصحف. ولم أشأ ذكر الأمر أو مواساتك فيه الآن رغبة منى فى عدم إعادة إحياء الذكرى ثانية. ولكنى حزنت لأجلك أيها الرجل العجوز وأنت تعلم ذلك".

"هذا مؤكد طبعاً، وليس هو ما أرمى إليه. كان يفترض أن زوجتى قد انتحرت فى تلك الليلة".

ركز رايس على الكلمة الرئيسية فى جملة جورج، ورفع حاجبه.

"يفترض؟".

"اقرأ هذا".

وألقى الخطابين بين يدى رايس، فقال رايس وقد ازداد حاجباه ارتفاعاً.

"خطابات مجهولة المصدر؟".

"نعم وأنا أصدق ما فيها".

هز رايس رأسه ببطء.

"إن ذلك أمر خطير. فكم من خطابات مزيفة تكتب بعد أى حادث فتثير أى نوع من الضجة والشائعات فى الصحف".

"أعلم ذلك. لكن هذه الخطابات لم تكتب وقت الحادث، لقد كتبت بعدها بستة أشهر".

أومأ رايس برأسه.

"وذاك أمر مهم. من كتبها بظنك؟".

"لا أعلم. ولست مهتماً بمن كتبها. المهم أننى أعتقد أن ما قيل فيها صحيح وأن زوجتى قد قتلت".

أنزل رايس غليونه واعتدل أكثر فى مقعده.

"لماذا تعتقد ذلك الآن؟ هل لديك أى شك أو هل كان لدى الشرطة أى شك فى أى شىء؟".

"لقد كنت فى حالة ذهول حين عرفت الأمر. كنت فاقداً للوعى تماماً. لقد تقبلت الحكم الذى خلص إليه التحقيق. فزوجتى كانت تعانى الإنفلونزا، وكانت منهكة. ولا يوجد شك فى أنها قد انتحرت. لقد كان السم فى حقيبة يدها".

"أى نوع كان هذا السم؟".

"السيانيد".

"أذكر ذلك، لقد تناولته فى الشراب".

"نعم، لقد بدا الأمر على هذا النحو طوال الوقت".

"هل هددت من قبل أنها سوف تنتحر؟".

قال جورج: "كلا أبداً، روزمارى كانت محبة للحياة".

أومأ رايس. فلم يكن قد تقابل مع زوجة جورج إلا مرة واحدة ووجدها جميلة وغبية، لكنها بالطبع ليست من النوع الكئيب.

"ماذا عن الأدلة الطبية عن حالتها الذهنية وما إلى ذلك؟".

"كان الطبيب الخاص ب. روزمارى، وهو رجل كبير السن، بالخارج فى رحلة بحرية. ولكن شريكه الشاب أتى لرؤية روزمارى عندما كانت مصابة بالإنفلونزا. وكان كل ما قاله، على ما أذكر، إن هذا النوع من الإنفلونزا يترك نوعاً من الإحباط الخطير".

توقف جورج قليلاً ثم تابع الكلام:

" لم أتحدث إلى طبيب روزمارى إلا عندما قرأت الخطابات وبالطبع لم أذكر شيئاً عن الخطابات لكنى فقط ناقشته فى الأمر. وقد أخبرنى بأنه اندهش مما حدث.

وقال إنه لا يصدق الأمر. فلم تكن روزمارى من النوع الذى قد يقدم على الانتحار، لقد أثبتت أنها نموذج من المرضى الذين لا يمكن توقع تصرفاتهم".

توقف جورج مرة أخرى ثم أكمل:

"بعد الحديث معه، أصبحت مقتنعاً بأن روزمارى لم تنتحر. فأنا أعرفها جيداً. لقد كانت قادرة على التغلب على نوبات تعاسة أشد وطأة. كانت تقدم على الأمور فى حماسة شديدة، وقد تصبح فى بعض الأحيان متهورة وقد تقدم على أفعال غير محسوبة، لكننى قط لم أرها فى صورة من "تريد الخلاص من الأمر برمته".

تمتم رايس بصوت منخفض وبطريقة مرتبكة:

"هل كان لديها دافع للانتحار غير الإحباط؟ أعنى هل كانت مستاءة من أى شىء آخر؟".

"إننى - لا - ربما كانت متوترة بعض الشىء".

قال رايس وهو يتجنب النظر فى عين صديقه:

"هل كانت من النوع الميلودرامى؟ تعلم أننى رأيتها مرة واحدة، لكن ثمة نوعاً من الناس يمكن أن يقدم على الانتحار عادة إذا كان فى صراع مع شخص ما. وذلك اتباعا للمنطق الطفولى القائل: "سوف أجعلهم يندمون على ذلك!"".

"ولكنى لم أتشاجر أنا وروزمارى أبداً".

"صحيح. والحق أن استخدام السيانيد يبطل هذا التصور. فالسيانيد ليس بالمادة التى يمكن التلاعب بها بأمان، والكل يعلم ذلك".

"وتلك ملاحظة أخرى. فلو افترضنا جدلاً أن روزمارى قد فكرت فى أن تفعل

بنفسها شيئاً، فهى بالتأكيد لن تفعله بهذه الطريقة. تلك الطريقة المؤلمة والقبيحة. فجرعة زائدة من المنوم قد تؤدى الغرض".

"أتفق معك. هل توجد أى شواهد تثبت أنها قد اشترت السيانيد أو حصلت عليه بطريقة ما؟".

"كلا. لكنها كانت فى الريف مع بعض الأصدقاء وهناك أخذوا عش دبور، مما يجعل من المحتمل أنها ربما حصلت على قبضة من حبات سيانيد البوتاسيوم".

"صحيح. ليس من الصعب ذلك. فالعديد من المزارعين يحتفظون به فى مزارعهم".

توقف قليلاً ثم قال:

"دعنى أعد تلخيص الموقف، لا وجود لدليل إيجابى على الانتحار أو أى إعداد له. فالأمر برمته سلبى تماماً. ولا وجود أيضاً لأى دليل إيجابى على القتل أو أنه موجود ولم تصل إليه الشرطة. وهم يقظون دوماً كما تعلم".

"إن مجرد فكرة القتل تبدو خيالية للغاية".

"ولكنها لم تبد لك كذلك منذ ستة أشهر؟".

قال جورج ببطء:

"أعتقد أننى لم أكن مقتنعاً بما خلص إليه الأمر طوال الفترة الماضية. وأن فكرة قبول الحقيقة الجديدة كانت تختمر فى عقلى الباطن، فلما رأيتها مكتوبة واضحة، صدقتها على الفور".

هز رايس رأسه: "نعم، حسناً، لندرس الأمر إذن، فيمن تشك؟".

مال جورج إلى الأمام ووجهه يرتجف.

"ذاك هو الأمر المريع للغاية. فلو أن روزمارى قتلت، فالفاعل هو واحد من الذين كانوا يجلسون معنا على الطاولة. أى أنه أحد أصدقائنا، إذ لم يقترب من الطاولة أحد".

"ماذا عن الندل؟ من كان يقوم على تقديم الشراب؟".

"تشارلز، كبير الندل فى مطعم لوكسمبورج، إنك تعرفه".

وافقه رايس. فالكل يعرف تشارلز. ويبدو من المستحيل أن يقدم تشارلز على وضع السم لأحد زبائنه.

"وجوزيب النادل هو من كان يقوم على خدمتنا. نحن نعرفه منذ سنوات؛ فدائماً ما يكون فى خدمتى هناك. إنه شاب مرح بشوش".

"إذن نأتى إلى ضيوف حفلة العشاء. من كان موجوداً هناك؟".

"ستيفن فارادای، عضو مجلس العموم. وزوجته السيدة ألكسندرا. والسكرتيرة الخاصة بى روث ليسينج. وشاب يدعى أنطونى براون. وإيريس أخت روزمارى. وأنا. فكنا سبعة. كان العدد ليصبح ثمانية لو أنك أتيت. وحين اعتذرت فى اللحظات الأخيرة لم نفكر بأى شخص آخر".

"فهمت يا بارتون، من تظنه الفاعل إذن؟".

صاح جورج: "لا أعلم. قلت لك إننى لا أعرف. لو كانت لدىّ أدنى فكرة".

"حسناً، حسناً، أردت فقط أن أرى إن كان هناك شخص محدد تشك به. لن يكون الأمر صعباً، كيف كان ترتيب الجلوس، ولنبدأ بك؟".

"كانت ساندرا فاراداى على يمينى بالطبع، ثم أنطونى براون ثم روزمارى، ثم ستيفن فاراداى، وبعده إيريس، ثم روث ليسينج التى كانت على يسارى".

"حسناً. وهل شربت زوجتك شراباً قبل ذلك فى هذا المساء؟".

"نعم، لقد ملئت الكئوس أكثر من مرة. كان ذلك أثناء العرض الراقص فى المطعم. كان يثير ضجة كبيرة، كان عرضاً لإحدى تلك الفرق الزنجية وكنا جميعاً نشاهده. ثم سقطت روزمارى على الطاولة قبل أن تضاء الأنوار مباشرة. ربما تكون قد صرخت، لكن أحداً لم يسمع شيئاً ولقد قال الطبيب إن الموت كان لحظياً، وإنى لأحمد الله على ذلك".

"صحيح، فهذا أفضل. حسناً يا بارتون، الأمر يبدو لى واضحاً إلى حد ما".

"هل تعنى؟".

"نعم، إنه ستيفن فاراداى بالطبع. لقد كان على يمينها، وكأس الشراب الخاص به قريب من يده اليسرى. ومن السهل جداً أن يضع السم فى كأسها أثناء انطفاء الأنوار وانصراف الانتباه نحو خشبة المسرح وأعتقد أن أحداً غيره لا يملك مثل هذه الفرصة، وأنا أعرف طاولات الطعام فى مطعم لوكسمبورج. حيث تكون حولها فراغات كبيرة. وأشك بقوة فى أن يتمكن أى شخص من أن يميل على الطاولة، مثلاً، دون أن يلاحظ أحد، حتى لو كانت الأنوار خافتة. الشك ذاته يدور حول من جلس على يسار روزمارى، ولابد له أن ينحنى على الطاولة عبر روزمارى حتى يتمكن من وضع شىء فى الكأس. ولا وجود لأى احتمالات أخرى. لكننا سنبدأ بالشخص الواضح أولاً. ما السبب الذى قد يجعل ستيفن فاراداى يفعل هذا الشىء بزوجتك؟".

قال جورج بصوت مخنوق:

"لقد كانا صديقين مقربين. لعل روزمارى هجرت صداقته، فأراد الانتقام".

"يبدو ذلك دافعاً ميلودرامياً أكثر من اللازم، هل هذا هو الدافع الوحيد الذى تراه لديه؟".

قال جورج: "نعم". كان وجهه محمراً تماماً، وقد رمقه رايس بنظرة خاطفة ثم تابع:

"إذن لنفحص الاحتمال الثانى وهو أن تكون إحدى السيدات مثلاً".

"ولِمَ يكون الفاعل إحدى السيدات؟".

"عزيزى جورج، ألم يخطر ببالك أنكم كنتم أربع سيدات وثلاثة رجال، والغالب أنكم فى مرة أو اثنتين أثناء هذا المساء كنتم ثلاثة أزواج ترقصون بينما تبقى امرأة تجلس وحيدة على الطاولة. ألم ترقصوا جميعاً؟".

"نعم بالفعل".

"حسناً، هل تذكر إذن من منهن جلست وحدها قبل العرض؟".

فكر جورج لدقيقة ثم قال:

"أعتقد أن إيريس هى من كانت خارج الرقص آخر مرة، وقبلها كانت روث".

"هل تتذكر آخر مرة شربت فيها زوجتك الشراب؟".

"دعنى أتذكر. لقد كانت ترقص مع براون. وأذكر عودتها حين قالت إنها كانت رقصة شيقة وجميلة – فقد كان هو الآخر راقصاً رائعاً. ثم شربت ما كان فى كأسها. بعدها بدقائق عزفت موسيقى رقصة الفالس وقد رقصت معى. كانت تعرف أننى لا أجيد سوى تلك الرقصة. ورقص فاراداى مع إيريس والسيدة ألكسندرا

مع براون. وبقيت إيريس حتى نهاية الرقصة. بعد ذلك بقليل بدأ العرض".

"إذن لندرس أمر أخت زوجتك. هل نالت بعض المال بعد موت زوجتك؟".

بدأ جورج الكلام فى سرعة.

"يا عزيزى رايس لا تكن سخيفاً، كانت إيريس مجرد طفلة، تلميذة بالمدرسة".

"أعرف تلميذتين اقترفتا جريمة قتل".

"لكن إيريس! لقد كانت متيمة بـ روزمارى".

"لا عليك يا بارتون. لقد كانت لديها الفرصة للقتل. وأردت التأكد من وجود دافع لديها. أعتقد أن زوجتك كانت سيدة ثرية، أين ذهبت أموالها، أذهبت إليك؟".

"كلا، لقد ذهبت إلى إيريس فى وعاء استثمارى".

وشرح الموقف، واستمع إليه رايس بيقظة.

"إنه وضع مثير فعلاً. الأخت الثرية والأخت الفقيرة. بعض الأخوات يستأن من وضع كهذا".

"أنا متأكد أن إيريس لم تفعل ذلك".

"ربما لكن يظل لديها دافع للقتل، وسوف نختبره الآن. من غير ذلك لديه دافع للقتل؟".

"لا أحد – لا أحد على الإطلاق. لم يكن لـ روزمارى أى أعداء فى الدنيا. أنا متأكد من ذلك. لقد كنت غارقاً فى كل تلك التساؤلات أحاول أن أحلها، حتى

إننى اشتريت هذا المنزل بجوار عائلة فاراداى حتى".

ثم توقف. والتقط رايس غليونه وبدأ فى حكه من الداخل قائلاً:

"هلا أخبرتنى بكل شىء يا جورج؟".

"ماذا تقصد؟".

"أنت تخفى شيئاً ما، وهذا واضح تمامًا. بإمكانك أن تبقى للدفاع عن سمعة زوجتك أو البحث فيما إذا كانت قد قتلت أو لا، لكن إذا كان الخيار الأخير هو خيارك فعليك أن تكون واضحاً تماماً".

ساد الصمت فترة.

ثم قال جورج بصوت مخنوق: "حسناً، أنت تفوز".

"أنت تظن أن زوجتك كان لها عشيق، أليس كذلك؟".

"نعم".

"ستيفن فاراداى، أليس كذلك؟".

"لا أعرف! أقسم لك إنى لا أعرف! ربما كان هو، وربما كان ذلك المدعو براون. لا يمكننى أن أجزم، كان الأمر قاسياً".

"أخبرنى بما تعرفه عن أنطونى براون؟ فمن الطريف أننى أذكر سماعى هذا الاسم من قبل".

"أنا لا أعرف أى شىء عنه ولا أحد يعرف. إنه رجل وسيم جذاب، لكن لا أحد يعرف شيئاً عن أصوله. يفترض أنه أمريكى، لكن ليس فى كلامة لكنة تميزه".

"حسناً، ربما تعرف السفارة شيئاً عنه، هل لديك فكرة عن ذلك؟".

"كلا، ليس لدىّ أدنى فكرة. لو كان لدىّ شى لأخبرتك به يا رايس. لقد كانت تكتب خطاباً - وقد - وقد تفحصت الورق النشاف بعد قليل، وكان خطاباً غرامياً بالفعل لكن بدون اسم".

أدار رايس عينيه بعناية.

"حسناً، هذا يمنحنا المزيد للمواصلة، فمثلا السيدة ألكسندرا تدخل دائرة الشك لو أنها اكتشفت أن لزوجها علاقة بزوجتك. وتنتمى إلى نوع النساء الذى يأخذ الأمور بحساسية أكبر. فهى من ذلك النوع الهادئ العميق. وهو نوع يمكنه أن يقتل إن ضاق ذرعاً. إننا نتقدم. لدينا السيد براون الغامض، وفاراداى وزوجته، والصغيرة إيريس مارل. ماذا عن تلك المرأة الأخرى، روث ليسينج؟".

"لا يمكن أن يكون لـ روث أى دخل بالأمر. فعلى الأقل ليس لديها دافع مادى".

"لقد قلت إنها سكرتيرتك الخاصة، أليس كذلك؟ أى نوع من الفتيات هى؟".

قال جورج بحماسة: "إنها أفضل فتاة فى العالم. إنها على نحو ما أحد أفراد العائلة. إنها يدى اليمنى - لا أرى أحداً يفوقها فى درجة التقدير والثقة التى أمنحها إياها".

نظر إليه رايس متأملاً: "إنك مغرم بها يا جورج".

"بل أنا مخلص لها يا رايس. إن الفتاة ممتازة بحق يا رايس. إننى أعتمد عليها فى كل حال. إنها أوثق وأعز شخص لى فى هذه الدنيا".

تمتم رايس بكلمات غير مفهومة وترك الموضوع. لم يبد منه لـ جورج ما يشير إلى

أنه قد وجد دافعاً محدداً لدى روث ليسينج المجهولة هذه. وأن هذه "الفتاة الأعز" ربما كان لديها سبب وجيه لإزاحة السيدة جورج بارتون إلى العالم الآخر. ربما يكون الدافع هو الجشع. فلربما تصورت نفسها السيدة براون التالية. وربما كانت تحب رب عملها بصدق. لكن الدافع لديها لقتل روزماری لا يزال متوفرا.

لكنه بدلاً من ذلك، قال فى لطف: "أرى أن الأمر ينطبق عليك أيضاً يا جورج، فلديك أنت الآخر دافع جيد".

نظر جورج مذهولاً: "أنا؟".

"تذكر عطيل وديدمونة".

"أفهم ما تعنيه، لكن ما كان بينى وبين روزماری ليس كما تتصور. لقد كنت أهيم بها حباً ولكنى كنت أعلم أن ثمة أشياء علىّ أن أتحملها. وليس ذلك أنها لم تكن تحبنى، فقد كانت تحبنى وكانت دوماً لطيفة معى. لكننى رفيق ممل، تلك حقيقة لا هروب منها. فأنا لست الرجل الرومانسى الموعود. على أية حال، لقد وطنت نفسى منذ زواجى منها على أن زواجنا لن يكون كله مرحاً وعشقاً. وكانت من الحسن أن حذرتنى. كنت أتألم بالطبع لما كان يحدث. لكن افتراض إيذائها بأقل القليل...".

ثم توقف وغير نبرة صوته:

"على أية حال، إذا كنت فعلت ذلك فما كان الداعى إذن أن أفتعل كل هذا؟ أعنى أنه بعد حكم التحقيقات بانتحارها، وبعد أن استقر كل شىء، إن هذه لحماقة حقاً".

"بالطبع، ولهذا أنا لا أشتبه فيك فعلاً يا صديقى العزيز. فإذا كنت قاتلاً ناجحاً وأتاك هذان الخطابان، لوضعتهما بكل بساطة فى المحرقة ولم تتفوه بأى كلمة عن

الموضوع، وهذا يقودنى إلى التفكير فى أكثر الأمور إثارة فى هذا كله، من كتب الخطابات؟".

حدق إليه جورج: "ماذا؟ ليست لدىّ أدنى فكرة".

"يبدو أن الفكرة لم تنل استحسانك. لكن لفتت انتباهى. وهذا أول سؤال أسأله لك. ولنضع فروضاً لها. نفترض أولاً أنها من القاتل، فلماذا يحاول إعادة تسليط الضوء على فعلته بعد أن استقر الأمر وقبلت فكرة الانتحار من العالم كله كما تقول؟ فمن إذن كتب تلك الخطابات؟ من هو؟ من الذى يريد أن ينبش فى الأمر من جديد؟".

قال جورج بغموض: "الخدم".

"محتمل. فإن كان الأمر كذلك، فأى الخدم وما الذى يعرفه الخدم؟ وهل كان لـ روزمارى خادمة خاصة؟".

هز جورج رأسه.

"كلا، فى ذلك الوقت كانت لدينا الطاهية السيدة بوند ولازالت موجودة. واثنتان من الخادمات، أعتقد أنهما قد رحلتا فلم تدوما معنا طويلاً".

"حسناً يا بارتون. إن كنت تريد نصيحتى والتى أتمنى أن تتقبلها، يجب أن تفكر فى الأمر بروية. فمن ناحية، روزمارى الآن فى عداد الأموات ولا يمكنك إعادتها إلى الحياة مهما فعلت. وإذا كانت الدلائل على الانتحار لا تبدو قوية، فالدلائل التى تدل على القتل هى الأخرى ليست قوية. ولنقل على سبيل الجدل أن روزمارى قد قتلت، فهل تريد فعلاً كشف الأمر برمته؟ إن بحث الأمر ربما يعنى الكثير من الدعاية السيئة. وستصبح علاقة زوجتك الغرامية على ألسنة العامة...".

سكت جورج بارتون، ثم قال على نحو حاد:

"أحقاً تنصحنى أن أدع شخصاً حقيراً يفلت بالأمر؟هذا الأحمق المدعو فاراداى بخطبه الرنانة ومركزه الرفيع بينما هو قاتل أثيم محتمل".

"فقط أريدك أن تكون على بينة مما قد تصل الأمور إليه".

"أنا أريد الوصول إلى الحقيقة".

"حسناً إذن، فى هذه الحالة، يجب عليك الذهاب إلى الشرطة وتسليم الخطابات. فقد يتمكنون من التوصل إلى من كتبها وما إذا كان على علم بشىء، ولكن تذكر أنك متى فاتحتهم فى الأمر، فلن تستطيع إيقافهم".

"أنا لن أذهب إلى الشرطة. ولهذا السبب أردت أن أقابلك. فأنا أفكر فى نصب فخ للقاتل".

"ماذا تقصد بالتحديد؟".

"اسمع يا رايس، سوف أقيم حفلة فى لوكسمبورج وأريدك أن تحضر. سيكون فيها نفس الأشخاص: عائلة فاراداى وأنطونى براون وروث وإيريس وأنا. لقد أعددت كل شىء".

"ما الذى سوف تفعله؟".

ضحك جورج ضحكة ضعيفة قائلاً:

"إنه سرى الخاص. قد يفسد الأمر لو أننى أخبرت به أحداً حتى لو كان أنت. فأنا أريدك أن تأتى بذهنية محايدة وأن ترى ما سيحدث".

مال رايس إلى الأمام، وكان صوته حاداً:

"لا تعجبنى الفكرة يا جورج، هذه الأفكار الميلودرامية التى تقرأونها فى الكتب لا تجدى نفعاً، اذهب إلى الشرطة. ليس هناك حل أفضل، إنهم على دراية بالتعامل مع مثل هذه المشكلات، إنهم محترفون، فأعمال الهواة بشئون الجرائم غير مستحبة".

"لهذا السبب أريدك هناك؛ لأنك لست بهاوٍ".

"يا صديقى العزيز. ألهذا لأنى عملت مرة فى الاستخبارات العسكرية؟ وعلى أية حال، أنت تريدنى أن أبقى متخفياً".

"هذا ضرورى".

هز رايس رأسه.

"أنا آسف. أنا أرفض. الفكرة لا تروقنى ولن أكون جزءاً منها. انس الأمر يا جورج".

"أنا لن أدع هذا الأمر. فقد رتبت كل شىء".

"لا تكن عنيداً إلى هذا الحد، فأنا أعرف أكثر منك فى هذا الخصوص. والفكرة لا تروق لى. ولن تنجح وربما تكون خطيرة أيضاً، هل فكرت فى ذلك؟"..

"ستكون خطيرة بالفعل بالنسبة لشخص ما".

تنهد رايس قائلاً:

"أنت لا تعلم ما الذى تفعله. فلا تقل إننى لم أحذرك، ولآخر مرة، أتوسل إليك أن تترك تلك الفكرة المخبولة".

فما كان من جورج إلا أن هز رأسه.

حل صباح الثانى من نوفمبر رطباً ومكفهراً. كان الظلام حالكاً فى غرفة الطعام بمنزل الفاستون سكوير حتى إنهم أضاءوا الأنوار لتناول الإفطار.

وعلى غير عادتها، نزلت إيريس لتناول الإفطار بدلاً من تناول القهوة والخبز المحمص الذى يرسل إليها بأعلى وقد جلست شاحبة مثل الشبح وهى لا تكاد تأكل شيئًا من الطعام الذى أمامها. وبيد مضطربة، جعل جورج يتصفح التايمز فتصدر فى يده قرقعة. وعلى الطرف الآخر من الطاولة كانت لوسيلا دراك تبكى بغزارة فى منديلها.

"أنا على يقين من أن ولدى الحبيب قد يؤذى نفسه. إنه حساس جداً ولن يقول ذلك إلا اذا كانت مسألة حياة أو موت".

قال جورج بحدة وهو يتصفح جريدته:

"من فضلك يا لوسيلا لا داعى للقلق. أخبرتك بأننى سوف أتدبر الأمر".

"أعرف يا عزيزى جورج. فلطالما كنت ذا قلب طيب. لكنى أعتقد أن أى تأخير قد يكون مضراً، إن استعلاماتك هذه سوف تستغرق وقتاً".

"كلا، لن يحدث. فسوف نعجل بالأمر".

"لقد قال: "ليكن ذلك قبل يوم الثالث" وغداً هو الثالث. فلن أسامح نفسى لو حدث أى مكروه لولدى العزيز".

"كلا، لن يحدث ذلك"، وأخذ رشفة طويلة من فنجان القهوة.

"هناك أيضاً أمر القرض الخاص بى" .

"اسمعى لوسيلا، دعى الأمر كله لى".

تدخلت إيريس قائلة: "لا تقلقى يا عمة لوسيلا، فـ جورج قادر على تدبير الأمر، وعلى أية حال، لقد حدث ذلك من قبل".

"ليس من مدة طويلة بهذا الشكل - قال جورج إن الأمر سيستغرق ثلاثة أشهر - منذ أن خُدع الفتى من قبل أصدقاء السوء فى أمر مزرعة المواشى".

مسح جورج شاربه بمنديل ثم قام وربت على ظهر السيدة دراك بلطف متخذاً طريقه إلى خارج الغرفة.

"فلتقرى عيناً يا عزيزتى، سأطلب من روث أن ترسل له بالبريد الآن".

وبينما كان فى الصالة، لحقت به إيريس.

"ألا ترى يا جورج أن علينا تأجيل الحفل هذه الليلة؟ فالعمة لوسيلا محبطة للغاية، أليس من الأفضل أن نمكث فى المنزل معها؟".

قال جورج وقد ازدادت حمرة وجهه: "بالطبع لا. فلم يتوجب على هذا المحتال أن يعطل حياتنا جميعاً؟ إن ما يفعله ابتزاز، ابتزار واضح، ولو كان الأمر بيدى لما تحصل على بنس واحد".

"لن توافق العمة لوسيلا أبداً على شىء كهذا".

"إن لوسيلا حمقاء. وقد كانت دوماً كذلك. إن هؤلاء النساء اللواتى يرزقن بأطفال وهن فوق الأربعين لا يبدو أنهن يتعلمن أبداً، إنهن يسئن إلى الأطفال بإعطائهم أى شىء يريدونه، لو أن فيكتور وهو صغير تعلم أن يخرج من مشاكله بنفسه لفعل ذلك الآن، أما الآن فلا تجادلينى يا إيريس، سوف أرتب فى هذا الشأن أمراً قبل حلول الظلام حتى تخلد لوسيلا إلى نومها هانئة. وإذا لزم الأمر،

اصطحبناها معنا".

"أوه، كلا، إنها تكره المطاعم، فالمسكينة تشعر بالنعاس هناك. إضافة إلى أنها تكره الحرارة والهواء المليء بالدخان والذى يهيج عليها أزمة الربو".

"أعلم ذلك، إننى لم أكن جاداً فى طلبى هذا. اذهبى يا إيريس وأخبريها بأن كل الأمور ستكون على ما يرام".

ثم استدار وخرج من الباب الأمامى، وعادت إيريس ببطء إلى غرفة الطعام، وبينما هى كذلك رن جرس الهاتف وذهبت لتجيبه.

"مرحباً، من المتحدث؟"، تغير وجهها الشاحب يأساً إلى الرضا والابتهاج: "أنطونى!".

"نعم، أنطونى بنفسه، لقد حاولت الاتصال بك أمس لكنى لم أستطع الوصول إليك. هل مارست ضغطاً ما على جورج؟".

"ماذا تقصد؟".

"حسناً، لقد كان جورج ملحاً فى دعوتى لحفلتكم الليلة. وذلك على خلاف عادته معى! حتى إنه كان مصراً علىأنه لا مفر لدى من القدوم. وقد ظننت أن هذا نتيجة بعض الضغط عليه من جانبك".

"كلا، أنا لم أفعل شيئاً بهذا الخصوص".

"فهل تغير قلبه من تلقاء نفسه؟".

"ليس بالضبط، إنما".

"ما الأمر يا عزيزتى؟ يمكننى أن أسمعك وأنت تتنهدين من خلال الهاتف، هل

هناك من خطب؟".

"كلا، لا شيء. سأكون بأفضل حال غداً، ستصبح الأمور على خير ما يرام غداً".

"يا له من إيمان قوى، ألا يقولون: "غداً لا يأتى أبداً؟"".

"لا".

"هل هناك من خطب يا إيريس؟".

"لا شيء، لا أستطيع أن أخبرك، لقد أقسمت، أتفهم ذلك".

"أخبرينى يا حبيبتى".

"كلا، حقاً لا أستطيع، أنطونى، هلا أخبرتنى بشيء ما؟".

"إن استطعت".

"هل كنت فى يوم من الأيام على علاقة غرامية ب. روزمارى؟".

مرت برهة من الصمت ثم سمع دوى ضحكة.

"إذن فهذا هو الأمر يا إيريس. نعم لقد أحببت روزمارى مدة، تعرفين أنها كانت جميلة جداً، وفى يوم من الأيام كنت أتحدث إليها ورأيتك تنزلين من على السلم وفى دقيقة انتهى كل شيء، لم يعد هناك فى قلبى سواك. إنها الحقيقة الكاملة يا إيريس. فلا تحزنى من شيء كهذا، فحتى روميو كان يحب روزالين إلى أن وقع فى غرام جولييت كما تعرفين".

"أشكرك يا أنطونى. أنا سعيدة بذلك".

"أراك الليلة إذن، إنه عيد ميلادك، أليس كذلك؟".

"ليس قبل أسبوع – ومع ذلك فهى حفلة عيد ميلادى".

"تبدين غير متحمسة للحفلة".

"فعلاً أنا لست متحمسة".

"أعتقد أن جورج يعرف ما يفعله، ولكنها تبدو لى فكرة مجنونة بأن يقيم الحفل فى نفس المكان حيث...".

"آه، لقد ذهبت إلى مطعم لوكسمبورج عدة مرات منذ أن كانت روزمارى، آه لا يمكن للمرء تجنب التفكير بالأمر".

"صحيح، وما من جدوى. لقد اشتريت لك هدية عيد ميلاد يا إيريس. أتمنى أن تنال إعجابك، إلى اللقاء".

ثم أنهى المحادثة.

عادت إيريس إلى لوسيلا دراك لتناقشها، وتقنعها، وتعيد الطمأنينة لها.

وبمجرد أن وصل جورج الى مكتبه، أرسل فى طلب روث.

هدأ توتره قليلاً بمجرد أن دخلت هادئة ومبتسمة مرتدية معطفها الأسود وتنورتها.

"صباح الخير".

"صباح الخير يا روث. هناك مشكلة أخرى. انظرى الى هذه".

أمسكت بالبرقية التى ألقاها.

"فيكتور دراك مجدداً!".

"نعم، عليه اللعنة".

أمسكت بالبرقية وظلت لدقيقة صامتة، انتعشت فى ذاكرتها صورة ذلك الوجه النحيف ذى اللون البنى، والذى يتجعد حول الأنف عندما يضحك، وذلك الصوت الزائف عندما قال: "نوعية الفتاة التى ينبغى أن تتزوج الرئيس..."، وكم كان ذلك كله منتعشاً فى ذاكرتها.

فكرت:

"كما لو كان الأمر قد حدث بالأمس...".

جاءها صوت جورج مذكراً:

"ألم يمض عام منذ أن أرسلناه الى الخارج؟".

فكرت قليلاً ثم قالت:

"أعتقد ذلك. فى الواقع كان ذلك فى السابع والعشرين من أكتوبر".

"يا لك من فتاة مذهلة. يا لها من ذاكرة!".

حدثت نفسها بسبب أقوى جعلها تذكر التاريخ، لقد كان تأثير فيكتور دراك عليها هو الذى جعلها حين تسمع صوت روزمارى المهمل عبر الهاتف تقرر أن تكره زوجة صاحب عملها.

قال جورج: "أعتقد أننا محظوظون بأنه لايزال فى الخارج على الرغم من أن ذلك كلفنا خمسين جنيهاً منذ ثلاثة أشهر".

"ثلاثمائة جنيه تبدو كثيرة الآن".

"نعم، لن يحصل على هذا المبلغ. سوف نقوم بتحقيقنا المعتاد".

"يجب علىّ أن أتصل بالسيد أوجليفى".

كان السيد ألكسندر أوجليفى هو وكيلهم فى بيونيس آيريس وهو رجل اسكتلندى صارم وقور.

"نعم أرسلى له برقية فى الحال. إن أمه فى حالتها المعتادة. بالتحديد هى فى حالة هيستيرية مما يجعل الأمر صعباً بالنسبة لحفلة الليلة".

"هل تريدنى أن أبقى معها؟".

عارض الفكرة بشكل لافت للنظر: "كلا، بالتأكيد لا، فأنت الشخص الذى ينبغى أن يكون هناك؛ فأنا أحتاج إليك يا روث"، ثم تناول يدها وقال: "أنت مخلوق غير أنانى بالمرة يا روث".

"أنا لست كذلك على الإطلاق".

ثم ابتسمت وقالت مقترحة:

"هل يستحق الأمر إجراء اتصال هاتفى بالسيد أوجليفى؟ فعلينا أن ننجز الأمر قبل حلول الظلام".

"فكرة جيدة. تستحق تكلفة المكالمة".

"سوف أهتم بالأمر فى الحال".

وبلطف شديد، سحبت يدها من يده وخرجت.

وبدأ جورج فى معالجة العديد من الأمور التى كانت فى انتظاره.

فى الثانية عشرة والنصف، خرج واستقل سيارة أجرة إلى مطعم لوكسمبورج.

أتى إليه تشارلز، كبير الندل المعروف لدى الجميع، وأومأ برأسه مبتسماً ترحيباً به.

"صباح الخير سيد بارتون".

"صباح الخير يا تشارلز، هل كل شىء جاهز بالنسبة لليلة؟".

"أعتقد أنك ستكون راضياً يا سيدى".

"الطاولة ذاتها؟".

"الطاولة الوسطى فى الغرفة الصغيرة، صحيح، أليس كذلك؟".

"نعم – هل تفهم ما يعنيه أمر المكان الإضافى؟".

"تم التجهيز لذلك كله".

"هل لديك نبات الروزمارى؟".

"نعم يا سيد بارتون، أخشى أن يخل ذلك برونق المكان، ألا تود بعضاً من العليق الأحمر معه، أو بعض زهور الأقحوان؟".

"كلا، فقط نبات الروزمارى".

"حسناً يا سيدى، تحب بالطبع أن ترى القائمة، جوزيبى تعال".

وبإشارة من إصبع تشارلز، ابتسم رجل إيطالى فى منتصف العمر.

"القائمة للسيد بارتون".

ثم قدمت له.

محار وحساء بدون إضافات وطبق اللوكسمبورج من سمك موسى والدجاج البرى وكبد الدجاج مع اللحم.

ألقى عليها جورج نظرة معتادة.

"حسناً، حسناً. كل شيء على ما يرام".

ثم أعادها، ورافقه تشارلز إلى الباب.

قال تشارلز خافضاً صوته:

"اسمح لى سيد بارتون بأن أعبر عن امتنانى بعودتك للتعامل معنا".

ارتسمت على وجه جورج ابتسامة شاحبة وقال:

"علينا أن ننسى الماضى. فلن نستطيع العيش فيه. وقد انتهى برمته".

"بالفعل سيد بارتون. تعلم كم كانت صدمتنا فى ذلك الوقت. أتمنى أن تحظى الآنسة بحفلة عيد ميلاد سعيدة وأن تكون كل الأمور عند حسن ظنك".

بأدب، انحنى تشارلز منسحباً، واتجه بشكل سريع كأنه تنين طائر نحو نادل أقل درجة كان يقترف خطأً ما بجوار النافذة.

خرج جورج وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة. فلم يكن من نوع الرجال الخياليين الذين قد يشعرون بوخزة تعاطف مع مطعم لوكسمبورج. فلم يكن ذنب المطعم أن روزمارى قامت بالانتحار هناك أو أن شخصًا ما قرر أن يقتلها، لكن الحدث كان

مؤثراً بشدة على حال المطعم. وجورج كغيره ممن تتملكهم فكرة ما، كان منشغلاً فقط بتلك الفكرة.

تناول الغداء فى النادى ثم ذهب إلى اجتماع المديرين.

وبينما هو فى طريقه إلى المكتب، أجرى اتصالاً هاتفياً من كابينة هواتف عامة على رقم فى مايدا فيل ثم خرج منها وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة رضا، فكل شىء يسير وفقاً لما هو مخطط له.

ثم عاد إلى المكتب.

أتت إليه روث فى الحال.

"بخصوص فيكتور دراك".

"ماذا هناك؟".

"أخشى أن الأمر أسوأ من المعتاد. فهناك احتمال لتقديمه لمحاكمة جنائية. لقد كان يختلس مال المزرعة لفترة طويلة".

"هل هذا ما قاله أوجيلفى؟".

"نعم، لقد تحدثت إليه هاتفياً هذا الصباح وعاد للاتصال بنا بعد ظهر هذا اليوم، منذ عشر دقائق تقريباً قال إن فيكتور قد أقر بالأمر برمته".

"أمر طبيعى".

"ولكنه أكد على أنهم لن يقاضوه إذا أعاد المال، لقد التقى السيد أوجيلفى مع الشريك الرئيسى ويبدو أن الأمر صحيح والمبلغ المطلوب هو مائة وخمسة وستون جنيهاً".

"السيد فيكتور كان ينوى إذن وضع مائة وخمسة وثلاثين جنيهاً فى جيبه من جراء الصفقة؟".

"للأسف هذا صحيح".

قال جورج بشىء من الرضا: "لقد أحبطنا تدبيره على أية حال".

"لقد أخبرت السيد أوجيلفى بأن يسوى الأمر، أليس ذلك مناسباً؟".

"على المستوى الشخصى سأكون سعيداً لو رأيت هذا الشاب المحتال يدخل السجن – لكن على المرء أن يفكر فى أمه، إنها حمقاء، لكنها امرأة طيبة. وهكذا ينجح السيد فيكتور كعادته".

قالت روث: "يا لك من رجل طيب".

"أنا؟".

"أعتقد أنك أفضل إنسان على وجه الأرض".

تأثر بعبارتها. وأحس بالسعادة والارتباك فى آن واحد. وفى ردة فعل سريعة أمسك يدها وقبلها.

"عزيزتى روث، أنت أعز وأفضل صديق لى، ماذا كنت لأفعل من دونك؟".

وقفا قريبين جداً من بعضهما.

فكرت: "كنت لأكون سعيدة معه، وكنت سأسعده أيضاً فقط لو أن... ".

وفكر هو: "هل آخذ بنصيحة رايس؟ هل يجب أن أقلع عما أنا عازم عليه؟ ألن يكون ذلك أفضل؟".

تملكته الحيرة لبرهة، ثم قال:

"موعدنا فى التاسعة والنصف بمطعم لوكسمبورج".

لقد حضروا جميعاً.

تنهد جورج تنهيدة ارتياح. فقد ظن للحظة الأخيرة أن هناك من سيتغيب ولكنهم حضروا جميعاً. ستيفن فاراداى الطويل القوى، المغرور بعض الشىء. وساندرا فاراداى فى ثوب أسود داكن ناعم وعقد زمردى حول رقبتها. إنها ذات أصل طيب، لا شك فى ذلك. كانت طبيعية للغاية مع لطف أكثر بقليل من المعتاد. روث هى الأخرى كانت ترتدى ثوبا أسود دون زخارف إلا من مشبك مرصع بالجواهر وقد تدلى شعرها الأسود الحالك الناعم بالقرب من رأسها ورقبتها وذراعيها البيضاوين، كانا أشد بياضاً من أذرع الأخريات. ف. روث فتاة عاملة ليس لديها الوقت للاصطباغ بسمرة أشعة الشمس. صادفت عيناه عينيها، ولأنها رأت القلق فى عينيه، ابتسمت كى تعيد إليه الطمأنينة. فانتعش قلبه، يا لوفاء هذه الفتاة. كانت إيريس بالقرب منه صامتة على غير العادة. كانت فقط تبدى يقيناً لديها بأن هذه الحفلة غير عادية. كانت شاحبة لكن إلى حد ما كان شحوباً يناسبها، فقد أضفى عليها جمالاً ثابتاً وقورا كانت ترتدى ثوباً بسيطاً ذا لون أخضر نباتى. وحضر أنطونى براون متأخراً، وبالنسبة إلى جورج، كان قدومه كقفزة سريعة مفاجئة لحيوان برى كنمر أو ربما كفهد، فلم يكن الرجل متحضراً بالفعل.

لقد كان الجميع هناك، حضر الجميع بأمان إلى الشرك الذى نصبه جورج. والآن لتبدأ اللعبة...

تجرعوا كئوسهم. ثم قاموا ومروا عبر المدخل القوسى المفتوح إلى ساحة المطعم الرئيسى.

أزواج الراقصين، والموسيقى الزنجية الهادئة، والندل المهرة الخفاف.

جاء تشارلز وعلى وجهه ابتسامة مهذبة ورافقهم إلى الطاولة الخاصة بهم. كانت فى أقصى مكان بالقاعة، حيث فجوة قوسية غير عميقة تحوى ثلاث طاولات: واحدة كبيرة فى المنتصف وطاولتين صغيرتين على جانبى الكبيرة يصلحان لفردين. على إحداها جلس رجل أجنبى فى منتصف العمر مع شقراء جميلة، وعلى الأخرى شاب صغير وفتاة، أما الطاولة الوسطى فكانت محجوزة لحفل بارتون.

وبلطف، أشار جورج إلى كل واحد منهم بمجلسه.

"ساندرا، هلا جلست هنا عن يمينى. بعدها براون، أما أنت عزيزتى إيريس فإنها حفلتك حيث ستجلسين هنا بجوارى. وأنت يا فارادای بعدها، ثم بعد ذلك أنت يا روث...".

ثم توقف. هناك مقعد خال بين روث وأنطونى فقد أعدت الطاولة لسبعة أفراد.

"ربما يتأخر صديقى رايس قليلاً. لقد قال لى إنه لا يتوجب علينا انتظاره. سيلحق بنا بعض الوقت. أريدكم جميعاً أن تتعرفوا عليه، إنه صديق رائع، فقد طاف العالم كله ويمكنه أن يخبركم بقصص جيدة".

جلست إيريس وبداخلها شعور بالغضب. لقد فعل جورج ذلك لغرض إبعادها عن أنطونى. أما روث فكانت جالسة فى المكان الذى يجب أن تجلس فيه، بجوار ضيفها. إذن ف. جورج لا يزال يكره أنطونى ولا يثق به.

اختلست نظرة عبر الطاولة، كان أنطونى عابس الوجه، لم يكن ينظر إليها، وعلى نحو مفاجئ ألقى نظرة خاطفة على المقعد الخالى بجانبه وقال:

"رائع أن لديك بديلاً يا بارتون، فربما أنصرف عنكم مبكراً إنه أمر لا يمكن تجنبه أبداً؛ فقد قابلت مصادفة رجلاً أعرفه".

قال جورج والابتسامة على وجهه:

"تدير الأعمال فى ساعات المرح؟ أنت صغير جداً على ذلك يا براون، على الرغم من أننى لم أعرف أبداً طبيعة عملك؟".

وبالمصادفة، كانت المحادثة تجرى فى حال من الرتابة، فجاء جواب أنطونى بتأن وهدوء متعمدين:

"الجريمة المنظمة يا بارتون. هذا ما كنت أقوله عندما يسألنى أحدهم هذا السؤال، السرقات المنظمة، أعمال الاختلاس. خدمات يطلبها الناس على عناوينهم الخاصة".

قالت ساندرا فاراداى وهى تضحك:

"عليك إذن محاربة التسلح يا سيد براون، أليس كذلك؟ فحَمَلة السلاح هم غالباً الأشرار هذه الأيام".

رأت إيريس عينى أنطونى تتسعان للحظة بشىء من المفاجأة ثم قال برفق:

"أعتقد أنك لا يجب أن تعذرينى سيدة ألكسندرا. فالأمر كله فى نطاق السرية؛ فجواسيس أى قوى أجنبية معينة فى كل مكان ثم أضاف ضاحكًا: "إننى أمزح بالطبع".

وهز رأسه بطريقة تدل على أنه كان يمزح.

أخذ النادل أطباق المحار. وطلب ستيفن من إيريس أن تراقصه إذا كانت تود.

بعدها بقليل، كانوا جميعاً يرقصون، ثم خفتت الأنوار.

ثم حان دور إيريس فى الرقص مع أنطونى.

قالت: "إن من الحقارة ألا يدعنا جورج نجلس بجوار بعضنا".

"بل هو لطف منه؛ فبتلك الطريقة أستطيع أن أنظر إليك طوال الوقت عبر الطاولة".

"لست مضطراً حقاً للانصراف مبكراً؟".

"ربما أضطر لذلك".

ثم قال:

"هل كنت تعلمين أن الكولونيل رايس سيحضر الحفلة؟".

"كلا، لم يكن لدىّ أدنى فكرة".

"أمر غريب".

"هل تعرفه؟ آه، لقد قلت من قبل إنك تعرفه".

ثم أضافت:

"أى نوع من الرجال هو؟".

"لا أحد يعرف بالضبط".

ثم عادا إلى الطاولة، كان الليل يمر ببطء شديد. وببطء بدأ التوتر الذى كاد يختفى من الجلسة بالاقتراب مجددا. فقد ساد الطاولة جو من التوتر. إلا المضيف فقد ظل لطيفاً وغير مبالٍ.

رأته إيريس يلقى نظرة خاطفة على ساعته.

فجأة كان هناك طرق للطبول وخفتت الأنوار، وأرجعت المقاعد قليلاً للوراء واتجهت الأنظار جانباً. فقد جاء ثلاثة رجال وثلاث بنات إلى المسرح وبدأوا بالرقص. بعدهم، جاء إلى المسرح رجل قادر على تقليد الأصوات؛ أصوات القطارات والبواخر والطائرات وماكينات الخياطة وسعال الأبقار. كان عرضاً ناجحاً. تبعته لينى وفلو فى رقصة مثيرة والتى كانت أقرب للحركات البهلوانية منها إلى الرقص. نالت تصفيقاً حاراً. تلا ذلك عرض جماعى آخر لمجموعة لوكسمبورج السداسية. ثم أضيئت الأنوار.

طرف الجميع بعيونهم.

فى نفس الوقت سرت موجة تحرر مفاجئ من ضغط مقيد كاد يحل بهم. فكأنهم كانوا فى انتظار حدث ما لم يحدث، ففى مرة سابقة وحين أضيئت الأنوار وجدوا جسداً ميتاً ملقى على الطاولة. إن الماضى أصبح الآن ماضياً بالفعل، وانطوى منسياً. لقد انقشعت ظلال المأساة.

التفتت ساندرا نحو أنطونى فى ود. وتحدث ستيفن بملاحظة إلى إيريس ومالت روث لتستمع إلى ما يقول، أما جورج وحده فهو من ظل محدقاً – محدقاً فقط، لقد ثبت عينيه على المقعد الخالى قبالته. والمساحة أمام المقعد معدة. فكان الشراب فى الكأس فى أى لحظة قد يأتى شخص ما ويجلس هناك.

أعادته وكزة من إيريس لانتباهه:

"استيقظ يا جورج. تعال وارقص معى، أنت لم ترقص معى حتى الآن".

قام من مقعده وابتسم لها وترك كأسه.

"سوف نشرب أولا نخب عيد ميلاد السيدة الصغيرة التى نحتفل به، عيد ميلاد إيريس مارل التى أرجو الله أن يباركها!".

شربوا جميعاً وهم يضحكون. ثم قاموا جميعاً ليرقصوا، جورج مع إيريس وستيفن مع روث وأنطونى مع ساندرا.

كان الإيقاع على موسيقى الجاز.

ثم عادوا جميعاً يضحكون ويتحدثون ثم جلسوا.

بعد ذلك مال جورج إلى الأمام.

"هناك شيء أريد أن أسألكم جميعاً إياه. منذ حوالى عام أو أقل أو أكثر، كنا هنا فى مساء انتهى نهاية مأساوية. أنا لا أريد أن أعيد إلى الأذهان مرارة الماضى، ولكن الأمر أننى لا أريد أن أحس أننا قد نسينا روزمارى إلى الأبد. ولهذا أطلب منكم أن نشرب فى ذكرى روزمارى - من أجل روزمارى".

ثم رفع كأسه، وفعل الجميع من بعده. كانت وجوههم خاشعة.

ثم قال جورج:

"لروح روزمارى، للذكرى".

رفعت الكئوس إلى شفاههم وشربوا. ثم توقف النقاش للحظات - ثم مال جورج إلى الأمام وسقط من على مقعده واضعاً يده على رقبته وقد تحول لون وجهه إلى اللون الأرجوانى وكأنه يناضل من أجل التنفس.

استغرق الأمر دقيقة والنصف حتى فارق الحياة.

الكتاب الثالث

إيري

"لقد كنت أعتقد أن الموتى يرقدون فى سلام. لكن الأمر ليس كذلك...".

عبر الكولونيل رايس مدخل مبنى سكوتلانديارد الجديد ثم ملأ الاستمارة التى قدمت له وفى دقائق قليلة جداً، كان يصافح المحقق كيمب فى مكتب الأخير.

كانت معرفة الرجلين ببعضهما كبيرة. كان كيمب يحمل ذكريات عديدة مع هذا المحارب القديم العتيد. لقد عمل تحت إمرته لسنوات عديدة، ويبدو أنه تطبع دون وعى بالعديد من صفات قائده الحسنة. فقد أخذ عنه توحيد نوع خشب الأثاث لكن فى حين كان قائده يفضل خشب الساج أو البلوط، فضل كيمب خشبًا يميل للبهرجة مثل الماهوجنى أو شجر خشب الورد الجيد عتيق الطراز.

قال كيمب: "لطف بالغ منك أن تتصل بنا يا كولونيل إننا نريد كل المساعدة التى يمكن أن نحصل عليها فى هذه القضية".

قال رايس: "يبدو أنها تسير بنا نحو علية القوم".

لم يتنصل كيمب من تلك الحقيقة. فقد تقبل بهدوء الحقيقة الواضحة بأن القضايا ذات الحساسية البالغة، والشهرة الواسعة أو الأهمية الكبيرة تحال إليه دوماً. فقال على نحو جدى:

"يرجع ذلك لعلاقة كيدمينستر بالأمر، هذا يعنى وجوب الحرص فى هذه القضية".

أومأ رايس بالموافقة. لقد التقى بالسيدة ساندرا فاراداى مرات عدة. وهى إحدى النساء الهادئات المسالمات اللواتى يجدن التعامل مع مواقف التواصل الجماهيرى العام. لقد سمعها فى أكثر مناسبة تلقى خطابات عامة قد تنقصها الفصاحة، لكنها تتحدث بوضوح وكفاءة، ولديها قدرة كبيرة على السيطرة على موضوع الحديث

وحسن عرضه.

إنها من النساء اللواتى تتصدر حياتهن العامة أخبار الصحف، أما حياتها الشخصية فلا وجود لها سوى فى خلفية منزلية خفيفة.

لكنه مع ذلك كان يعتقد أن للنساء من هذا النوع حياتهن الخاصة. فهن يعرفن الحزن والحب ويشعرن بالغيرة أيضاً. وقد يفقدن السيطرة ويخاطرن بحياتهن أيضاً من أجل مقامرة عاطفية.

قال فى فضول:

"افترض أنها من "فعلت" ذلك يا كيمب؟".

"السيدة ألكسندرا؟ أتعتقد أنها فعلت ذلك يا سيدى؟".

"ليس لدىّ أدنى فكرة ولكن افترض أنها فعلت ذلك أو أنه زوجها - الذى يحتمى بعباءة كيدمينستر".

اتجهت عينا المحقق كيمب الخضراوان المائلتان للزرقة مباشرة نحو عينى الكولونيل رايس السوداوين.

"لو أن أحدهم فعلها، فسوف نقوم باللازم من أجل أن يشنق، أنت تعلم ذلك. فليس هناك خوف وليس هناك من محاباة للقتلة فى هذا البلد. ولكن يجب علينا أن نتأكد مما لدينا من دلائل؛ فالمدعى العام سيصر على ذلك".

أومأ رايس، ثم قال: "لنبدأ العمل إذن".

"لقد مات جورج بارتون بسم السيانيد كما حدث نفس الشىء مع زوجته منذ عام مضى، لقد قلت إنك كنت فى المطعم فعلاً، أليس كذلك؟".

"نعم. لقد دعانى بارتون لحضور الحفلة، ولكنى رفضت. فلم يكن يروقنى ما كان يفعله. لقد اعترضت على الأمر وجادلته. فلو كان يشك فى طريقة موت زوجته لكان عليه أن يأتى إلى المختصين وإليك بالتحديد".

أومأ كيمب.

"هذا ما كان ينبغى عليه أن يفعله حقاً".

"لكن خطرت على باله فكرة أن ينصب فخاً للقاتل، لكنه لم يذكر لى ما هو هذا الفخ. فلم أكن مرتاحاً للأمر برمته، ولذلك ذهبت إلى مطعم لوكسمبورج الليلة الماضية حتى أراقب الأمور. كانت طاولتى بالطبع بعيدة بعض الشىء؛ فما كان ينبغى أن يرانى أحد. وللأسف، ليس هناك ما أخبرك به. فأنا لم أر شيئاً يثير الشك على الإطلاق. فالندل والأشخاص الذين حضروا إلى الحفلة هم الذين اقتربوا من الطاولة".

قال كيمب: "نعم، هذا يضيق من مجال البحث، أليس كذلك؟ كان أحد هؤلاء النادل هو جوزيبى بولسانو. لقد تحفظت عليه هذا الصباح وقد اعتقدت أنك تريد إلقاء نظرة عليه لكنى لا أعتقد أن له يداً فى شىء. لقد أمضى اثنى عشر عاماً فى مطعم لوكسمبورج وله سمعة حسنة. وهو متزوج ولديه ثلاثة أطفال وسجله نظيف، ويتعامل بطريقة جيدة مع كل المترددين على المكان".

"هذا يحصرنا فى الضيوف".

"نعم. نفس المجموعة التى ماتت بينها السيدة بارتون".

"إلام يشير هذا يا كيمب؟".

"إننى أسير فى هذا الاتجاه؛ لأنه من الواضح تماماً أن الحفلين بينهما رابط واحد.

لقد تولى آدمز القضية السابقة، لم تكن حالة انتحار واضحة، ولكن الانتحار كان هو الحل الغالب لما غاب عنه أى دليل مباشر يشير إلى القتل؛ فلا يسع المرء إلا أن يعتبره انتحاراً. إن لدينا العديد من القضايا المشابهة، كما تعلم. انتحار مشكوك فيه. لا يتم إعلام العامة بلمسة الشك هذه، لكننا نضعها فى الأذهان، ففى بعض الأحيان نستمر إلى حد اصطياد الفاعل.

ففى بعض الأحيان يفلح الأمر وفى أحيانٍ أخرى لا يفلح، وفى هذه القضية لم يفلح".

"حتى الآن".

"حتى الآن، هناك شخص ما أقنع السيد بارتون حقيقة بأن زوجته قد قتلت، فتعامل مع الأمر على طريقته - فقد ذكر أنه على الطريق الصحيح لاكتشاف القاتل - وسواء كان كذلك أم لا فلست أدرى، لكن القاتل اعتقد أنه كذلك وقد أحس بتحركات السيد بارتون وقام بالتخلص منه. هذا هو الأمر كما أراه وأتمنى أن توافقنى الرأى؟".

"أوه، نعم. هذا السيناريو يبدو مستقيماً إلى حد كبير. الله أعلم ماذا كان ذلك "الفخ" - لقد لاحظت أن هناك مقعداً خالياً على الطاولة. ربما كان معداً لشاهد غير متوقع، على أية حال فقد تم الأمر على غير ما أراد. وقد أقلق ذلك الجانى بشدة فلم ينتظر حتى تمام الأمر".

قال كيمب: "حسناً، إن لدينا خمسة مشتبهين. ولدينا القضية الأولى للاستمرار فيها - قضية السيدة بارتون".

"هل يعنى ذلك أنك غير مقتنع تمامًا بأنها انتحرت؟".

"يبدو أن جريمة القتل هذه تشير إلى أن ما حدث لها لم يكن انتحاراً، إلا أننا

معذورون فى قبولنا لنظرية الانتحار فى ذلك الوقت باعتبارها الاحتمال الأقرب؛ فقد كان لدينا دليل على ذلك".

"الإحباط الذى يعقب الإصابة بالإنفلونزا؟".

بدت على وجه كيمب الجامد ابتسامة باهتة.

"كان ذلك فى قاعة المحكمة. لقد وافق ذلك الشواهد الطبية وطيب مشاعر الجميع. هذا يحدث فى كل يوم. وهناك خطاب لم ينته كان موجهاً للأخت يحدد مسألة توزيع الممتلكات الخاصة بها وهو ما يشير إلى أن فكرة الانتحار كانت تشغلها، لقد كانت محبطة حقاً. أنا لا أشك فى ذلك، لكن فى حالات الانتحار بين النساء تمثل قصص الحب تسعين بالمائة من أسبابها، أما الرجال فذات النسبة تكون بسبب المشاكل المالية".

"أنت إذن تعلم أن السيدة بارتون كانت على علاقة غرامية".

"نعم، لقد اكتشفنا ذلك بسرعة. كان الأمر سرياً، لكنه لم يستغرق الكثير حتى تم اكتشافه".

"ستيفن فاراداى؟".

"نعم. لقد اعتادا اللقاء فى شقة صغيرة على طريق إيرلز كورت. لقد دامت لقاءاتهما حوالى ستة أشهر. وأظن أنهما اختلفا، أو لعله سئم منها، ولن تكون أول امرأة تنتحر بسبب نوبة إحباط".

"عن طريق سيانيد البوتاسيوم وفى مطعم عام؟".

"نعم – إذا أرادت أن يكون الأمر مأساوياً وعلى مرأى منه ومن الجميع. فبعض الأشخاص يحبون الإثارة فى تصرفاتهم، ومما علمته أنها لم تكن تعر بالاً لمسألة

التقاليد – أما كل المحاذير فكانت لديه هو".

"هل هناك أى شواهد تدل على أن زوجته علمت بالأمر؟".

"على حد علمنا، لم تكن تعرف أى شيء عن الأمر".

"ربما تكون قد علمت يا كيمب؛ فهى ليست من النساء اللواتى يفضحن مشاعرهن".

"معقول، فلنفترض صواب الاحتمالين. فتكون هى بدافع الغيرة. وهو بدافع الحفاظ على مستقبله المهنى. وكان الطلاق لينهى الأمر. لكن طلاقاً كهذا لن يكون طلاقاً عادياً. ففى حالته تلك يعنى الطلاق خصومة مع آل كيدمينستر".

"ماذا عن السكرتيرة؟".

"من المحتمل أن تكون هى، فلربما كانت مغرمة ب. جورج بارتون. فهما متلازمان فى المكتب وربما تكون قد وقعت فى غرامه. فبعد ظهر أمس كانت إحدى عاملات الهاتف تقلد جورج بارتون وهو ممسك بيد روث قائلاً إنه لا يعرف ماذا كان سيفعل بدونها، ثم خرجت الآنسة ليسينج وضبطتها على حالها هذا فطردت الفتاة من العمل بعد أن قدمت لها راتب شهر، ويبدو أنها كانت حساسة تجاه الأمر. ثم نأتى للأخت التى ورثت الثروة، علينا أن ننتبه لذلك. صحيح أنها تبدو فتاة طيبة، لكن من يدرى. وهناك أيضاً صديق السيدة بارتون الشاب".

"لكم أنا شغوف لمعرفة ما تعرفه عنه؟".

قال كيمب ببطء:

"ليس الكثير – لكن هذا القليل ليس بالمريح أبداً. جواز سفره سليم. إنه رجل أمريكى لم نتمكن من معرفة أى شيء عنه؛ سيئاً كان أو غير ذلك. لقد أتى

المنطقة ونزل فى كلاريدج وتمكن من توثيق معرفته باللورد ديوسبيرى".

"أهو رجل محتال؟".

"هذا ممكن. يبدو أن ديوسبيرى قد انخدع فيه - وطلب منه البقاء".

قال رايس: "ربما مشكلة الأسلحة، فثمة مشكلة تتعلق بتجارب الدبابة الجديدة فى مصانع ديوسبيرى".

"نعم لقد قدم هذا الفتى نفسه باعتباره ذا صلة بأعمال التسليح، وبعد أن مكث فى العمل لفترة وجيزة تمكنوا من اكتشاف أعمال التخريب - وفى اللحظات الأخيرة. وقد قابل براون العديد من أصدقاء ديوسبيرى ويبدو أنه وطد علاقاته مع جميع العاملين فى مجال التسليح. ونتيجة لذلك تم عرض كثير من الأمور عليه والتى فى رأيى ما كان له أن يراها. وفى حالة أو حالتين ظهرت مشكلات خطيرة فى المصانع ليست ببعيد عن تاريخ ظهوره فى المنطقة".

"إنه شخصية مثيرة للاهتمام، أليس كذلك؟".

"نعم. إن لديه جاذبية كبيرة يسخرها لمصلحته".

"وكيف بدأت علاقته بالسيدة بارتون؟ هل كان لـ جورج بارتون علاقة بعالم الأسلحة؟".

"كلا. لكن على ما يبدو أن الاثنين كانا على علاقة وطيدة ببعضهما. وربما كان جورج يترك لزوجته قضاء بعض الأمور. فأنت تعرف أيها الكولونيل ما يمكن أن تتحصل عليه امرأة جميلة من رجل".

أومأ رايس متفحصاً كلمات المحقق، كما عناها، والتى تشير إلى إدارة مكافحة التجسس والتى أدارها لفترة، ولم يستغلها، كما قد يظن الجهلاء، فى حماقاته

الشخصية.

بعد دقيقة أو اثنتين قال:

"هل ألقيت نظرة على تلك الخطابات التى تلقاها جورج؟".

"نعم، لقد وجدتها فى مكتبه الخاص الموجود فى المنزل ليلة أمس. الآنسة مارل هى من أتتنى بها".

"أتعلم يا كيمب، إننى مهتم جداً بأمر هذه الخطابات، فما رأى الخبير فيها؟".

"ورق رخيص وحبر عادى. بصمات الأصابع تشير إلى جورج بارتون وإيريس مارل و مجموعة من اللمسات القليلة الأخرى تعود لعمال البريد. لقد تمت كتابتها بالآلة الكاتبة ويقول الخبراء إنها كتبت من قبل شخص حصل على تعليم جيد فى الصحة العامة".

"تعليم جيد، ليس خادماً إذن؟".

"كلا فى الغالب".

"ذلك يضفى على الأمر الكثير من الإثارة".

"هذا يعنى أن شخصاً آخر على الأقل كانت لديه شكوك".

"شخص لم يذهب إلى الشرطة. شخص رتب لإثارة الشك لدى جورج لكنه لم يتمم الأمر. هناك شىء غريب يا كيمب، هل من المعقول أن يكون هو من كتبها بنفسه؟".

"ربما، لكن لماذا؟".

"كتمهيد للانتحار، الانتحار الذى كان ينوى أن يبدو أنه جريمة قتل".

"حتى يذهب ب. ستيفن فاراداى إلى حبل المشنقة؟ احتمال ولكن كان يجب عليه التأكد من أن أصابع الاتهام ستشير إلى فاراداى، فحتى الآن ليس لدينا أى شىء يدين فاراداى على الإطلاق".

"ماذا عن السيانيد؟ هل عثرتم على أية عبوات؟".

"نعم. كانت هناك عبوة ورقية صغيرة تحت الطاولة. بها بضع حبات من السيانيد. ليس عليها أية بصمات. لو كانت تلك قصة بوليسية لافترض المؤلف نوعاً خاصاً من الورق أو أنه ملفوف على نحو خاص. لكم وددت لو أن كتَّاب الروايات البوليسية حصلوا على دورات فى كيفية سير الأمور على أرض الواقع. وسوف يعلمون سريعاً فى الغالب مدى صعوبة تعقب أى شىء، ولا أحد فى الغالب يلاحظ أى شىء".

ابتسم رايس.

"بالمناسبة، ألم يلاحظ أى شخص أى شىء ليلة أمس؟".

"فى الواقع هذا ما سأعمل عليه اليوم. لقد سمعت أقوال الجميع بشكل مختصر ليلة أمس ثم عدت إلى الفاستون سكوير مع الآنسة مارل وألقيت نظرة على مكتب بارتون والأوراق الخاصة به. علىّ اليوم الحصول على أقوال وافية من الجميع وكذلك من الأشخاص الذين كانوا على الطاولتين الأخريين فى ذات الحجيرة -"، ثم توقف متصفحًا بعض الأوراق وتابع: "نعم ها هم، جيرالد تولينجتون وجريناديير جوردس والسيدة باتريشيا برايس وودورث. إنهما خطيبان شابان وأراهن أنهما لم يريا سوى بعضهما البعض وهناك السيد بيدرو مورلز - من كوارث المكسيك - فحتى بياض عينيه مصفر - والآنسة كريستين شانون - وهى شقراء تعمل فى التنقيب عن

الذهب وأراهن أيضاً أنها لم تر أى شيء - فهى بكماء طالما لم يتعلق الأمر بالمال. هناك احتمال واحد بالمائة أن يكون أحدهم رأى أى شيء. ولكنى دونت أسماءهم وعناوينهم فى اللحظة الأخيرة. سوف نبدأ بكبير الندل جوزيبى. إنه هنا الآن وسوف أطلب إدخاله".

كان جوزيبى بولسانو رجلاً فى منتصف العمر نحيل الجسد ذا وجه يشبه القرد ويشع بالذكاء. كان متوتراً، لكن دون مبالغة. وكان يتحدث الإنجليزية بأسلوب سلس وسبب ذلك أنه يقطن فى الريف منذ أن كان فى السادسة عشرة وتزوج بامرأة إنجليزية.

كان كيمب يتعامل معه بلطف.

"والآن يا جوزيبى، لنسمع منك ما يدور فى ذهنك عما جرى بخلاف أحداثه الظاهرة".

"الأمر برمته سيئ تماماً بالنسبة لى. فقد كنت أنا القائم على خدمة هذه الطاولة. وأنا من قمت بملء كئوس الشراب. وسيدور بخلد الجميع أننى فقدت صوابى وقمت بوضع السم فى الشراب. هذا غير صحيح، لكنه سيجرى على ألسنة الناس. وبالفعل، أخبرنى السيد جولدشتاين أن من الأفضل لى أن أبتعد فى إجازة لمدة أسبوع حتى لا يسألنى الناس ويشيروا إلىّ بأصابع الاتهام. لقد كان الرجل منصفاً، ويرى أنه لا حيلة لى فيما جرى، وأنا أعمل هناك لأعوام، ولذا لم يقم بطردى وهو ما قد يفعله غيره من أصحاب المطاعم. والسيد تشارلز هو الآخر كان لطيفاً معى، لكن فى النهاية ما جرى سوء حظ شديد – حتى إننى بدأت أخاف وأتساءل هل لى من أعداء؟".

قال كيمب بصلابة: "حسناً وهل لك؟".

تحول وجه جوزيبى القردى البائس إلى وجه باسم وفرد ذراعيه قائلاً:

"أنا؟ ليس لى أى أعداء على الإطلاق. لدىّ العديد من الأصدقاء، أما أعداء

فلا".

نخر كيمب، ثم قال:

"والآن بخصوص ليلة أمس، أخبرنى عن الشراب".

"لقد كان من إنتاج 1928 وهو نوع جيد وغالى الثمن. لقد كان السيد بارتون يحب الطعام والشراب الجيد - كان يحب الأفضل فى كل شىء".

"هل طلب الشراب سلفاً؟".

"نعم، لقد رتب الأمر كله مع تشارلز".

"ماذا عن المكان الخالى على الطاولة؟".

"وهذا أيضاً كان مرتباً. فقد أخبر تشارلز، وأخبرنى تشارلز بدوره، أن سيدة صغيرة ستشغله فى المساء".

"سيدة صغيرة؟" تبادل رايس و كيمب النظرات، ثم قال كيمب: "هل تعرف من تلك السيدة الصغيرة؟".

هز جوزيبى رأسه.

"كلا. أنا لا أعرف أى شىء عن هذا الأمر. كان مفترضاً أنها ستأتى فى وقت لاحق. هذا كل ما سمعته".

"لنتابع أمر الشراب، كم كان عدد الزجاجات؟".

"زجاجتان وثالثة جاهزة فى حال الحاجة إليها. الزجاجة الأولى فرغت سريعاً إلى حد ما، أما الثانية فقد فتحتها قبل الاستعراض بقليل، فملأت الكئوس ووضعت

الزجاجة فى الثلج".

"متى كانت آخر مرة رأيت فيها السيد بارتون يشرب من الكأس الخاصة به؟".

"دعنى أتذكر. عندما انتهى الاستعراض، شربوا نخب السيدة الصغيرة، فقد كان عيد ميلادها على ما أعتقد. ثم ذهبوا للرقص. بعد ذلك عادوا وشرب السيد بارتون كأساً فمات من فوره".

"هل قمت بملء الكئوس حينما كانوا يرقصون؟".

"كلا يا سيدى، لقد كانت الكئوس ملأى حين شربوا نخب الآنسة فلم يشربوا إلا رشفات وتبقى الكثير فى الكئوس".

"هل اقترب أى شخص - أى شخص على الإطلاق من الطاولة أثناء رقصهم؟".

"كلا يا سيدى، لم يقترب أحد من الطاولة، أنا متأكد من ذلك".

"هل ذهبوا جميعاً للرقص فى وقت واحد؟".

"نعم".

"وهل رجعوا جميعاً فى نفس الوقت؟".

حرك جوزيبى عينيه فى محاولة للتذكر.

"عاد السيد بارتون أولاً مع السيدة الصغيرة، كان أكثر بدانة من الآخرين فلم يرقص مدة طويلة مثلهم، ثم جاء السيد الوسيم والسيد فارادای والسيدة ذات الرداء الأسود. ثم أتت السيدة فارادای والسيد ذو البشرة السوداء".

"أتعرف السيد فاراداى والسيدة ألكسندرا؟".

"نعم يا سيدى. أنا أراهما باستمرار فى مطعم لوكسمبورج. إنهم أناس مميزون للغاية".

"والآن يا جوزيبى، هل رأيت أياً من هؤلاء الأشخاص يضع أى شيء فى كأس السيد بارتون؟".

"لا أستطيع الجزم بذلك سيدى، فقد كان لدىّ عمل أقوم به بالنسبة للطاولتين الأخريين فى الحجيرة واثنتين فى القاعة الرئيسية للمطعم، فهناك طلبات أخرى يجب تقديمها. فلم أكن مراقباً لطاولة السيد بارتون طيلة الوقت. بعد الاستعراض يذهب الجميع للرقص، فأظل أنا ساكناً بلا انشغال وهذا ما يجعلنى متأكداً من أن أحداً لم يقترب من الطاولة فى تلك الفترة. لكن بمجرد عودة العملاء من رقصتهم ويجلسون، أنشغل بشدة".

أومأ كيمب.

استطرد جوزيبى: "ولكنى أعتقد أنه من الصعب القيام بفعل كهذا دون أن يلاحظ الفاعل. ويبدو لى أن السيد بارتون هو الوحيد القادر على فعل شيء كهذا، لكن يبدو أنكم لا تعتقدون ذلك، أليس كذلك؟".

ثم نظر إلى المحقق متسائلاً:

"إذن فتلك وجهة نظرك؟".

"بطبيعة الحال أنا لا أعرف شيئا، لكنى أتعجب. فمنذ عام مضى، تلك السيدة الجميلة السيدة بارتون تقدم على قتل نفسها. ألا يمكن أن يكون السيد بارتون قد حزن لدرجة أنه قرر الانتحار بذات الطريقة؟ فطريقة كهذه تبدو رومانسية للغاية

صحيح أن شيئاً كهذا يضر بالمطعم، لكن رجلاً يفكر فى قتل نفسه لن يفكر فى مصلحة المطعم".

ونظر بحرص إلى كلا الرجلين.

هز كيمب رأسه وقال: "أشك أن يكون الأمر بهذه السهولة".

ثم طرح بعض الأسئلة الأخرى وبعدها انصرف جوزيبى.

قال رايس بمجرد أن أغلق الباب خلف جوزيبى:

"يهيأ لى أن هذا هو الاحتمال الأرجح".

"أن يقتل زوج حزين نفسه فى الذكرى السنوية لوفاة زوجته؟ لم تكن ذكرى وفاتها لكنها كانت قريبة".

قال رايس: "وفى يوم الصلاة للأرواح".

"صحيح. من المحتمل أن هذه كانت فكرته، لكن إن كان الأمر كذلك ما كان ليخبر أحداً مهما كان عن أمر تلك الخطابات التى احتفظ بها. وقد استشارك فى أمرها وأطلع عليها الآنسة إيريس مارل".

ثم نظر إلى ساعته قائلاً:

"يتوجب علىّ أن أكون فى بيت كيدمينستر فى الثانية عشرة والنصف. لدينا الآن وقت لرؤية هؤلاء الأشخاص الذين كانوا موجودين على الطاولتين الأخريين أو بعضهم على الأقل. فهلا أتيت معى أيها الكولونيل؟".

كان السيد مورلز ينزل فى فندق ريتز. كان موحش المنظر فى تلك الساعة من الصباح فلم يحلق ذقنه بعد وعيناه محمرتان وعليه كل علامات الآثار السيئة للشراب.

كان السيد مورلز أمريكياً ويتحدث لكنة أمريكية. وعلى الرغم من إقراره أنه مستعد لتذكر أى شىء يقدر على تذكره، فإن ذكرياته عن أحداث الليلة الماضية كانت مشوشة تماماً.

"كنت هناك مع كريسى – كانت فتاة عملية بلا شك! لقد قالت إنه مطعم جيد. وقلت لها، سوف نذهب إلى أى مكان تريدينه يا حبيبتى والحق أقول، كان المكان رائعاً بالفعل حيث يعرفون كيف يستخرجون المال منك. لقد كلفتنى الليلة ثلاثين دولاراً. لكن الفرقة كانت سيئة إذ لم يبد أنهم كانوا قادرين على إثارة الزبائن.

انحرف عن وصف مسائه الخاص، موجهاً حديثه نحو تذكر الطاولة التى كانت فى منتصف الحجيرة. ولم يكن مفيداً على الإطلاق فى هذا.

"بالتأكيد كانت هناك طاولة يجلس عليها بعض الأشخاص غير أننى لا أذكر كيف كانوا. فلم أعرهم انتباهى إلا حين انهار ذلك الرجل، وقد ظننت فى البداية أنه لم يتمكن من حمل شرابه. لكنى أذكر الآن إحدى سيدات الطاولة. كانت ذات شعر أسود وأستطيع القول إنها امرأة جذابة".

"أتقصد تلك الفتاة ذات الرداء الأخضر؟".

"كلا، ليست هذه، فتلك كانت نحيلة. بل أقصد تلك المرأة التى كانت ترتدى

الثوب الأسود ذا التعاريج الجميلة".

لقد كانت روث هى التى جذبت انتباه السيد مورلز.

ثم رفع أنفه فى استحسان.

"لقد شاهدتها وهى ترقص وقلت أتستطيع امرأة كهذه أن ترقص! لقد أشرت إليها مرة أو مرتين ولكن عينيها كانت ثابتتين - فقط كانت تنظر إلىّ بتلك النظرة البريطانية المعهودة لديكم".

لم يكن هناك شيء ذو قيمة يمكن استخلاصه من حديث السيد مورلز وقد اعترف بأن حالة من السكر قد اعترته أثناء العرض.

شكره كيمب واستعد للانصراف.

قال السيد مورلز: "إننى أستعد للإبحار غداً إلى نيويورك"، وسأل متلهفاً: "هل ترى أن علىّ البقاء؟".

"شكراً لك. لا أعتقد أن شهادتك ستكون مهمة فى التحقيق".

"كما ترى، أنا مستمتع بالإقامة هنا - وحين يتعلق الأمر بالشرطة فلا ينبغى المعارضة. فحين تطلب منك الشرطة البقاء فيجب عليك أن تبقى، فربما أستطيع تذكر شيء إذا أمعنت التفكير؟".

قطع كيمب هذا الحوار المضيع للوقت وتوجه هو ورايس إلى بروك ستريت حيث قابلهما رجل غضوب هو والد الفتاة الجميلة باتريشيا بريس وودورث.

تلقاهما الجنرال اللورد وودورث بقدر كبير من التعليقات الصامتة على وجهه.

ما الذى يجعل من ابنته - ابنته هو - متورطة فى أمر كهذا؟ إذا لم تستطع فتاة

الخروج مع خطيبها لتناول العشاء فى مطعم بدون أن يقوم محققو الشرطة وسكوتلانديارد بمضايقتهما، فما الجدوى من المجىء إلى إنجلترا إذن؟ إنها حتى لا تعرف أسماء هؤلاء الأشخاص هوبارد — أو بارتون؟ رجل حضرى أو ما شابه! إن الأمر يدعو للحذر فى اختيار المكان الذى تذهب إليه. لطالما كان مطعم لوكسمبورج محط ثقة، لكن يبدو أن هذا هو الحادث الثانى من نوعه الذى يقع هناك. لم يكن من الحكمة أن يصطحب جيرالد بات إلى هناك. هؤلاء الشباب يظنون أنهم يعرفون كل شىء. لكنه على أية حال لم يكن مستعداً لأن تتعرض ابنته لمساءلة مضجرة دون أن يحضر المحامى. فاتصل هاتفياً ب. أندرسون المحامى العجوز الذى يعمل فى لينكولن وطلب منه..

وهنا توقف الجنرال عن أفكاره على نحو مفاجئ ونظر إلى رايس وقال: "لقد رأيتك فى مكان ما، أين؟".

جاءت إجابة رايس فورية ومتبوعة بابتسامة.

"فى بادربور عام 1923".

قال الجنرال: "حقاً، لو أنك جونى رايس فما الذى تفعله فى هذا العرض بالله عليك؟".

ابتسم رايس.

"لقد كنت مع المحقق كيمب حين حان دور ابنتك فى الاستجواب، فاقترحت أنه سيكون من الألطف أن يأتى المحقق إلى هنا بدلاً من أن تذهب إلى مقر سكوتلانديارد ورأيت أن آتى معه".

"تصرف لائق منك يا رايس".

قال المحقق كيمب: "نحن بالطبع لا نريد إزعاج السيدة الصغيرة قدر الإمكان".

ولكن فى هذه اللحظة فتح الباب ودخلت الآنسة باتريشيا بريس وودورث وملكت زمام الموقف بهدوء الشباب واستقلالية رأيهم.

قالت: "مرحباً، أنتم من سكوتلانديارد، أليس كذلك؟ جئتم بشأن ليلة الأمس؟ لقد كنت أنتظر قدومكم. هل أزعجكم والدى؟"، ثم التفتت إليه قائلة: "حسبك والدى، أنت تعلم ما قاله الطبيب بشأن ضغط دمك. فلماذا تزعج نفسك بالتدخل فى كل شىء. إننى لا أستطيع التفكير. سوف أذهب مع المحققين أو المراقبين أو أياً من كانوا إلى غرفتى وسأرسل لك وولترز بكأس من الشراب".

كانت نزعة الجنرال الغاضبة تحرضه للتعبير عنها بوسائل عديدة، لكنه لم يزد على أن قال: "هذا هو الكولونيل رايس، إنه صديق قديم". وبتلك المقدمة فقدت باتريشيا الاهتمام بـ رايس وابتسمت إلى المحقق كيمب.

وفى تحرك موزون انتقلت بهم من الغرفة إلى غرفة الصالون الخاصة بها تاركة بحزم والدها فى غرفة المكتب.

قالت: "مسكين هو والدى، يثير المتاعب لكنه من السهل السيطرة عليه".

استكملوا النقاش على نحو سلمى ولكن بنتائج قليلة.

قالت باتريشيا: "أنا حقاً منزعجة؛ فهذه هى المرة الأولى التى أكون محور الاهتمام ويكون ذلك جراء وقوع جريمة قتل، أليست جريمة قتل بالفعل؟ لقد كانت الصحف متحفظة جداً وغير واضحة فى الحديث لكننى قلت لـ جيرى على الهاتف إنها حتماً جريمة قتل. يا للعجب، جريمة قتل تقع بالقرب منى ولا ألتفت لها مجرد التفاتة!".

كان الندم واضحاً فى نبرة صوتها.

كان لدى المحقق كيمب قناعة مسبقة بأن الخطيبين الشابين اللذين لم تتجاوز خطبتهما أسبوعاً لم يرفعا عينيهما عن بعضهما.

وبجهد جهيد، لم تتمكن باتريشيا سوى تمييز قلة قليلة من الحضور.

"كانت ساندرا فاراداى تبدو أنيقة جداً، الحق أنها دوماً كذلك. وكذا الثوب الإيطالى الرائع الذى كانت ترتديه".

سأل رايس: "هل تعرفينها؟".

هزت باتريشيا رأسها.

"شكلاً فقط، لطالما رأيتها مملة، ومغرورة جداً مثل كل السياسيين".

"هل تعرفين غيرها بالشكل أيضاً؟".

"كلا، لم أر أياً منهم من قبل أو على الأقل هكذا أظن. وفى الحقيقة، أعتقد أننى ما كنت لألاحظ ساندرا لولا ارتدائها ذلك الثوب الإيطالى".

قال المحقق كيمب بعبوس عندما غادرا المنزل: "سوف ترى أن السيد تولينجتون على ذات الشاكلة - فضلاً عن أن شيئاً لن يلفت انتباهه كما جرى معها".

قال رايس موافقاً: "بالفعل؛ فتفصيلة حلة ستيفن فاراداى لا أظنها تثيره".

قال المحقق: "حسناً، لنجرب كريستين شانون ثم ننتهى بالاحتمالات الخارجية".

كانت الآنسة شانون على حد تعبير المفتش كيمب شقراء جميلة، ذات شعر قصير ومصفف بعناية ويتدلى على ظهرها كالأطفال. وربما كانت كما وصفها

المفتش كيمب، بليدة - لكنك تشعر براحة تامة حين تنظر إلى وجهها، وستجد فى عينيها الواسعتين ذواتى الزرقة الخفيفة فطنة تؤكد أن تلك البلادة ليست إلا فيما يخص الأمور النظرية وتؤكد فطرة سليمة وخبرة بالأمور المالية، لقد كانت كريستين شانون على الطريق الصائب فعلاً.

استقبلت كلا الرجلين بجفاوة، وعرضت عليهما الشراب وحين رفضا عرضت عليهما تدخين السجائر، كانت شقتها صغيرة وذات أثاث عصرى رخيص.

"أرجو أن أكون قادرة على مساعدتك حضرة المحقق؛ فاسأل ما بدا لك".

استهل كيمب حديثه ببعض الأسئلة القليلة الخاصة بالتصرفات والسلوكيات التى دارت على طاولة المنتصف فى الحفل.

وعلى الفور بدأت كريستين فى محاولة إبراز ذكائها الشديد وقدرتها الكبيرة على الملاحظة.

" لم يبد أن ذلك الحفل كان طيباً. كان بإمكانك أن ترى ذلك بسهولة. كان الجو بين المحتفلين فاتراً تماماً. لقد أحسست بالأسى من أجل ذلك الكهل الذى قضى نحبه. لقد بذل كل ما بوسعه لتحريك الأمور - كان متوتراً كقطة تمشى على حبل - لكن هذا كله لم يذب أى قدر من الجليد بين الحضور. كانت السيدة الطويلة على يمينه متيبسة وكأنها ابتلعت قضيباً من الحديد والفتاة الصغيرة عن يساره كانت كالمجنونة لأنها، كما كان واضحاً، لم تكن تجلس بجوار ذلك الشاب الوسيم الذى كان فى مواجهتها. أما عن ذلك الطويل الوسيم الذى كان يجلس بجوارها فكان يبدو كما لو أنه يعانى شيئاً فى معدته. فقد كان يتناول طعامه كما لو أنه كان يختنق به. أما عن المرأة التى تليه فكانت تقوم بأقصى جهدها، كانت تتقرب إليه بكل طاقتها، لكنها بدت هى الأخرى وكأن لها انحرافاتها الخاصة".

قال الكولونيل رايس: "يبدو أنك كنت قادرة على ملاحظتهم بشكل جيد يا آنسة شانون".

"سوف أخبرك بالسر، إننى لم أكن مستمتعة تماماً فى رفقتى. فأنا أخرج مع صديقى هذا طيلة ثلاث ليال وقد مللت منه! فكان يخرج لمشاهدة لندن - خصوصاً ما أسماه بالمواقع الكلاسيكية - ويمكننى أن أقول نيابة عنه إنه لم يكن بخيلاً. فنحن نتناول الشراب فى كل فسحة. ونذهب إلى كومبرادور وميل فليرز ثم إلى اللوكسمبورج ويمكن القول إنه استمتع بالرفقة. لكن على نحو ما كان الأمر مثيراً للشفقة. فلم تكن حواراته مسلية أبداً، فهى مجرد قصص طويلة عن صفقات الأعمال التى كان يقوم بها فى المكسيك والعديد منها سمعته ثلاث مرات ويتابع إلى أن يصل فى حديثه إلى النساء اللاتى عرفهن وكيف كن متيمات به. إن أى فتاة ستشعر بالضيق بعد فترة من الاستماع وبيدرو ليس الشخص الذى يسعدك النظر إليه - ولذا فقد كنت مهتمة بالطعام وأخذت عيناى تجولان فى المكان".

قال المحقق: "حسناً، وهذا يكفينا تماماً يا آنسة شانون، وآمل أن تكونى قد لاحظت شيئاً يساعدنا فى حل هذه القضية".

هزت شانون رأسها الأشقر.

"ليست لدىّ أى فكرة عن قاتل الرجل - ليس لدىّ أدنى فكرة على الإطلاق. كل ما فى الأمر أنه تناول كأسه من الشراب ثم بدأ وجهه فى الارتعاش ثم انهار بشكل ما".

"هل تتذكرين متى كانت آخر مرة شرب فيها من كأسه قبل ذلك؟".

فكرت الفتاة ملياً.

"نعم، بمجرد أن انتهى الاستعراض حيث سطعت الأنوار فأمسك بكأسه وقال

شيئاً ما وكذلك فعل الآخرون. يبدو لى أنه كان نخباً أو شيئاً من هذا القبيل".

أومأ المحقق.

"ماذا حدث بعد ذلك؟".

"بعد ذلك عزفت الموسيقى وقاموا جميعاً ليرقصوا حيث أزاحوا مقاعدهم إلى الخلف وهم يضحكون. بدا وكأنهم شعروا بالانتشاء للمرة الأولى هذه الليلة. مذهل هو ما يفعله الشراب فى أجواء أكثر الحفلات كآبة".

"هل ذهبوا جميعاً تاركين الطاولة خالية؟".

"نعم".

"ولم يلمس أيهم كأس السيد بارتون".

جاء ردها بحزم: "لا أحد على الإطلاق، أنا متأكدة من ذلك".

"لا أحد باستثناء النادل طبعاً".

"النادل، أى نادل؟".

"واحد من هؤلاء الخدم الذين يرتدون حزامًا حول خصورهم، كان رجلاً يقارب الستين من عمره. لم يكن بالنادل الحقيقى. فقد كان نحيفاً يشبه القرد فى وجهه، كان إيطالياً حسب ظنى".

أومأ المحقق كيمب وعرف من ذلك الوصف أنه جوزيبى بولسانو.

"وماذا فعل هذا النادل النحيف؟ هل ملأ الكئوس؟".

هزت شانون رأسها قائلة:

"أوه، كلا، لم يلمس أى شىء على الطاولة، فقط قام بالتقاط حقيبة سهرة أسقطتها إحدى السيدات حين قاموا للرقص".

"حقيبة من كانت؟".

استغرقت شانون دقيقة أو دقيقتين فى التفكير، ثم قالت:

"هذا صحيح، كانت حقيبة الفتاة الصغيرة، كانت باللونين الأخضر والذهبى، أما الأخريان فكانت حقائبهما سوداوى اللون".

"ماذا فعل النادل بالحقيبة؟".

بدت شانون مندهشة.

"لم يزد على أن وضعها على الطاولة، هذا كل ما فى الأمر".

"هل أنت متأكدة من أنه لم يلمس أياً من الكئوس؟".

"كلا، فقط وضع الحقيبة بسرعة وعاد مسرعاً لأن أحد الندل صاح به فى استهجان كى يذهب إلى مكان ما أو أن يحضر شيئاً؛ فكل خطأ كان يقع عليه هو!".

"هل هذه هى المرة الوحيدة التى اقترب فيها أى شخص من الطاولة؟".

"نعم، كانت المرة الوحيدة".

"لكن لعل شخصاً آخر ذهب إلى الطاولة دون أن تريه؟".

لكن كرستين هزت رأسها نافية بشدة.

"كلا. أنا متأكدة من قولى. لقد ذهب بيدرو لإجراء اتصال هاتفى ولم يكن قد عاد بعد. لذا لم يكن لدىّ سوى النظر فى أرجاء الغرفة بملل. أنا جيدة جداً فى ملاحظة الأشياء، فمن المكان الذى كنت أجلس فيه لم يكن أمامى إلا الطاولة الخالية المقابلة لنا".

سأل رايس:

"من الذى عاد أولاً إلى الطاولة؟".

"الفتاة التى كانت ترتدى الرداء الأخضر والرجل الكبير حيث جلسا، ثم أتى السيد الوسيم والفتاة التى كانت ترتدى الفستان الأسود ومن بعدهما الفتاة المغرورة والشاب ذو البشرة الداكنة، يا له من راقص ماهر. وعندما عادوا جميعاً كان النادل يسخن على عجل طبقاً على مصباح من الكحول. انحنى الرجل الكبير إلى الأمام وقال كلمة ما ثم التقطوا جميعاً كئوسهم مرة أخرى. وعندها وقع ما وقع". توقفت كريستين قليلاً ثم أضافت: "كان حدثاً مرعباً بلا شك. فى البداية اعتقدت أنه أصيب بسكتة قلبية، فقد أصيبت عمتى بسكتة كهذه وسقطت على الأرض بذات الطريقة. ثم أتى بيدرو، فقلت له: "انظر يا بدرو، لقد أصيب هذا الرجل بسكتة"، فقال بيدرو إنه فى حالة إغماء لا أكثر وهو ما أوشك أن يقع فيه بيدرو أيضا، وكان علىّ أن أبقى مراقبة له. ففى أماكن مثل اللوكسمبورج لا يحبون أن يقع أحد الزبائن مغشياً عليه. ولذا فأنا لا أحب الإيطاليين. فحين يسكرون يفقدون لياقتهم تماماً، ولا تعرف الفتاة أبداً ما قد يقع لها من إساءة إن هى وقعت فى موقف كهذا". سكتت للحظات، ونظرت إلى سوار لامع فى معصمها الأيمن، ثم أضافت: "لكن ينبغى القول إنهم كرماء للغاية".

وبطريقة لطيفة، صرف المحقق كيمب انتباهها عن الحديث عن الإساءات

والتعويضات فى حياة الفتاة لتتابع سرد قصتها مرة أخرى.

عندما رحلا من شقة الآنسة شانون قال كيمب ل. رايس: "لقد كانت تلك آخر فرصة للحصول على مساعدة خارجية وقد انقضت. فهذه الفتاة هى الشاهدة المثالية. فهى تراقب الأشياء وتذكرها بدقة. ولو أن أى شىء قد وقع يلفت الانتباه لرأته. هذا يعنى أن شيئاً لم يقع بالأساس. الأمر جد محير. الحادث أقرب إلى السحر! فقد شرب جورج بارتون الشراب ثم ذهب ليرقص، ثم عاد وشرب من نفس الكأس التى لم يمسسها أحد فيكون، وياللعجب، مليئاً بالسيانيد، إنه أمر يدعو للجنون. ما كنت لأصدق وقوعه لولا أنه وقع فعلاً".

ثم توقف لدقيقة.

"النادل، ذلك الخادم. إن جوزيبى لم يأت على ذكره قط. لابد أن أنظر فى أمره. فهو على أية حال الشخص الوحيد الذى اقترب من الطاولة حين كانوا جميعاً يرقصون، إذ قد نجد فى أمره شيئاً ما".

هز رايس رأسه.

"إذا كان قد وضع شيئاً فى كأس بارتون، لرأته هذه الفتاة. إنها قوية الملاحظة بالفطرة. فلا شىء يشغل عقلها، ولذا تستخدم عينيها، كلا يا كيمب لابد أن هناك تفسيراً أبسط للأمر علينا الوصول إليه".

"لدينا لذلك تفسير واحد: أن يكون هو من وضعه بنفسه".

"لقد بدأت أومن بأن هذا ما جرى، هذا هو الاحتمال الممكن الوحيد. ولكن إن كان ذلك هو ما جرى يا كيمب، فلدىّ قناعة بأنه لم يكن يعرف أنه سيانيد".

"تقصد أن شخصاً ما أعطاه إياه؟ وأخبره أنه لعسر الهضم أو ضغط الدم – أو

أى شىء من هذا القبيل؟".

"محتمل".

"فلن يكون إذن أى من عائلة فاراداى".

"ذلك أمر بعيد الاحتمال".

"وأستطيع القول إن احتمال كونه أنطونى براون احتمال بعيد أيضاً، وهذا يحصر الشك فى شخصين: أخت زوجته الرقيقة".

"والسكرتيرة المخلصة".

نظر إليه كيمب.

"نعم، ربما مررت له شيئاً من هذا القبيل خلسة، علىّ الآن التوجه إلى بيت كيدمينستر، ماذا عنك؟ هل ستذهب لترى الآنسة مارل؟".

"أعتقد أننى سأذهب لزيارة الأخرى - تلك التى فى المكتب لأقدم التعازى فى صديق قديم، وربما أصحبها لتناول الغداء معاً".

"إذن هذا ما تعتقده؟".

"أنا لا أعتقد شيئاً حتى الآن، بل أنا أقتفى الأثر".

"يجب أن تقابل إيريس مارل على أية حال".

"سوف أذهب لرؤيتها، لكننى أفضل الذهاب إلى البيت أولاً وهى بالخارج، أتعرف لماذا يا كيمب؟".

"لا أعرف بالضبط".

"لأن بالبيت ثرثارة كبيرة، والثرثارون مثل العصفورة فقديمًا كنا نقول "أخبرتنى العصفورة". وهذا واقع، فهؤلاء الثرثارون يخبرونك بالكثير، وعليك فقط أن تتركهم يثرثرون".

افترق الرجلان. وأوقف رايس سيارة أجرة وذهب إلى مكتب جورج بارتون فى المدينة، أما كبير المحققين كيمب فقد استقل الحافلة إلى بيت كيدمينستر خفضاً للتكاليف.

كان وجه المحقق متجهماً وهو يرتقى درجات السلم حتى ضغط زر الجرس. كان يدرك صعوبة ما هو مقدم عليه. فعائلة كيدمينستر ذات نفوذ سياسى متشعب وفروعها تنتشر فى كل أنحاء البلاد. وكان المحقق كيمب يؤمن من داخله بنزاهة العدالة فى بريطانيا، وأنه لو ثبت أن ل. ستيفين أو ألكسندار علاقة بموت روزمارى بارتون أو جورج بارتون فلا وساطة ولا نفوذ يمكن أن يفلتهما بفعلتهما هذه. لكن إن كانا غير ذلك، أو كانت الدلائل التى تشير إليهما ليست مقنعة تماما، فينبغى على الضابط المسئول أن يكون حذراً فى خطواته أو أن يصبح عرضة لعقاب رؤسائه، وفى ظروف كهذه يبدو بديهياً أن المحقق كيمب ليس سعيداً بالتحقيق. فثمة احتمال كبير أن يثير الأمر حنق عائلة كيدمينستر ويلقى منهم "معاملة فظة" كما كان يقول لنفسه.

وسرعان ما اكتشف كيمب أنه كان ساذجاً إلى حد ما فى افتراضه هذا. فاللورد كيدمينستر دبلوماسى عتيد لا يمكنه اللجوء إلى الفظاظة فى المعاملة.

وبمجرد أن أفصح عن عمله، اصطحبه كبير خدم المنزل، والذى كان يبدو مهيباً، نحو غرفة كتب ذات إضاءة خافتة فى مؤخرة المنزل حيث وجد اللورد كيدمينستر وابنته وزوج ابنته فى انتظاره.

تقدم نحو اللورد كيدمينستر وتصافحا؛ وقال اللورد بكياسة:

"لقد أتيت فى موعدك تماماً أيها المحقق. اسمح لى بأن أعبر عن جزيل امتنانى

لحضورك هنا بدلاً من استدعاء ابنتى وزوجها إلى مبنى سكوتلانديارد، وقد كانا جاهزين لفعل ذلك لو كان الأمر ضرورياً - فهذا أمر بديهى - لكنهما يقدران لطفك".

قالت ساندرا بصوت هادئ:

"هذا صحيح بالفعل أيها المحقق".

كانت ترتدى فستاناً مصنوعاً من مادة ناعمة ذا لون أحمر داكن. وكانت تجلس حيث يدخل شعاع ضوء من المرآة الطويلة التى كانت بالنافذة التى خلفها. وقد ذكرت كيمب بتمثال زجاجى مرقط رآه فى واجهة إحدى دور العبادة فى الخارج. فوجهها البيضاوى الطويل وكتفاها ذواتا الزاويا الحادة قربت له ذلك الشبه. كان التمثال لقديس أو ما شابه، لكن السيدة ألكسندرا لم تكن قديسة، فهى أبعد ما تكون عن ذلك.

كان ستيفن فاراداى يقف بالقرب من زوجته. ولم يعكس وجهه أى انطباع محدد. كان منضبطاً، رسمياً، كأفضل ما يكون عليه عضو برلمانى. وكانت طبيعته متوارية خلف هذا المظهر. لكنها كانت موجودة وكان المحقق يدرك ذلك.

كان اللورد كيدمينستر يتحدث، مديراً دفة الحوار باقتدار كبير.

"لا أخفيك سراً أيها المحقق، إن الأمر برمته مؤلم وبغيض جداً لنا جميعاً. فتلك هى المرة الثانية التى يكون لابنتى وزوجها علاقة بموت غير طبيعى فى مكان عام فى المطعم ذاته ومع شخصين من ذات العائلة. فأحداث بهذا الذيوع قد تضر الشخصية العامة. صحيح أن ذيوع الأمر لا يمكن تجنبه، كلنا نلاحظ ذلك. وابنتى وزوجها قلقان وحريصان جداً لتقديم كل المساعدة التى تحتاج إليها على أمل أن يساعد ذلك فى كشف الحقيقة سريعاً وصرف الانتباه عن الأمر".

"أشكرك أيها اللورد كيدمينستر. وأقدر الحفاوة التى قابلتنى بها، فهذا سيسهل الأمور علينا كثيراً".

قالت ساندرا فاراداى:

"من فضلك أيها المحقق، اطرح ما لديك من أسئلة".

"شكراً لك سيدة ألكسندرا".

قال اللورد كيدمينستر: "أمر أخير أود الإشارة له حضرة المحقق. لديك بالطبع مصادر معلوماتك الخاصة، ولكننى عرفت من صديقى مأمور الشرطة أن موت بارتون أقرب لاعتباره قتلاً وليس انتحاراً، على الرغم من أن الأمر فى ظاهره، وبالنسبة للعامة يبدو انتحاراً. لكنك كنت تعتقدين أنه كان انتحاراً عزيزتى ساندرا؛ أليس كذلك؟".

مالت ساندرا برأسها قليلاً وقالت وهى تفكر:

"هذا ما بدا لى واضحاً ليلة أمس، لقد كنا فى ذات المطعم وذات الطاولة التى سممت روزمارى بارتون نفسها عليها فى العام الماضى. وقد كنا نلاحظ أموراً على السيد بارتون هذا الصيف حين كنا بالريف، وقد كان بالفعل غريب الحال فى تلك الأثناء، وهذا على غير عادته. وقد اعتقدنا جميعاً أن موت زوجته قد أثر على عقله. فقد كان مغرماً بها، كما تعلم، ولا أعتقد أنه تجاوز قط أمر وفاتها. لذا تبدو فكرة الانتحار، إن لم تكن طبيعية، فعلى الأقل ممكنة بخلاف ذلك لا أتصور أن أحداً قد يرغب فى قتل جورج بارتون".

قال ستيفن فاراداى بسرعة:

"ولا أنا أيضاً أتصورذلك، فقد كان بارتون رفيقاً رائعاً، أنا على يقين أنه لا أعداء

له".

نظر المحقق كيمب إلى الوجوه الثلاثة المتسائلة والمتوجهة ببصرها نحوه وفكر لدقيقة قبل أن يبدأ فى الكلام؛ حيث قال فى نفسه: "الأفضل أن نفترض وجود أعداء له"، ثم شرع فى الحديث قائلاً:

"إننى على يقين بأن ما تقولينه صحيح تماماً يا سيدتى. لكن ثمة أموراً قليلة أنت فى الغالب لم تعرفيها بعد".

فتدخل اللورد كيدمينستر فى الحديث بسرعة:

"لا يجب أن نغل يد المفتش فى بحثه، فإليه يرجع ما يود الإعلان عنه من حقائق".

"أشكرك سيدى اللورد، لكن ما من أسباب تمنع شرح بعض الأمور بقليل من الوضوح. وسألخص لكم الأمر. قبل أن يموت جورج بارتون أباح لاثنين باعتقاده بأن موت زوجته لم يكن انتحاراً، وأنها قد سُممت من قبل طرف ثالث. وكان يرى أيضاً أنه على الطريق الصحيح نحو اكتشاف ذلك الطرف الثالث، وكان الحفل الذى أقيم بالأمس على شرف الآنسة مارل احتفاءً بعيد ميلادها، لم يكن فى الحقيقة سوى جزء من خطته لكشف هوية قاتل زوجته".

للحظات ساد الصمت وأثناء هذا الصمت شعر المحقق كيمب، والذى كان رجلاً حساساً على الرغم من مظهره الذى يدل على الصلابة، شعر بشىء ما صنفه على أنه فزع. لم يكن واضحاً تمامًا على كل الوجوه ولكن كان بإمكانه الجزم بوجوده.

كان اللورد كيدمينستر أول من استعاد اتزانه، فقال:

"لكن هذا الاعتقاد ذاته بالتأكيد يشير أيضاً إلى حقيقة أن بارتون المسكين لم يكن على مايرام بالفعل؟ فالحزن الشديد على موت زوجته من الممكن أن يكون قد أثر بعض الشيء على قواه العقلية".

"احتمال كبير، أيها اللورد كيدمينستر، لكن بارتون لم تكن له ميول انتحارية على الإطلاق".

"نعم، نعم، أفهم وجهة نظرك".

عاد الصمت مجدداً يطبق على المكان، ثم قال ستيفن فاراداى فى حدة:

"ولكن كيف اقتنع بارتون بهذه الفكرة؟ فالواقع أن السيدة بارتون انتحرت بالفعل".

نظر إليه المحقق كيمب متأملاً.

" لم يكن السيد بارتون يعتقد ذلك".

قاطع اللورد كيدمينستر الكلام.

"لكن ألم تكن الشرطة مقتنعة؟ إنهم لم يفترضوا وقتها سوى الانتحار؟".

قال المحقق كيمب بهدوء:

"كانت القرائن كلها تتطابق مع الانتحار. ولم تكن هناك أى دلائل تشير إلى أن موتها كان نتيجة تدخل أى طرف آخر".

كان يدرك أن رجلاً بعقلية اللورد كيدمينستر سيعى المعنى الدقيق لذلك.

قال كيمب بلهجة أكثر رسمية: "أود أن أطرح عليك بعض الأسئلة الآن، إن

أذنت لى سيدة ألكسندرا".

أدارت رأسها قليلاً إليه، وقالت: "بالتأكيد".

"هل لديك شك الآن أن موت السيد بارتون كان نتيجة للقتل وليس الانتحار؟".

"بالتأكيد لا. فأنا على يقين من أنه انتحر"، ثم أضافت: "ومازلت أعتقد ذلك".

تجاوز كيمب هذه النقطة ثم قال:

"هل تلقيت أى خطابات مجهولة المصدر العام الماضى يا سيدة ألكسندرا؟".

جعلها السؤال تبدو وكأن هدوء شخصيتها كسره ذهول تام.

"خطابات مجهولة المصدر؟ أوه، كلا".

"هل أنت متأكدة؟ فخطابات كهذه تكون أمراً غير لطيف يلجأ الناس فى العادة لإنكاره، ولكنها قد تكون مهمة للغاية فى قضية كهذه، وهذا ما يجعلنى أعيد عليك السؤال، فذلك أمر مهم ويجب أن أعلم به إن كان قد حدث بالفعل".

"أفهم ما تقوله. ولكنى أؤكد لك أيها المحقق أننى لم أتلق أى خطابات من هذا النوع".

"حسناً، لقد قلت إن تصرفات السيد بارتون كانت غريبة هذا الصيف، كيف كان ذلك؟".

فكرت لدقيقة.

"حسناً، لقد كان متقلب المزاج وعصبياً للغاية. كان من الصعب أن يركز

بانتباهه على ما يقال له"، ثم أدارت رأسها تجاه زوجها وقالت: "ألم يكن لديك ذات الانطباع يا ستيفن؟".

"نعم. ينبغى أن أقول إن هذا وصف دقيق جداً لما كان عليه. كان الرجل يبدو معتلاً أيضاً؛ حتى إن جسمه قد نحل".

"هل لاحظت أى اختلاف فى سلوكه تجاهك أو تجاه زوجك؟ أى شكل من الجفاء مثلاً؟".

"كلا. على العكس. لقد اشترى منزلاً، كما تعرف، بالقرب منا. وكان يبدو عليه الامتنان لما نقوم به من أجله – أقصد بذلك تعريفه وتقديمه فى المجتمع المحلى وكل تلك الأشياء. وبالفعل نحن كنا سعداء بفعل هذه الأشياء من أجله ومن أجل إيريس مارل؛ تلك الفتاة الساحرة".

"هل كانت السيدة بارتون صديقة جيدة بالنسبة لك يا سيدة ألكسندرا؟".

"كلا، لم نكن على علاقة وطيدة"، ثم ضحكت ضحكة خفيفة وقالت: "لقد كانت صديقة ستيفن، حتى إنها أصبحت مهتمة بالسياسة وقد ساعدها هو على ذلك. حسناً، لقد علمها السياسة وهو الأمر الذى كان يستمتع به بشدة. فقد كانت امرأة جميلة وجذابة كما تعرف".

قال المحقق كيمب فى نفسه: "وأنت امرأة ماهرة. ترى ما، مدى ما تعرفينه عن علاقة الاثنين، لا شك عندى أنك تعرفين الكثير".

ثم استطرد:

"ألم يتحدث إليك السيد بارتون مطلقاً بأنه لا يرى أن زوجته انتحرت؟".

"فى الحقيقة كلا، وهذا هو سبب دهشتى حتى الآن".

"والآنسة مارل؟ ألم تتحدث هى أيضاً عن موت أختها؟".

"كلا".

"هل لديك أية فكرة عما قد يدفع جورج بارتون لشراء منزل فى الريف؟ هل اقترحت أنت أو زوجك هذه الفكرة عليه؟".

"كلا، لقد كان الأمر مفاجأة لنا".

"هل كان يتعامل معكم بسلوك ودود دائماً؟".

"نعم، كان ودوداً للغاية".

"وما الذى تعرفينه عن السيد أنطونى براون يا سيدة ألكسندرا؟".

"أنا حقاً لا أعرف عنه شيئاً على الإطلاق. فقد كنت ألتقيه مصادفة من حين إلى آخر وهذا كل ما أعرفه".

"وماذا عنك أنت يا سيد فاراداى؟".

"أعتقد أننى أعرف عنه أقل مما تعرف زوجتى. فقد كانت على الأقل هى من تراقصه، إنه رجل جذاب وهو أمريكى على ما أعتقد".

"هل يمكنك أن تقول من خلال الملاحظة بأنه كان على علاقة حميمية مع السيدة بارتون؟".

"ليست لدىّ أدنى فكرة أيها المحقق كيمب".

"أنا ببساطة أسألك عن انطباعك فحسب، سيد فاراداى".

عبس وجه فاراداى.

"لقد كانا صديقين – هذا كل ما أستطيع قوله".

"وأنت سيدة ألكسندرا؟".

"مجرد انطباعات أيها المحقق؟".

"نعم، مجرد انطباعات".

"حسناً، ما أعلمه حسب انطباعاتى، أنهما كانا على علاقة جيدة ببعضهما. هذا بالطبع كان يبدو من الطريقة التى كانا يتبادلان بها النظرات؛ فليس لدى أى دليل مادى".

قال المحقق كيمب وهو مبتسم: "إن النساء يجدن الحكم على هذه الأمور". وكانت تلك الابتسامة الحمقاء لتسعد الكولونيل رايس لو كان موجوداً. "والآن، ماذا عن الآنسة ليسينج سيدة ألكسندرا؟".

"حسب علمى، كانت الآنسة ليسينج سكرتيرة للسيد بارتون. لقد قابلتها للمرة الأولى فى ذلك العشاء الذى ماتت فيه السيدة بارتون. بعد ذلك قابلتها مرة عندما نزلوا للإقامة فى المنزل الريفى، إضافة إلى الليلة الماضية".

"لو أذنت لى بسؤال غير رسمى آخر، هل تولد لديك انطباع بأنها كانت واقعة فى حب السيد بارتون؟".

"ليس لدىّ أدنى فكرة".

"لنأت إذن إلى أحداث ليلة أمس".

ثم طرح على كل من ستيفن وزوجته أسئلة دقيقة عن الحدث المأساوى. ولم يكن

يأمل فى الكثير من هذا. فكل ما خرج به كان مثل الذى قيل له من قبل. فقد اتفقت كل الروايات على النقاط الرئيسية، حيث اقترح بارتون شراب نخب إيريس وما إن شربوا حتى قاموا جميعاً ليرقصوا حيث غادروا الطاولة جميعًا وكان بارتون وإيريس أول من عاد إلى الطاولة. ولم يكن لدى أى منهم تفسير لوجود مقعد خال إلا ما قاله لهم جورج بأنه يتوقع حضور صديق له اسمه الكولونيل رايس سوف يأتى فى وقت متأخر، وهى المقولة التى يعرف المحقق أنها لم تكن صحيحة. قالت ذلك ساندرا فاراداى ووافقها زوجها على ذلك. وعندما سطعت الأنوار بعد انتهاء الاستعراض جعل جورج يحدق إلى المقعد الخالى بطريقة غريبة وبدا عليه لبضع لحظات أنه ذاهل العقل ولا يسمع ما يقال له ثم استجمع قواه واقترح أن يشربوا نخباً فى صحة إيريس.

الشيء الوحيد الذى يمكن أن يخرج به المحقق بالإضافة إلى ما يعرفه بالفعل هو الحديث الذى دار بين ساندرا فاراداى وجورج فى فايرهيفين والتماسه لها ولزوجها أن يحضرا الحفلة من أجل إيريس.

لقد رأى المحقق أن حجة جورج هذه على الرغم من كونها معقولة إلا أنها غير حقيقية، ثم أغلق مفكرته، التى كان قد فتحها مرة أو مرتين، ووقف على قدميه.

"سيدى اللورد، سيد فاراداى، سيدة فاراداى، أشكركم جميعا على المساعدة وحسن التعاون".

"هل سيستدعى الأمر حضور ابنتى إلى التحقيق؟".

"ستكون الإجراءات رسمية تماماً فى هذه الحادثة. سيتم تأكيد الهوية ووضع التقرير الطبى. ثم يؤجل التحقيق لمدة أسبوع، وخلال هذا الأسبوع" عند هذه النقطة تغيرت نبرة المحقق قليلاً وهو يقول: "نأمل أن نكون قد أحرزنا بعض التقدم".

ثم استدار إلى ستيفن فاراداى:

"بالمناسبة سيد فاراداى، هناك نقطة أو نقطتان أظنك قد تساعدنى بالحديث إليك بشأنهما، ولا داعى لإزعاج السيدة فاراداى فى هذا الشأن. فإن استطعت أن تتصل بى فى مبنى سكوتلاند يارد، يمكننا تحديد موعد لقاء يلائمك، فأنا أعرف أنك رجل مشغول".

قال عبارته بلطف، وبنبرة تتعمد التبسيط، لكن كلماته وقعت على آذان سامعيه بمعان كثيرة.

ونجح ستيفن فى أن يقول بطريقة تعاونية ودية:

"بالتأكيد أيها المحقق"، ثم نظر إلى ساعته وتمتم: "يتوجب علىّ الذهاب إلى البرلمان".

وعندما هم ستيفن بالخروج وكان المحقق هو أيضاً قد غادر بالفعل، استدار اللورد كيدمينستر إلى ابنته وسألها بحزم:

"هل كان ستيفن على علاقة بتلك السيدة حقاً؟".

مرت لحظة من الصمت قبل أن تجيب ابنته.

"بالطبع لا. فقد كنت لأعرف لو كان الأمر كذلك. على أى حال ستيفن ليس من هذا النوع".

"والآن، اسمعينى يا عزيزتى، فمن غير المجدى أن نتعامى عما يدور من حولنا. فتلك أمور سوف تنكشف لا محالة. ولابد أن نعلم أين نحن من هذه القضية".

"لقد كانت روزمارى بارتون صديقة ذلك الرجل الذى يدعى أنطونى براون. كانا

يذهبان معاً فى كل مكان".

قال اللورد كيدمينستر بهدوء: "حسناً، كان يتوجب عليك أن تعرفى".

لم يكن يصدق ابنته، وحينما خرج من الباب كان على وجهه شيء من الكآبة والحيرة، فصعد الدرج إلى حيث غرفة جلوس زوجته حيث عارض وجودها معهم فى المكتبة، فقد كان يعلم علم اليقين أن عجرفة زوجته ستقود إلى العدائية وقد وجد أنه فى هذا المنعطف ينبغى أن يبقى العلاقة قوية مع الشرطة.

قالت السيدة كيدمينستر: "حسناً، كيف سار الأمر؟".

قال اللورد كيدمينستر بهدوء: "جيد فى الظاهر. إن كيمب شخص لطيف، لقد تعامل مع الأمر كله بلباقة، لباقة أكثر بكثير مما كنت أتخيل".

"فالأمر خطير إذن؟".

"نعم، الأمر جد خطير. لم يكن يتوجب علينا أن ندع ساندرا تتزوج هذا الشاب يا فيكى".

"هذا ما قلته".

"نعم، نعم..." لقد أقر بزعمها، "لقد كنت على حق وكنت أنا مخطئاً. ولكنها كانت ستتزوجه على أية حال ورغماً عنك. فلا يمكن منع ساندرا من عمل شيء قررته. لقد كانت مقابلتها لفارادای كارثة. فهو رجل لا نعرف عنه شيئاً، وحين تقع المشكلات لا يمكن للمرء التنبؤ بطريقة تعامله معها".

قالت السيدة كيدمينستر: "فهمت، أنت تعتقد أننا قد أتينا بقاتل فى العائلة؟".

"لا أعرف. أنا لا أريد أن أدين الرجل. لكن ذلك ما تعتقده الشرطة، وهم

بارعون فى استنتاج هذه الأمور. لكنه كان على علاقة بزوجة بارتون هذه، هذا واضح تماماً. فإن كانت قد انتحرت بسببه أو أنه - حسناً، أيا كان ما فعله، فقد أدركه بارتون وكان عازماً على كشف الأمر وفضحه، وأعتقد ببساطة، أن ستيفن لم يتقبل ذلك و.."."

"وسممه؟".

"نعم".

هزت السيدة كيدمينستر رأسها.

"أنا لا أتفق معك".

"أتمنى أن تكونى على حق. فهناك بالنهاية شخص ما قد سممه".

قالت السيدة كيدمينستر: "لو سألتنى عن الأمر، فإننى أرى ببساطة أن ستيفن لا يمكن أن تكون لديه النزعة لارتكاب شيء كهذا".

"إن الأمر بالغ الخطورة على مستقبله المهنى - إنه موهوب بشدة ولديه - كما تعلمين - مؤهلات رجل السياسة المحنك. ولا يمكنك التنبؤ بما قد يفعله أى إنسان إذا ضاق حوله الخناق".

ظلت زوجته تهز رأسها.

"رغم ذلك فإننى أراه غير قادر على الإقدام على أمر كهذا. فهذا أمر يتطلب شخصاً مغامراً وغير مبال. إننى خائفة. إننى خائفة بشدة يا ويليام".

نظر إليها وقال: "هل تعتقدين أن ساندرا؟".

"إننى أكره حتى مجرد التفكير فى احتمال كهذا. لكن لا يمكننا تجاهل أى

احتمالات ممكنة. إنها حقاً مغرمة بهذا الرجل لقد كانت دوماً كذلك وثمة غموض ينتاب ساندرا لم أفهمه قط. إننى لم أتمكن قط من فهم ما بداخلها - لكننى كنت دوماً مشفقة عليها. إنها قد تخاطر بأى شىء، أى شىء من أجل ستيفن. وبدون النظر إلى العواقب. فإذا كانت على درجة من الجنون كى تقوم بمثل هذا العمل، فلا بد من حمايتها".

"حمايتها؟ ما الذى تقصدينه بحمايتها؟".

"من خلالك. لابد أن تفعل أى شىء لحمايتها، أليس كذلك؟ عليك استخدام كل نفوذك من أجل ذلك".

كان اللورد كيدمينستر يحدق إليها، إنه على الرغم من اعتقاده بأنه يفهم شخصية زوجته جيداً، فإنه كان مذهولاً من قوة وجرأة نظرتها الواقعية ورفضها الاهتزاز أمام حقائق مزعجة محتملة وكذلك تجرد تلك النظرة من الأخلاق.

"هل ترين أنه إن كانت ابنتى قاتلة، فإن علىّ استخدام نفوذى لإنقاذها من عواقب ما اقترفته يداها؟".

قالت السيدة كيدمينستر: "بالطبع".

"عزيزتى فيكى! أنت لا تفهمين الأمر! لا يمكن للمرء فعل شىء كهذا؛ فذاك فعل مخل بالشرف".

قالت السيد كيدمينستر: "هراء!".

ظل كل منهما ينظر إلى الآخر. فكل منهما لا يمكنه الاقتناع بوجهة نظر الآخر.

"يمكنك أن تضغط على تحريات الشرطة كى تظهر الأمر على أنه مجرد انتحار. لقد حدث الأمر فى السابق فلا تتظاهر بغير ذلك".

"يحدث ذلك حين يكون الأمر متعلقاً بالسياسة العامة واهتمامات الدولة، أما هذا فهو أمر شخصى. وأشك أننى أقدر على فعل شىء كهذا".

"بل تستطيع لو توفر لديك التصميم الكافى".

احمر وجه اللورد كيدمينستر مسفراً عن غضب شديد.

"بل لن أفعل إن كنت أستطيع! فتلك إساءة استعمال لمنصبى".

"إذا تم إلقاء القبض على ساندرا، هل يمكن أن تعين لها أفضل محام وأن تفعل كل ما بإمكانك كى تخرجها من هذا المأزق سواء كانت مذنبة أم لا؟".

"بالطبع، ذلك الأمر مختلف تماماً. أنت كامرأة لا تفهمين مثل هذه الأشياء".

صمتت السيدة كيدمينستر، لم يغيرها هذا الهجوم من زوجها. إن ساندرا كانت أقل بناتها محبة إليها، إلا أنها فى تلك اللحظة أم، مجرد أم، تأمل حماية ابنتها بأى وسيلة، شريفة كانت أو غير ذلك. لقد كانت مستعدة للدفاع عن ساندرا بكل وسيلة ممكنة.

قال اللورد كيدمينستر: "على أية حال، لا يمكن أن توجه لساندرا أى تهم، إلا اذا كان هناك دليل مادى قوى تجاهها، وأنا من جانبى لا أتوقع أن تكون ابنتى قاتلة. بل إننى مندهش منك يا فيكى، لمجرد التفكير فى مثل هذه الفكرة للحظة واحدة".

لم تنبس زوجته ببنت شفة. وخرج اللورد كيدمينستر من الغرفة، لاعتقاده أن فيكى التى قد عرفها جيداً لسنوات عديدة تثبت أن بداخلها تلك الأعماق المزعجة التى لا يمكن تصورها!

وجد رايس، روث ليسينج منشغلة بالعديد من الأوراق على مكتب ضخم. كانت ترتدى معطفاً أسود وتنورة سوداء وبلوزة بيضاء وقد تأثر بما كانت تبديه من كفاءة متمهلة وقد لاحظ هالة سوداء حول عينيها ومسحة من الحزن على فمها، لكن حزنها هذا، إن كان حزناً بالفعل، كان تحت السيطرة مثل باقى مشاعرها.

فسرت روث زيارته وقالت فى الحال:

"لطف منك أن تأتى. إننى أعرفك بلا شك. لقد كان السيد بارتون يتوقع حضورك ليلة أمس، أليس كذلك؟ أتذكر أنه قد قال ذلك".

"هل قال ذلك قبل تلك الأمسية؟".

فكرت للحظة.

"كلا. لقد قال ذلك حين كنا نتخذ أماكننا حول الطاولة. وأذكر أننى كنت مندهشة إلى حد ما"، ثم توقفت واحمر وجهها قليلاً مضيفة: "ليس بالطبع لأنه دعاك، فأنت صديق قديم كما أعرف. وكان من المفترض أن تحضر أيضاً تلك الحفلة فى العام الماضى إنما ما أعنيه باندهاشى أن حضورك كان يعنى أنه على السيد بارتون أن يدعو امرأة أخرى كى يعادل عدد الرجال لكن بالطبع إن كنت ستتأخر فى الوصول أو لو أنك لم تأت على الإطلاق" توقفت برهة، ثم تابعت قائلة: "يا لحماقتى، لماذا أخوض فى مثل هذه الأشياء الصغيرة التى لا تعنى شيئاً؟ لكم أنا مخبولة هذا الصباح".

"لكنك قد أتيت للعمل كالعادة؟".

قالت فى اندهاش أقرب للصدمة: "بالطبع أتيت، فذاك عملى، وهناك الكثير من

الأشياء التى تحتاج إلى الترتيب".

قال رايس بلطف: "لقد أخبرنى جورج أنه كان يعتمد عليك كثيراً".

فاستدارت بوجهها، إلا أنه رآها توارى مشاعرها سريعاً وتطرف بعينيها. إن إمعانها فى مواراة مشاعرها كاد يقنعه ببراءتها التامة - يقنعه إلى حد ما لكن ليس تماماً - لقد قابل من قبل العديد من النساء اللواتى يجدن التمثيل. نساء تحمر أجفانهن ويختلقن الهالات السوداء حول عيونهن بغية الادعاء وليس لأية أسباب حقيقية.

قال لنفسه محتفظاً بحكمه:

"على أية حال، إنها امرأة ذات شخصية هادئة".

استدارت روث إلى المكتب وفى إجابة على ملاحظته الأخيرة قالت بهدوء:

"لقد كنت معه لسنوات عديدة، سوف أكمل عامى الثامن معه فى أبريل القادم. وقد خبرت أحواله وأعتقد أنه كان يثق بى".

"أنا على يقين من ذلك".

ثم تابع قائلاً: "لقد حان وقت الغداء، آمل أن تأتى معى لتناول غداء هادئ فى أى مكان، فهناك ما أود الحديث بشأنه معك".

"أشكرك. سيكون هذا لطيفاً بالفعل".

اصطحبها إلى مطعم صغير يعرفه. كانت الطاولات بعيدة عن بعضها بحيث يمكنهما الحديث بخصوصية وهدوء.

طلب الطعام. وعندما ذهب النادل، نظر عبر الطاولة إلى رفيقته.

لقد وجدها فتاة جميلة بشعرها الناعم الداكن وفمها وذقنها المكتنزين.

تحدث معها قليلاً فى مواضيع منفصلة إلى أن أتى الطعام، وتجاذبت معه أطراف الحديث مظهرة فطنتها وحسها العالى.

وبعد توقف الحديث بعض الوقت، قالت:

"أنت تريد الحديث بشأن ليلة أمس، أليس كذلك؟ إننى أرجو ألا تتردد فى ذلك. إن الأمر كله مذهل إلى أبعد مدى حتى إننى أود الحديث فيه، ولولا أن الأمر وقع وأننى رأيته يقع، ما صدقته".

"لقد قابلت المحقق كيمب، أليس كذلك؟".

"نعم، ليلة أمس. يبدو عليه الذكاء والخبرة." توقفت، ثم قالت: "هل كان الحادث جريمة قتل حقاً يا كولونيل رايس؟".

"هل هذا ما أخبرك به كيمب؟".

"لم يدل بأى معلومات، لكن أسئلته كانت توضح ما يدور فى ذهنه".

"إن رأيك فيما إذا كان انتحاراً أو لا سيكون قيماً آنسة ليسينج. فأنت تعرفين بارتون جيداً وأظن أنك كنت معه أغلب الأوقات بالأمس، فكيف كان يبدو؟ هل كان مثل عادته؟ أم كان مضطرباً – أو غاضباً – أو مستثاراً؟".

ترددت قليلاً ثم قالت:

"من الصعب التحديد. لقد كان محبطاً ومنزعجاً، لكن كان هناك سبب لذلك".

ثم شرحت الأمر المتعلق ب. فيكتور دراك وأعطته لمحة سريعة عن حياة هذا

الشاب العملية.

قال رايس: "تعنين أنه كان بطة العائلة السوداء التى لا يمكن تجنبها، وهل كان بارتون مستاءً منه؟".

قالت روث ببطء:

"من الصعب قول ذلك. إننى أعرف السيد بارتون جيداً كما تعلم. لقد كان منزعجاً وقلقاً بشأن هذا الأمر. وأعتقد أن السيدة دراك كانت هى الأخرى محبطة وخائفة، وهو ما تعودت أن تكون عليه فى مثل هذه المواقف. لذا أعتقد أنه كان يريد تعديل الأوضاع كلها. لكن كان لدىّ انطباع بأن...".

قاطعهما رايس قائلاً:

"أى انطباع آنسة ليسينج؟ أنا متأكد من أن انطباعاتك تكون دقيقة".

"حسناً، أرى أن انزعاجه لم يكن الانزعاج المعتاد، إن صح التعبير. لقد حدث هذا الأمر مرة تلو الأخرى. ففى العام الماضى كان فيكتور دراك هنا وكان فى ورطة وتوجب علينا أن نرسله إلى أمريكا الجنوبية، إلا أنه فى يوليو الماضى أرسل برقية يطلب فيها بعض المال. هكذا ترى أننى كنت على اطلاع بردود أفعال السيد بارتون. ويبدو لى أن انزعاجه هذه المرة كان تحديداً بسبب وصول التلغراف فى ذات الوقت الذى كان منشغلاً تماماً بالترتيب للحفل، كان يبدو عليه الاهتمام البالغ بهذه الحفلة لدرجة أنه أهمل كل عمل بخلافها".

"هل لفت انتباهك أى شىء غريب بشأن هذا الحفل آنسة ليسينج؟".

"نعم. لقد كان السيد بارتون مهتماً بها جداً. كان مبتهجاً بها وكأنه طفل".

"هل خطر ببالك أنه ربما كان يهدف لشىء ما من هذا الحفل؟".

"أتقصد أنها كانت نسخة مطابقة من حفل العام الماضى الذى انتحرت فيه السيدة بارتون؟".

"نعم".

"بصراحة، لقد كنت أعتقد أنها أكثر الأفكار غرابة".

"ألم يبح لك جورج بأى تفسير أو يسر لك بشىء؟".

فهزت رأسها نفيًا.

"أخبرينى يا آنسة ليسينج، هل ساورك الشك ولو للحظة فى أمر انتحار السيدة بارتون؟".

بدا عليها الاندهاش: "أوه، كلا بالطبع".

"ألم يخبرك جورج بارتون بأنه كان يعتقد أن زوجته قد قتلت؟".

نظرت إليه ملياً وهى تقول:

"هل كان جورج يعتقد ذلك؟".

"أرى أن هذا جديد بالنسبة لك. نعم يا آنسة ليسينج. لقد تلقى جورج خطابات من مجهول يخبره بأن زوجته لم تنتحر، لكنها قتلت".

"إذن هذا هو السبب الذى جعله غريب الأطوار هذا الصيف؟ لم أكن أعرف ما الذى أصابه".

"ألا تعرفين أى شىء عن هذه الخطابات الصادرة من مجهول؟".

"كلا. هل كان هناك الكثير منها؟".

"لقد عرض علىّ اثنين".

"ولم أعلم بهما!".

كان فى نبرة صوتها شىء من الألم.

نظر إليها للحظة أو اثنتين ثم قال:

"حسناً يا آنسة ليسينج، ما رأيك؟ هل من الممكن - من وجهة نظرك - أن يقدم جورج على الانتحار؟".

هزت رأسها قائلة:

"لا، بالطبع لا".

"لكنك قلت إنه كان مستثاراً - محبطاً؟".

"نعم، كان كذلك فى بعض الأوقات الأخرى ولكنى أعرف السبب الآن. أعرف لماذا كان مستثاراً بشأن حفل ليلة أمس. فلابد أنه كان يفكر بشىء ما، لابد أنه كان يأمل فى الحصول على شىء ما من تلك الأحداث. فربما علم ببعض المعلومات الجديدة. يا لجورج المسكين لابد أنه كان مشوشاً بسبب هذا الأمر برمته".

"وماذا عن روزمارى بارتون يا آنسة ليسينج؟ هل تعتقدين أن موتها كان انتحاراً؟".

عبس وجهها وهى تقول:

"لم أتخيل فى يوم من الأيام أن يكون الأمر خلاف ذلك. لقد بدا الأمر طبيعياً تماماً".

"إحباط ما بعد الإنفلونزا؟".

"ربما أكثر من ذلك. لقد كانت بالفعل غير سعيدة. كان ذلك واضحاً".

"هل يمكنك تخمين سبب لذلك؟".

"حسناً، أستطيع التخمين على الأقل. بالطبع قد أكون مخطئة، لكن النساء أمثال السيدة بارتون تكون من الوضوح بحيث لا تستطيع إخفاء مشاعرها. ولا أعتقد أن السيد بارتون كان يعرف أى شىء... نعم لقد كانت غير سعيدة وأعلم أنها كانت تعانى صداعاً شديداً فى تلك الليلة إلى جانب الآثار الناتجة عن الإنفلونزا".

"كيف عرفت أنها كانت تعانى من الصداع؟".

"لقد سمعتها تقول ذلك للسيدة ألكسندرا فى غرفة زينة السيدات، حين كنا نخلع معاطفنا. كانت تتمنى لو أن معها حبة فايفر ولحسن الحظ كانت هناك واحدة مع السيدة ألكسندرا وأعطتها لها".

كان الكولونيل يمسك بكأسه فى الهواء، فقال:

"وهل أخذتها؟".

"نعم".

فوضع الكأس دون أن يتذوقها ونظر لها عبر الطاولة. لم تبد على الفتاة أى علامات تدل على أنها تعرف ما قد قالته، لكن ما قالته كان مهماً، فمعنى ذلك

أن ساندرا التى كان موقعها على الطاولة يجعلها فرصتها أقل فى وضع شىء ل روزمارى فى كأسها، كان لديها فرصة أخرى لتضع السم. فمن الممكن أن تكون قد وضعت لها السم فى كبسولات. فى العادة يستغرق الغطاء الكبسولى للدواء دقائق معدودة حتى يتحلل، لكن ربما كان نوعاً خاصًا من الكبسولات، فربما احتوى على رقاقة من الجيلاتين أو المواد الأخرى، وربما تكون روزمارى لم تتناوله ساعتها ولكن بعد حين.

قال فجأة:

"هل شاهدتها وهى تأخذ الدواء؟".

"معذرة؟".

رأى على وجهها المرتبك أن تفكيرها قد انحرف إلى اتجاه آخر.

"أسألك: هل رأيت روزمارى بارتون تبتلع هذه الحبة؟".

نظرت روث لبعض الوقت.

"حسناً، لا، إننى لم أرها حقاً. ولكنها شكرت السيدة ألكسندرا".

إذن ربما تكون روزمارى قد وضعت تلك الحبة فى حقيبة يدها وأثناء الاستعراض اشتد عليها الصداع وساعتها وضعت الحبة فى الشراب وتركتها تتحلل. هذا افتراض، مجرد افتراض، لكنه ممكن الحدوث.

قالت روث:

"لماذا تسأل عن هذا الأمر؟".

كانت عيناها قد توقدتا على نحو مفاجئ وامتلأتا بالتساؤلات، وقد لاحظ رايس

ذلك وبدا له أن ذكاءها قد بدأ فى العمل.

ثم قالت:

"أوه، فهمت الآن لماذا اشترى جورج منزلاً قريباً من عائلة فاراداى. وأفهم الآن أيضاً لماذا لم يخبرنى بشأن هذه الخطابات. لقد كان الأمر يبدو لى غير عادى، ولكنه بالطبع كان يؤمن بصدق تلك الخطابات. فذلك يعنى أنه كان واحداً منا نحن الخمسة. لابد أن القاتل واحد من الخمسة الذين كانوا على الطاولة. وربما – ربما يكون أنا!".

قال رايس بصوت لطيف جداً:

"وهل لديك سبب لقتل روزمارى بارتون؟".

ظن فى البداية أنها لم تكن قد سمعت السؤال، فقد ظلت محدقة بنظرها إلى الأرض.

لكنها رفعت عينيها على نحو مفاجئ بتنهيدة ونظرت إليه مباشرة:

"ليس هذا الأمر مما قد يبالى المرء للحديث بشأنه. لكن أرى من الأفضل أن تعرفه. لقد كنت أحب جورج بارتون. كنت أحبه حتى قبل أن يقابل روزمارى. لا أعتقد أنه كان على علم بالأمر، بالطبع لم يكن ليهتم. لقد كان يحبنى، نعم كان يحبنى لكن ليس على الطريقة المعتادة. ولطالما اعتقدت أننى سأكون زوجة صالحة له، وكنت لأجعله رجلاً سعيداً. لقد كان يحب روزمارى، ولكنه لم يكن سعيداً معها".

قال رايس بلطف:

"وأنت هل كنت تكرهين روزمارى؟".

"نعم. كنت أكرهها بالفعل! لقد كانت جميلة جداً وجذابة وساحرة للغاية على طريقتها طوال الوقت. إلا أنها لم تكن ساحرة قط بالنسبة لى! لقد كرهتها بشدة. وقد صدمت حين ماتت، ولكنها على أية حال قد ماتت وحزنت لموتها، إلا أننى أخشى أن أكون سعيدة لموتها فى ذات الوقت".

ثم توقفت.

"من فضلك، هل من الممكن أن نتحدث عن أى شيء آخر؟".

أجابها رايس بسرعة:

"أريدك أن تخبرينى بالضبط وبالتفصيل عن كل شيء يمكنك تذكره فيما يتعلق بليلة أمس، منذ طلوع النهار إلى نهايته - وخصوصاً كل ما قاله جورج".

أجابت روث على الفور، وسردت له أحداث الصباح وانزعاج جورج بسبب إزعاج فيكتور له، والمكالمة التى أجرتها إلى أمريكا الجنوبية والترتيبات التى قامت بها والسعادة البادية على وجه جورج عندما تمت تسوية الأمر. ثم بدأت فى وصف وصولها إلى مطعم لوكسمبورج والاضطراب البادى على جورج والإثارة الواضحة على كونه المضيف. إلى أن وصلت إلى اللحظة الأكثر دراما فى الأحداث. إلا أن وصفها كان مثل الوصف الذى قد سمعه من قبل.

وبوجه عبوس جسدت روث حيرته فى قولها:

"لم يكن موته انتحاراً، أنا على يقين من ذلك. لكن كيف يكون قتلاً؟ أقصد كيف تم القتل؟ الإجابة أنه لا يمكن أن يتم، ليس من خلال واحد منا! هل من الممكن أن يقوم شخص ما بوضع السم لـ بارتون فى الكأس أثناء قيامنا للرقص؟ وإذا كان الأمر كذلك فمن يستطيع فعل ذلك؟ لا يبدو أن الأمر كله يؤدى إلى أية نتيجة".

"كل الدلائل تشير إلى أن أحداً لم يقترب من الطاولة فى أثناء قيامكم للرقص".

"إذن فالأمر كله لا يؤدى إلى أية نتائج حقاً! فهو لن يضع السيانيد بنفسه فى الكأس!".

"هل لديك أى فكرة، وليس اشتباهاً فى أى شخص يمكن أن يكون هو من وضع السيانيد فى الكأس؟ فكرى فى أحداث ليلة الأمس. ألا يوجد أى شىء حتى لو كان صغيراً يمكن أن يثير الشك بأى درجة، أى شىء مهما كان صغيراً؟".

رأى التغير الواضح على وجهها، ورأى التردد واضحاً فى عينيها. وقد توقفت لبرهة قبل أن تجيبه بقولها: "لا شىء".

لكن ثمة شيئاً ما قد وقع. لقد كان على يقين من ذلك، شيئاً قد رأته أو سمعته أو لاحظته، ولسبب أو لآخر لا تريد أن تخبره به.

لم يضغط عليها. فقد كان يدرك أن ذلك الأمر مع فتاة مثل روث لم يكن ليجدى نفعاً. لقد قررت لسبب ما أن تبقى صامتة فى هذه النقطة، وقد شعر أنها لن تغير رأيها.

لكن هناك شيئاً ما. وإدراكه بذلك أرضاه، ومنحه يقيناً متجدداً. فقد كانت تلك هى العلامة الأولى للصدع الموجود فى الجدار الأبيض الماثل أمامه.

استأذن من روث بعد الغداء وتوجه إلى الفاستون سكوير غارقاً فى التفكير بتلك المرأة التى قد تركها للتو.

هل من الممكن أن تكون روث ليسينج هى المذنبة؟ لقد كان فى السابق يحمل انطباعاً يصب فى صالحها، فقد بدت صريحة ومباشرة تماماً.

هل كانت قادرة على القتل؟ معظم الناس قادرون على القتل. إذا أمعنت النظر

فى الأمر، ليسوا قادرين على القتل بشكل عام بطبيعة الحال، لكن قادرون على القيام بجريمة قتل محددة. وهذا ما يجعل من الصعب التخلص من أى شخص. فثمة قدر من القسوة بدا لدى هذه الشابة. فضلاً عن وجود دافع لديها، أو ربما عدة دوافع. فبرحيل روزمارى تكون فرصتها جيدة فى أن تصبح هى السيدة بارتون الجديدة. وسواء أرادت الزواج به لثرائه أو لحبها له، يبقى التخلص من روزمارى أمراً أساسياً.

كان رايس يعتقد أن الزواج من رجل ثرى ليس بالشىء الكافى، فقد كانت روث هادئة الطباع أكثر حذراً من أن تخاطر بحياتها لمجرد أن تحيا حياة رغدة مع زوج ثرى، فهل يكون الحب دافعها؟ ربما، وربما لهدوئها وشخصيتها المستقلة، أن تكون من هؤلاء النساء اللواتى قد يضرمن النار من أجل عاطفة تجاه رجل بعينه. وإذا أخذنا بالاعتبار حبها لـ جورج وكراهيتها لـ روزمارى، فمن الممكن أن تكون هى من خططت ونفذت فى هدوء أمر التخلص من روزمارى. تلك هى الحقيقة التى ظهرت على الفور وتم القبول بفكرة الانتحار دون اعتراض. وهو ما يثبت مهارتها.

وبعد ذلك تلقى جورج خطابات من مجهول (ممن؟ لماذا؟ وهذه هى تلك المشكلة التى كانت تعذبه) والتى أثارت لديه الشكوك، ولذا قرر أن ينصب فخاً، فقامت روث بإسكاته.

لا، هذا التصور لا يبدو صحيحاً، ليس صحيحاً بالمرة. فذاك تصور يثير الرعب – وروث ليست من ذلك النوع من النساء اللواتى يخفن. إن لديها عقلاً أفضل مما لدى جورج، وكان يمكنها أن تتجنب بسهولة أى شرك كان جورج قد نصبه.

يبدو أن روث لم تضف جديداً على الإطلاق.

كانت لوسيلا دراك مبتهجة لرؤية الكولونيل رايس.

كانت كل الستائر منسدلة وقد دخلت لوسيلا إلى الغرفة مرتدية رداء أسود وتحمل منديلا عند عينيها وقد عللت وهى تمد نحوه يدها المرتجفة أنها لم تكن لتقابل أى شخص - أى شخص على الإطلاق - إلا الصديق القديم للفقيد العزيز جورج، وكم هو بغيض أن يكون المنزل بلا رجل. فعدم وجود رجل فى المنزل يجعل المرء حقاً لا يعرف كيفية التصرف فى أى شىء، فهى ليست سوى أرملة مسكينة و إيريس مجرد فتاة لا تقدر حتى على مساعدة نفسها، وقد كان جورج يعتنى بكل شىء. وقد كان أمراً لطيفاً للغاية أن يأتيهما الكولونيل رايس وكانت لوسيلا ممتنة لذلك - فلم يكن لديهم أدنى فكرة عما ينبغى عليهما فعله. بالطبع سوف تتدبر الآنسة ليسينج كل أمور المكتب - وترتيبات الجنازة - لكن ماذا عن التحقيق؟ والتواجد البغيض للشرطة داخل المنزل، على الرغم من أنهم كانوا فى ملابس مدنية ومراعين جداً لمشاعر أهل البيت. لكنها كانت فى غاية الذهول وكان الأمر كله مأساة بكل معنى الكلمة وليس كما يظنه الكولونيل رايس مجرد افتراض، فذلك ما قد يقوله أى محلل نفسى، أليس كل شىء لديهم مجرد افتراض؟ وذاك المسكين جورج فى ذلك المكان المرعب، مطعم لوكسمبورج، وفى حفلة كانت تطابق عملياً الحفلة السابقة حيث ماتت روزمارى المسكينة هناك، ولابد أن أزمة انتابته حينها بشكل مفاجئ، لو أنه أخذ بنصيحتها وتناول المنشط الممتاز الذى اقترحه الدكتور جاسكيل - فقد كان مرهقاً طوال الصيف - نعم كان مرهقاً بحق.

حين توقفت لوسيلا مؤقتاً عن الكلام لالتقاط أنفاسها سنحت لـ رايس الفرصة للكلام. حيث عبر عن عميق تعاطفه معها وأن عليها أن تعتمد عليه فى أى شىء.

ومن هنا تابعت لوسيلا من جديد حديثها وقالت إن ذلك لطف كبير منه، وأن

الأمر قد مثل لها صدمة كبيرة، فقد كان هنا اليوم، ثم هو يغادر غداً للأبد. وكما يقول الناس: تنمو فى الصبح بسرعة العشب ثم يأتى زوالك فى المغيب - وعلى الرغم من أن التشبيه ليس دقيقاً تماماً، فإنها كانت تعرف أن الكولونيل رايس يدرك ما تعنيه به، وأن من اللطيف أن تجد شخصاً يمكنك الاعتماد عليه، وأن الآنسة ليسينج كانت مفيدة للغاية بلاشك، فهى على كفاءة عالية، لكنها تتصرف على نحو جامد العاطفة وتتحمل المسئولية أكثر مما ينبغى. فى رأى لوسيلا فإن جورج كان يعتمد عليها أكثر مما ينبغى، وفى مرحلة ما كانت تخشى بشدة من أن يرتكب حماقة تدعو للرثاء، وربما تصدت له بقوة إن وقع فى هذه الحماقة وتزوجها. بالطبع كانت لوسيلا ترى ما تحمله الأيام، فالعزيزة إيريس كانت تتعامل بسذاجة ولطف شديدين. وسألت الكولونيل رايس إن كان يرى أن الأصلح للفتيات الصغيرات أن يبقين على بساطتهن وفطرتهن الأولى؟ فهى ترى أن إيريس أصغر وأهدأ بكثير من سنها، فلا يمكنك فى أغلب الوقت أن تدرك ما يدور بخلدها. إن كون روزمارى جميلة ومرحة للغاية جعلها خارج المنزل معظم الوقت، أما إيريس فكانت تحب المنزل وهو ما لم يكن يلائم فتاة فى مثل سنها. فأمثالها ينتظمن فى دروس - فى الطهى وربما فى الخياطة أيضاً. هذا ما يشغل عقولهن غير أنهن لا يعرفن متى يكون ذلك ذا جدوى. وكيف كان من رحمة الله أن تكون بلا شىء يشغلها حتى تأتى وتعيش هنا بعد موت روزمارى المسكينة. يا لتلك الإنفلونزا الفظيعة؛ لقد كان نوعاً غير عادى من الإنفلونزا كما قال الدكتور جاسكيل، إنه طبيب ماهر وذو أسلوب لطيف ومرح.

ثم تابعت حديثها قائلة: "لقد أردت ل. إيريس أن تزوره هذا الصيف. فقد كانت الفتاة تبدو شاحبة ومنهارة، لكن فى الواقع - كولونيل رايس - كنت أرى أن حالتها ترتبط بحالة المنزل حيث الكآبة والجو الخانق وقليل من الجو الضار فى المساء، إن المسكين جورج اشتراه بنفسه دون استشارة أحد وهو أمر يدعو للرثاء. لقد أرادها مفاجأة، لكن كان من الأفضل لو أنه استمع إلى نصيحة امرأة أكبر منه

سناً. فما للرجال وشراء المنازل، ربما أدرك جورج أننى مستعدة لتحمل أى قدر من المتاعب. فما الغاية من الحياة فى النهاية؟ لقد مات زوجى العزيز منذ سنوات وفيكتور العزيز سافر بعيداً إلى الأرجنتين، يا له من فتى رقيق وسيم".

وافقها الكولونيل رايس حيث قال لها إنه سمع أن لديها ابناً يعيش فى الخارج.

ولمدة ربع ساعة تالية، استمتع بالاستماع إلى تقرير كامل عن أنشطة فيكتور المتعددة، وأنه ولد مفعم بالحيوية، وأنه مستعد للقيام بأى عمل، ثم تلت ذلك بقائمة المهن التى شغلها. وأنه كان دوماً رقيق القلب ولم يحمل حقداً لأحد وأضافت: "إلا أنه كان دائماً عسر الحظ يا كولونيل رايس. لقد ظلمه مشرف القسم الداخلى وأعتقد أن السلطات فى أكسفورد تصرفت معه بطريقة غير شريفة. ويبدو أن الناس لم يفهموا أن شاباً ماهرًا فى الرسم مثله قد يعتبر أن تقليده لخط يد شخص ما مزحة لطيفة. لقد قام بذلك من أجل المتعة وليس بغرض الحصول على الأموال "، ثم استمع رايس إلى كم كان ابناً باراً دوما بأمه، ولم يحجب عنها قط أنه فى ورطة وهذا يدل على مدى ثقته بها. لكن قد يكون لافتًا للنظر أن كل الوظائف التى يأتى بها الناس إليه تذهب به إلى خارج إنجلترا. إنها ترى أنه لو حصل على وظيفة جيدة، فى بنك إنجلترا مثلاً، لكان ذلك سبباً فى استقراره إلى حد بعيد. وربما تمكن حينها من الحياة قريباً من لندن أو حتى من شراء سيارة صغيرة.

فى غضون عشرين دقيقة كاملة أنصت الكولونيل رايس إلى كل مهارات فيكتور وكل حظوظه العاثرة. واستطاع بصعوبة بالغة أن ينقل لوسيلا من الحديث عن ابنها إلى الحديث عن الخدم.

بالفعل، ما قاله صحيح عن أن الخدم ذوى الطراز القديم لم يعد لهم وجود، وأن خدم هذه الأيام مثيرون للمشكلات! ولكن هذا لم يضطرها للشكوى؛ لأنهم كانوا محظوظين بمن لديهم من الخدم. فالسيدة باوند رغم أنها أقرب إلى أن تكون صماء،

إلا أنها امرأة جيدة. صحيح أن ما تصنعه من معجنات يكون ثقيلاً إلى حد ما وأنها دائما ما تكثر من التوابل فى الحساء، لكنها بشكل عام موضع ثقة وذات كفاءة اقتصادية أيضاً. لقد جاءت إلى هنا منذ أن تزوج جورج ولم تتذمر من الذهاب إلى الريف هذا العام، على الرغم من تذمر الباقين لدرجة أن الخادمة التى تخدم على مائدة الطعام رحلت. لكن هذا كان للصالح العام، فقد كانت فتاة وقحة. لقد كسرت ستة من أفضل الكئوس، ولم يكن ذلك فى مناسبات متعددة مثلما قد يحدث مع أى شخص، ولكن كسرتها جميعا فى وقت واحد مما يعنى الإهمال الشديد، وسألت الكولونيل رايس عن رأيه فى ذلك؟

"بالفعل إهمال شديد".

"هذا ما قلته لها. وقلت إن علىّ ذكر ذلك فى التقرير الخاص بها؛ لأن على المرء منا أن يؤدى واجبه كما ينبغى كولونيل رايس، أعنى أن المرء لا ينبغى أن يضلل غيره بتقرير غير الحقيقة. فمن الواجب ذكر الأخطاء كما تذكر الصفات الحسنة. لكن الفتاة كانت وقحة للغاية بحق، وقالت إنها على أية حال تأمل فى العمل بمنزل لا يكون من ذلك النوع الذى يقتل أصحابه – لقد استخدمت ذلك التعبير الذى أصبح شائعاً منذ أن انتحرت روزمارى، حين اقتبس من السينما بشكل سخيف وغير دقيق، حسب ظنى – على الرغم من أنها لم تكن مسئولة عن أفعالها وفقاً لما أوضحته المحكمة، لكن هذا التعبير قد يصدق على رجال العصابات حين يقتل بعضهم بعضاً. إننى فى غاية الامتنان أن أشياء كهذه لا تقع هنا فى إنجلترا. ولذا، وكما قلت، فقد ذكرت فى التقرير الخاص ب. بيتى أركدال أنها كانت تفهم واجباتها كخادمة لمائدة طعام وكانت رزينة وأمينة، لكنها مسئولة عن العديد من التلفيات وقد يشوب سلوكها أحياناً بعض من قلة الاحترام. ولو كنت مكان السيدة مارى ريس تالبوت، لتوجب علىّ فى المقام الأول قراءة ما بين السطور، ولعرفت أن الناس فى هذه الأيام يثبون على أى شىء يمكنهم الحصول عليه، ويمكن أن يقبلوا فتاة

قضت شهرها الأخير فى ثلاثة أماكن مختلفة.

بينما توقفت السيدة دراك لالتقاط أنفاسها، سأل الكولونيل رايس عمن تكون السيدة مارى ريس تالبوت؟ إذا كانت هى؛ فإنه يعرفها منذ أن كان فى الهند.

"لا يمكن أن أقر بمعرفتها بالضبط، فهى تسكن كادوجان سكوير".

"إنها صديقتى إذن".

فتحدثت لوسيلا عن أن العالم مكان صغير، وأن الأصدقاء ما عادوا كما كانوا بالماضى، وأن الصداقة كانت دوماً شيئاً رائعاً. وقد كانت تعتقد دومًا أنها متعلقة إلى حد كبير ب. فيولا و بول. كم كانت فيولا الحبيبة امرأة جميلة، وكان العديد من الرجال يقعون فى غرامها. وتأسفت للكولونيل رايس، فهو لن يدرك قط ما تتحدث عنه، وأنها تميل دوماً لأن تعيش الماضى مجدداً.

رجاها الكولونيل رايس أن تتابع حديثها وأن تعود إلى تاريخ حياة هيكتور مارل اللطيف الذى ربته أخته وعن مواطن غرابته ومواطن ضعفه وأخيراً عن زواجه من فيولا الجميلة التى كاد الكولونيل رايس أن ينسى أمرها، فقالت السيدة لوسيلا: "لقد كانت يتيمة، كما تعلم، وكانت تعمل فى مكتب المحفوظات" كان الكولونيل قد سمع بتحدى بول بينيت لإحباطاته جراء رفض فيولا له، وتحول من حبيب لها إلى صديق لعائلتها، وسمع عن حبه الشديد ب. روزمارى التى كانت وكأنها طفلته، وعن موته وشروط وصيته. "وهو ما أعتبره دوماً قمة الرومانسية – إنها ثروة طائلة بحق! المال ليس كل شىء على أية حال. فما عليك إلا أن تتأمل فقط النهاية المأساوية لحياة روزمارى. وحتى الصغيرة إيريس، لا يعجبنى حالها تماماً!".

نظر إليها رايس نظرة استفسار.

"أعتقد أن الشعور بالمسئولية هو أكثر ما يقلقنى. فحقيقة كونها وريثة لثروة

ضخمة أمر معروف للكافة. وأنا أراقب فى حرص أى شاب سيئ قد يتقرب إليها، ولكن ما الذى يمكن للمرء فعله يا كولونيل رايس؟ فلم يعد بالإمكان مراقبة الفتيات جيداً كما كان الحال فى السابق. أعلم أن لدى إيريس أصدقاء، ودائما ما أقول لها أن تأتى بهم إلى المنزل. لكنى لا أظن أن شباباً كهؤلاء سيأتون للمنزل. لقد كان جورج قلقاً هو الآخر. كان قلقاً بشأن شاب اسمه براون. أنا شخصياً لم أره من قبل، لكنى أعتقد أنه وإيريس يتقابلان كثيراً، وأرى أن علاقتها به كانت تتطور، لم يكن جورج يحب هذا الشاب - لست على يقين من ذلك بالطبع. ولطالما اعتقدت - كولونيل رايس - أن الرجال أفضل من يحكمون على غيرهم من الرجال. أذكر الآن الكولونيل بوسى الذى كان أحد وكلاء دار العبادة، وكان رجلاً رائعاً بحق، لكن زوجى كان يحافظ على وجود مسافة بينه وبين ذلك الرجل وقد دعانى لسلك النهج ذاته. وجاء اليقين فى أحد أيام الآحاد، فحين كان يدور بطبق جمع الصدقات سقط فى حالة ثمالة كاملة على ما يبدو. وبعد حين دائماً ما يدرك المرء حقيقة الأمور لكن بعد فوات الأوان حيث وجدنا عشرات من زجاجات الشراب تؤخذ من منزله كل أسبوع! كان ذلك محزناً بحق؛ لأنه كان رجلاً متديناً للغاية، إلا أنه كان ذا ميول غريبة. لقد خاض مع زوجى معركة رهيبة حول تفاصيل الخدمة فى الأعياد. وما أدراك ما الأعياد. بالمناسبة لقد كان يوم البارحة أحد تلك الأعياد".

كان هناك صوت خافت جعل رايس ينظر خلف لوسيلا نحو مدخل الباب المفتوح. لقد رأى إيريس من قبل فى ليتيل بريورز، إلا أنه الآن يشعر وكأنه يراها للمرة الأولى. لقد انتبه بشدة لذلك التوتر الهائل المتوارى خلف هدوئها البادى وقد لاقت عيناه عينيها الواسعتين وفيهما تعبير وجد أن عليه أن يميزه، إلا أنه أخفق فى ذلك.

وبدورها استدارت لوسيلا برأسها.

"عزيزتى إيريس، إننى لم ألحظ قدومك، أتعرفين الكولونيل رايس؟ إنه رجل لطيف للغاية".

صافحته إيريس بوقار، كان الرداء الأسود الذى ترتديه يجعلها أكثر نحافة وشحوباً عما كان يتذكره عنها.

قال رايس: "لقد حضرت لأرى إن كان هناك ما يمكننى المساعدة به".

"شكراً لك. هذا لطف كبير منك".

لقد تلقت صدمة قوية، كان هذا جلياً، وكانت لا تزال تعانى آثارها، لكن هل كانت تحب جورج للحد الذى يؤثر عليها موته بهذه القوة الشديدة؟

استدارت بعينيها تجاه عمتها وقد أدرك رايس أنهما مؤرقتان من قلة النوم. قالت لعمتها:

"عم كنت تتحدثين الآن، وأنا أدخل؟".

تورد وجه لوسيلا. وتوقع رايس أن اضطرابها كان نتيجة قلقها من محاولة تجنب ذكر أمر ذلك الشاب أنطونى براون. فقالت موضحة:

"دعينى أتذكر - أوه، نعم، كنت أتحدث عن أحد الأعياد وأنه كان بالأمس. نعم كان بالأمس، هذا يبدو غريباً للغاية فتلك مصادفات لا يمكن للمرء تصديقها فى الواقع".

فقالت إيريس: "هل تعنين أن روزمارى قد أتت بالأمس لأخذ روح جورج؟".

"عزيزتى إيريس، لا تتمادى فى هذا التفكير. فهو مخيف ويناقض تعاليم الدين".

"ولماذا؟ ألا يعد هذا اليوم يوم الأموات؟ لقد اعتاد الناس فى باريس وضع الزهور

على المقابر فى هذا اليوم".

"أعلم ذلك، ولكنهم من طائفة أخرى".

بدت ابتسامة خافتة على شفتى إيريس. ثم قالت مباشرة:

"أظنك كنت تتحدثين عن أنطونى، أنطونى براون".

قالت لوسيلا وقد زاد ارتجافها: "حسناً، الحقيقة هى أننا قد أتينا على ذكره. لقد صادف أن قلت إننا – إننا لا نعلم عنه شيئاً".

قاطعتها إيريس بصوت حاد:

"ولماذا ينبغى أن تعرفى عنه أى شيء؟".

"كلا، لا ينبغى يا عزيزتى بالطبع، أعنى أن ذلك سيكون أفضل، أليس كذلك؟".

قالت إيريس: "سوف تتسنى لك الفرصة لمعرفة كل ذلك فى المستقبل لأننى مقدمة على الزواج منه".

قالت لوسيلا بصوت بين العويل والصراخ: "لا يا إيريس. لا ينبغى أن تقدمى على شيء متهور كهذا. أقصد أن هذا أمر لا يمكن ترتيبه الآن".

"لقد عزمت على هذا الأمر أيتها العمة لوسيلا".

"لا ياعزيزتى، لا يمكننا الحديث فى أمور كالزواج ونحن لم ندفن فقيدنا حتى الآن، فلن يكون ذلك لائقاً. فضلاً عن ذلك التحقيق الذى سيجرى وغير ذلك من الأمور. والحق يا إيريس إننى لا أعتقد أن جورج كان ليوافق على مثل هذا الزواج، فهو لم يكن يحب السيد براون".

قالت إيريس: "كلا، لم يكن جورج ليسعد بهذا الزواج وهو لم يكن يحب أنطونى، لكن هذا لن يغير من الأمر شيئاً، فتلك حياتى وليست حياة جورج، وعلى أية حال لقد مات جورج...".

صرخت السيدة دراك مرة أخرى قائلة:

"إيريس، ما الذى حدث لك؟ هذا قول قاسٍ للغاية ما كان يجب أن يصدر منك".

قالت الفتاة باسمة: " أنا آسفة أيتها العمة لوسيلا. أعرف أنه بدا كذلك، لكنى لم أقصد ذلك. كل ما قصدته أن جورج يرقد الآن فى سلام ولا يجب عليه أن يقلق بشأنى وشأن مستقبلى أكثر من ذلك فلابد أن أقرر مصيرى بنفسى".

"هذا هراء يا عزيزتى، فلا شىء يمكن تقريره فى أوقات كالتى نمر بها، فلن يكون ملائماً بأى حال والموضوع لم يطرح بعد على أية حال".

ضحكت إيريس ضحكة قصيرة.

"بل طرح. لقد طلب منى أنطونى الزواج قبل أن نغادر ليتل بريورز. لقد طلب منى أن نتزوج حال عودتى إلى لندن ودون أن نخبر أحدا، وكم أتمنى الآن لو كنت فعلت ذلك".

قال الكولونيل رايس: "لقد كان ذلك طلباً غريباً للغاية بالتأكيد".

أدارت عينيها الجريئتين إليه قائلة:

"كلا، لم يكن كذلك. فبهذه الطريقة نوفر الكثير من الجلبة. ولماذا لا أثق به؟ لقد طلب منى أن أثق به لكنى لم أفعل. وعلى أية حال سوف أتزوجه فى أسرع وقت يريده".

انفجرت لوسيلا فى سيل من الاعتراض غير المترابط، لقد ارتعشت وجنتاها المترهلتان وامتلأت عيناها بالدموع.

تولى الكولونيل رايس زمام الموقف.

"هل يمكن أن أتحدث إليك يا آنسة مارل قبل أن أنصرف؟ إنه شىء مهم بالنسبة للأمر".

قالت الفتاة وهى تتمتم: "نعم"، ووجدت نفسها متجهة نحو الباب الذى دخلت من خلاله، ثم خطا رايس خطوتين واسعتين راجعاً إلى السيدة دراك وهو يقول: "لا تحزنى يا سيدة دراك. ما يمكننى قوله هو أن كل شىء سيتم إصلاحه فى أسرع وقت ممكن. وسوف نرى ما يمكننا فعله حيال هذا الأمر".

تركها هادئة إلى حد ما. وذهب خلف إيريس التى كانت قد سبقته الى الصالة ومنها إلى غرفة صغيرة تؤدى إلى ساحة المنزل الخلفية؛ حيث يوجد العديد من الأشجار الكئيبة المنظر التى كانت آخر أوراقها تتساقط.

تحدث رايس بطريقة عملية.

"ما أستطيع قوله يا آنسة مارل إن المحقق كيمب صديق شخصى لى وأنا متأكد من أنك ستجدينه معيناً ورقيقاً لأبعد حد، إلا أن عمله سيكون غير لطيف تماماً. لكنى متأكد من أنه سيقوم به على أكمل وجه".

نظرت إليه للحظة أو اثنتين دون أن تتكلم، ثم قالت على نحو مفاجئ:

"لماذا لم تأت وتنضم إلينا فى تلك الليلة كما توقع جورج أن تفعل؟".

هز رأسه.

"لم يكن جورج يتوقع حضورى".

"ولكنه قال ذلك".

"ربما قال ذلك، لكنه كان غير صحيح. لقد كان جورج يعرف حقاً أننى لن أحضر".

قالت: "وماذا عن المقعد الخالى... لمن كان؟".

"لم يكن من أجلى".

كادت عيناها تنغلقان وزاد وجهها شحوبًا، وهمست قائلة:

"كان من أجل روزمارى... لقد فهمت... كان من أجل روزمارى...".

اعتقد رايس أنها كانت على وشك السقوط فأسرع نحوها يسندها، ويساعدها على الجلوس.

"هدئى من روعك...".

قالت بصوت منخفض:

"أنا بخير... ولكنى لا أعرف ماذا أفعل... لا أعرف ماذا أفعل".

"هل أستطيع مساعدتك؟".

رفعت عينيها نحو وجهه، كانت حزينة ومكتئبة.

ثم قالت: "أريد أن أفهم الأمر بوضوح، أريد أن أفهم"، وأشارت بيدها على نحو مضطرب قبل أن تتابع: "فى البداية، اعتقد جورج أن روزمارى لم تنتحر – لكنها

قتلت، ولقد اعتقد ذلك بسبب تلك الخطابات. أخبرنى يا كولونيل رايس من كتب هذه الخطابات؟".

"لا أعرف. لا أحد يعرف. هل لديك أنت أى فكرة؟".

"أنا ببساطة لا يمكننى تصور الأمر. على أية حال، لقد صدق جورج ما جاء فيها، ورتب لحفلة الأمس، وترك مقعداً خالياً، إضافة إلى مسألة العيد... عيد الأموات - وهو اليوم الذى اعتقد أنه قد تنزل فيه روح روزمارى وتخبره بالحقيقة".

"لابد أنك ذات خيال خصب".

"لكنى أحسست بروحها. شعرت أنها قريبة فى بعض الأحيان، فأنا أختها وأشعر أنها تريد إخبارى بشىء ما".

"تعاملى مع الأمر ببساطة يا إيريس".

"بل يجب أن أتحدث بهذا الشأن. لقد شرب جورج نخب روزمارى ثم مات؛ فلعلها قد أتت وأخذته معها".

"أرواح الموتى لا تضع سيانيد البوتاسيوم فى كئوس الشراب يا عزيزتى".

ويبدو أن تلك الكلمات قد أعادت إليها توازنها، فقالت بنبرة طبيعية نوعاً ما:

"لكن الأمر فظيع جداً. لقد قُتل جورج. نعم قُتل. هذا ما تعتقده الشرطة ولابد أن ذلك هو الصحيح. فلا يوجد أى بديل آخر. لكن الأمر كله لا يؤدى إلى أى نتيجة".

"ألا تعتقدين أنت أيضاً ذلك؟ فلو أن روزمارى قتلت وبدأ جورج يشك فى أحد".

قاطعته قائلة:

"نعم، لكن روزماری لم تقتل. هذا ما يجعل الأمر غير منطقى. لقد صدق جورج هذه الخطابات الغبية جزئياً ربما لأن إحباط ما بعد الإنفلونزا ليس سبباً مقنعاً لأن يقتل أحدهم نفسه. لكن روزماری كان لديها سبب لقتل نفسها، وسأطلعك على الأمر".

ثم انصرفت من الغرفة وعادت إليها بعد بضع لحظات وفى يدها خطاب، ثم ألقته إليه.

"اقرأ هذا. اطلع عليه بنفسك".

فرد الورقة المطوية برفق ثم قرأ:

"عزيزى نمر...".

قرأه مرتين قبل أن يرده لها.

قالت الفتاة بغضب:

"أترى؟ لقد كانت غير سعيدة، كانت محطمة القلب. لم تكن تريد الاستمرار فى الحياة".

"هل تعلمين لمن كانت تكتب هذه الخطابات؟".

فأومأت برأسها.

"ستيفن فاراداى. لم يكن أنطونى. لقد كانت مغرمة ب. ستيفن فاراداى وقد كان قاسياً عليها للغاية. لذا أخذت السم معها إلى المطعم وشربته هناك كى يراها وهى تموت، ربما اعتقدت أنه قد يشعر حينها بالندم".

أومأ رايس برأسه مفكراً، لكنه لم يقل أى شىء، وبعد لحظة أو اثنتين قال:

"متى وجدت هذا الخطاب؟".

"منذ ما يقرب من ستة شهور. كان فى جيب أحد الملابس القديمة".

"ألم تعرضيه على جورج؟".

فصاحت فى تأثر شديد:

"كيف يمكننى ذلك؟ كيف أفعل شيئاً كهذا؟ لقد كانت روزمارى أختى، كيف يمكننى أن أشوه صورتها أمام جورج؟ كيف أقدم له هذا بعد أن ماتت؟ لم يكن ليصدق الأمر كله، لكننى مع ذلك ما كنت لأستطيع عرضه عليه. لكن ما أريد أن أعرفه هو ما الذى يجب علىّ فعله الآن؟ لقد أطلعتك على الخطاب لأنك صديق جورج، لكن هل يجب أن يرى المحقق كيمب هذا أيضاً؟".

"نعم، يجب أن يرى كيمب ذلك، إنه دليل كما ترين".

"لكنهم قد يقرأونه حينها فى المحكمة؟". اجاثا كريستي & كتاب رواية

"ليس بالضرورة. فهذا الخطاب لن يتم تعقبه، فالتحقيق الجارى يخص موت جورج. ولن يعلن للعامة إلا ما هو متعلق بالقضية. أعتقد أنه من الأفضل أن تعطينى إياه الآن".

"حسناً".

ثم ذهبت معه إلى الباب الأمامى، وبينما كان يفتحه قالت له بضيق:

"ألا يوحى ذلك بأن موت روزمارى كان انتحاراً؟".

قال رايس:

"إن هذا بالتحديد يشير إلى أنها كانت تملك دافعاً للانتحار".

تنهدت بشكل عميق، ثم نزل هو على السلم، ونظر إلى الخلف، فوجدها واقفة على الباب تشاهده وهو يعبر الميدان.

رحبت مارى ريس تالبوت بالكولونيل رايس بصرخة فرح غير مصدقة:

"عزيزى، إننى لم أرك منذ أن اختفيت على نحو غامض من مدينة جلال أباد فى ذلك الوقت. فلم أنت هنا الآن؟ ليس لكى ترانى بالطبع؛ فأنا متأكدة تماماً من هذا، فأنت لا تهتم مطلقاً بالأمور الاجتماعية. هيا الآن، أفصح، فليس عليك أن تكون دبلوماسياً".

"الأساليب الدبلوماسية مضيعة للوقت معك كما تعرفين يا مارى، وأنا دائماً ما كنت أقدر نفاذ بصيرتك".

"توقف عن جلبتك هذه وتقدم نحو بيت القصيد عزيزى".

ابتسم رايس قائلاً لها:

"أليست تلك الخادمة التى أدخلتنى تدعى بيتى أركدال؟".

"نعم إنها هى! لا تقل لى إن تلك الفتاة الفقيرة واحدة من الجواسيس الأوروبيين المشاهير لأننى لن أصدق ذلك على أية حال".

"كلا، لا أقصد شيئاً من هذا القبيل".

"ولا تقل لى أيضا إنها واحدة من الجواسيس المزدوجين لأنى لن أصدق ذلك أيضاً".

"لا بأس على الإطلاق، فالفتاة مجرد خادمة".

"ومنذ متى وأنت مهتم بالخادمات البسيطات إنك عادة ما تهتم بالمحتالين".

قال الكولونيل رايس: "أعتقد أن بإمكانها إخبارى ببعض الأشياء".

"إذا سألتها بلطف؟ ستخبرك بكل تأكيد. فهى من النوع الذى يكون أقرب دوماً لكل مايلفت الانتباه، والآن ماذا تريد؟".

"قدمى لى شراباً، واطلبى من بيتى الحضور".

"وعندما تحضره بيتى؟".

"حينها تنصرفين فى سلام".

"كى أسترق بدورى السمع لما تقولان؟".

"إن أردت ذلك، فلا بأس".

"ألن تخبرنى بعد ذلك بأحدث الجرائم فى أوروبا بأسرها؟".

"أخشى ألا أكون قادراً على ذلك، فليس من شىء يتعلق بالسياسة فى هذا".

"لقد أحبطتنى! حسناً".

بعد ذلك ضغطت السيدة ريس تالبوت، التى تناهز التاسعة والأربعين من عمرها جرساً وطلبت من الخادمة أن تقدم إلى الكولونيل رايس كأساً من الشراب.

وحين عادت بيتى أركدال بصينية وعليها الشراب، كانت السيدة تالبوت تقف عند باب بعيد فى غرفة الاستقبال الخاصة بها.

قالت للخادمة: "لدى الكولونيل رايس بعض الأسئلة التى يريدك أن تجيبى عنها"، وانطلقت بعد ذلك.

أدارت بيتى عينيها الجريئتين نحو ذلك الجندى الأشيب، الذى تعتمل فى أعماقه بعض الظنون والذى التقط كأسه من الصينية وابتسم.

سألها: "هل قرأت الصحف اليوم؟".

نظرت إليه بقلق وقالت: "نعم يا سيدى".

"هل قرأت أن السيد جورج بارتون قد توفى ليلة أمس فى مطعم لوكسمبورج؟".

لمعت عيناها فى إثارة وقالت: "نعم يا سيدى، كان ذلك مريعاً، أليس كذلك؟".

"لقد كنت تخدمين هناك، أليس كذلك؟".

"نعم يا سيدى. لقد رحلت عنه فى الخريف الماضى بعد أن ماتت السيدة بارتون".

"لقد ماتت هى الأخرى فى مطعم لوكسمبورج".

أومأت بيتى قائلة: "الأمر مضحك يا سيدى، أليس كذلك؟".

لم يكن رايس يعتقد أن الأمر مضحك ولكنه كان يعرف ما تعنيه كلماتها. فقال بطريقة حادة:

"أرى أن لديك عقلاً نشطاً وتستطيعين الحكم بذكاءٍ على الأحداث".

شبكت بيتى يديها ثم استدارت قائلة:

"هل قُتل هو الآخر؟ فالصحف لم تحدد بالضبط".

"لماذا قلت "هو الآخر"؟ فموت السيدة بارتون كان انتحاراً كما قالت المحكمة".

رمقته بنظرة سريعة بطرف عينيها، وقد وجدته رجلاً عجوزا، لكن وسيماً. فذلك النوع الهادئ من أشراف الناس هو من كان ليعطيها جنيهاً ذهبياً فى شبابه. ثم عجبت لنفسها؛ فهى حتى لا تعرف شكل الجنيه الذهبى! ثم تساءلت ما الذى يرمى إليه هذا الرجل بالتحديد؟

قالت بطريقة صارمة: "لا أعتقد ذلك، سيدى".

"إنك لا تتوقعين أبداً أن الأمر كان انتحاراً؟".

"كلا ياسيدى، فى الحقيقة لم أتوقع أن يكون الأمر كذلك".

"أمر لافت للنظر حقاً. لكن لماذا تعتقدين هذا؟".

ترددت قليلاً، وبدأت أصابعها تتثنى على مئزرها.

لقد كان رايس يتحدث بلطف وحزم أيضا بطريقة تجعلك تشعر بأهمية الأمر وكأنك تود مساعدته. على أية حال لقد تشككت فى حقيقة موت روزمارى بارتون. ولم تستوعب ما قيل عنه مطلقاً!

"لقد قُتلت يا سيدى، أليس كذلك؟".

"قد يكون هذا ممكناً. لكن كيف واتاك هذا الاعتقاد؟".

ترددت بيتى قليلاً ثم قالت: "حسناً، لقد سمعت ذلك يوماً ما".

"صحيح؟".

كانت نبرة صوته مشجعة على المضى قدماً فى الحديث.

قالت بيتى بتعفف: "لم يكن الباب مغلقاً. لم أكن أنوى استراق السمع؛ فأنا لا

أحب مثل هذه الأشياء. ولكنى كنت مارة من الصالة إلى غرفة الطعام وكنت أحمل الفضيات على صينية وكانا يتحدثان بصوت عال حيث كانت السيدة روزمارى تقول شيئاً ما عن أنطونى براون وأن اسمه هذا ليس اسمه الحقيقى. ثم بدأ السيد براون يفحش فى القول. لم أظن قط أن ذلك من طباعه، فهو بصفة عامة شاب بهى الطلعة حسن الحديث. لقد تحدث عن أنه قد يشوه وجهها، ثم قال لها إن لم تنفذ ما قاله فسوف يقتلها. إلا أننى لم أستطع أن أسمع المزيد لأن الآنسة إيريس كانت تهبط الدرج، وبالطبع لم أفكر فى الأمر كثيراً وقتها. لكن بعد ما صار من لغط وحديث حول انتحارها فى تلك الحفلة، ارتعدت فرائصى، فلا شك أنه أوفى بوعيده لها!".

"لكنك لم تقولى أى شىء حينها؟".

هزت الفتاة رأسها.

"لم أكن أريد أن أتورط فى الأمر مع الشرطة، وعلى أية حال، فلم أكن أعرف شيئاً محدداً. وربما لو قلت شيئاً لقتلت أنا الأخرى".

"فهمت". ثم توقف رايس للحظة عن الكلام وبعدها قال بصوته اللطيف: "لذا كتبت خطابات غير موقعة إلى السيد جورج بارتون؟".

حدقت إليه بشدة. فلم ير فى عينيها أى توتر أو إحساس بالذنب، بل كان شعورها هو الدهشة التامة.

"أنا، أكتب إلى السيد بارتون؟ لم يحدث ذلك أبداً".

"لا تخافى من إخبارى بالأمر الآن؛ فقد كان تصرفاً حكيماً. لقد حذرته، لقد كانت فكرة جيدة".

"ولكنى لم أفعل ذلك يا سيدى. فلم أفكر أبداً فى هذا الأمر. هل تقصد أننى قد كتبت إلى السيد جورج بارتون أخبره أن زوجته قد قتلت؟ لماذا، هذه فكرة لم تخطر ببالى مطلقاً!".

كانت جادة تماما فى إنكارها لذلك. إلا أنه كان مشدوهاً للغاية فى قرارة نفسه. فالأمر يبدو متسقا للغاية – فمعرفتها هذه تفسر بشكل طبيعى كتابتها لتلك الرسائل. لكنها مصرة على الإنكار، ليس فى حدة أو توتر، لكن فى حزم ودون إفراط فى الاعتراض. لقد وجد نفسه يصدقها مكرهاً.

ثم اعتدل فى جلسته.

"ومن الذى أخبرته بهذا الأمر؟".

" لم أخبر أحداً بالأمر. سأخبرك بصراحة يا سيدى؛ لقد كنت خائفة ووجدت أن الخير فى أن أبقى صامتة. لقد حاولت نسيان الأمر. لم أنطق سوى مرة واحدة، كان ذلك حين تحدثت إلى السيدة دراك التى أثارت ضجة كبرى، على نحو لم أحتمله. لقد أرادت منى أن أدفن نفسى فى الريف بمرافقتى لهم هناك. بعد ذلك أساءت فى التقرير الخاص بى ودونت فيه أنى أكسر الأشياء، فقلت لها ساخرة أننى سأجد بالنهاية مكاناً للعمل لا يُقتل فيه الناس وقد شعرت بالخوف لقولى هذا، إلا أنها لم تعر كلامى أى اهتمام. ربما كان من المفروض أن أتحدث عن الأمر فى حينه، لكنى لم أستطع ذلك بالفعل. فقد ظننت أن الأمر كله ربما كان مزحة، فالناس يتفوهون بكثير من هذه الأقوال. والسيد براون كان بالفعل رجلاً لطيفاً وهادئاً وكثير المزاح، لذا لم أستطع التحدث بالأمر يا سيدى، هل كان ينبغى علىّ أن أتحدث؟".

وافقها رايس على أنها ما كانت تستطيع، ثم قال:

"لقد تحدثت السيدة بارتون عن أن براون ليس اسمه الحقيقى. فهل ذكرت اسمه الحقيقى؟".

"نعم لقد ذكرته؛ لأنه قال لها: "انسى أمر اسم تونى هذا" فماذا كان الاسم؟ تونى كذا... إنه اسم يذكرنى بصنع مربى الكريز".

"تونى تشيرتون؟ تشيرابل".

فهزت رأسها.

"إنه اسم أكثر جاذبية من ذلك. يبدأ بحرف الميم ويبدو أجنبياً".

"لا تقلقى. ربما تتذكرينه لاحقاً. أعلمينى إن تذكرت. هذه بطاقتى وبها عنوانى. إذا تذكرت الاسم فاكتبى لى على هذا العنوان".

أعطاها البطاقة ومعها ورقة مالية.

إنه رجل نبيل بالفعل، تماماً كما تصورته وهى تهبط الدرج. إنها ورقة مالية من فئة الجنيه وليست من فئة العشرة شلنات. لابد أن الوضع كان أفضل أيام الجنيهات الذهبية...

وعندئذ، عادت مارى ريس تالبوت إلى الغرفة.

"حسناً، هل كُلل الأمر بالنجاح؟".

"نعم، إلا أنه لا تزال هناك عقبة صغيرة يجب التخلص منها، هل من الممكن أن يساعدنى ذكاؤك فى تخطيها؟ هلا فكرت لنا فى اسم قد يذكرك بمربى الكريز؟".

"يا لها من مسألة صعبة".

"فكرى يا مارى، فأنا لست خبيراً بالأمور المنزلية. ركزى على صنع المربى، وبالتحديد مربى الكريز".

"أنا غالباً لا أصنع مربى الكريز".

"ولِمَ لا؟".

"لأنها ذات درجة عالية من السكرية - إلا إن كنت تستخدم كريز الطهى، كريز الموريلو".

تهللت أسارير رايس.

"هو ذاك. أنا على يقين من ذلك. إلى اللقاء يا مارى، إننى مدين لك بجزيل الشكر. هل تمانعين فى ضغط الجرس كى تأتى تلك الفتاة وتوصلنى إلى الباب؟".

نادت عليه السيدة مارى تالبوت وهو يندفع إلى خارج الغرفة:

"بالله عليك! ألن تخبرنى ما الأمر؟".

رد عليها قائلاً:

"سوف أعود وأخبرك بالقصة كاملة فيما بعد".

تمتمت السيدة ريس تالبوت ببعض الكلمات.

كانت بيتى تنتظر أسفل السلم حاملة قبعة الكولونيل رايس وعصاه، ثم شكرها وانصرف، وعلى درجات الباب توقف.

ثم قال: "بالمناسبة، هل كان الاسم هو موريللى؟".

تهلل وجه بيتى.

"بالضبط يا سيدى. كان ذلك هو الاسم. تونى موريللى ذاك هو الاسم الذى طلب منها أن تنساه، وقال أيضا إنه كان اسمه فى السجن".

نزل راس من على السلم وهو مبتسم.

ومن أقرب كابينة هاتف، أجرى اتصالاً ب. كيمب.

كان الحديث بينهما قصيراً، لكنه كان مرضياً حيث قال كيمب:

"سوف أرسل برقية فى الحال. وعلينا أن ننتظر الرد. أظن أننا سنرتاح كثيراً إذا ثبتت صحة فرضيتك".

"أعتقد أننى على حق؛ فالأمر واضح وجلى للغاية".

لم يكن المحقق كيمب فى حالة مزاجية جيدة.

لقد كان فى النصف ساعة الأخير يستجوب غلاماً خائفًا فى السادسة عشرة من عمره، والذى كان يطمح فى أن يكون نادلاً فى مطعم لوكسمبوج بفضل مكانة عمه تشارلز الرفيعة فى المطعم. وفى ذات الوقت كان أحد الخدم الستة الذين يهرولون فى المكان بمآزر حول خصورهم تمييزاً لهم عن الآخرين ممن هم أعلى مرتبة، ممن يتضمن عملهم إلقاء اللوم عليهم فى كل شىء، وإحضار وحمل وتقديم لفافات وقوالب الزبد، وكان أحياناً ما توجه لهم عبارات استهجان من العملاء بالفرنسية حيناً وبالإيطالية حيناً آخر وبالإنجليزية فى بعض الأوقات. وقد كان تشارلز رجلاً نزيهاً بحق، بعيداً تماماً عن تفضيل قريبه؛ فكان يكيل إليه من الزجر واللعن أكثر مما ينال الآخرون، وعلى الرغم من ذلك كان بيير يطمح من داخله أن يكون رئيس النُّدُل يوماً ما فى المستقبل البعيد بأحد المطاعم الكبرى.

ومع ذلك فإن وظيفته فى تلك اللحظة كانت على المحك، وكان يدرك أنه ربما يكون مشتبهاً به فى ارتكاب جريمة قتل ليس إلا.

قلّب كيمب الفتى ظاهراً وباطناً، ثم أقنع نفسه مكرهاً بأنه لم يفعل أكثر مما قال وأن ما فعله تحديداً هو أنه التقط حقيبة إحدى السيدات من على الأرض ووضعها إلى جانب الطبق الخاص بها.

"كان ذلك أثناء هرولتى بالصلصة للسيد روبرت الذى كان صبره قد نفد بالفعل، ثم أسقطت السيدة حقيبتها من على الطاولة وهى تنهض استعداداً للرقص، فالتقطتها من على الأرض ووضعتها على الطاولة، ثم أسرعت نحو السيد روبرت الذى بدأ يشير نحوى فى جنون. هذا ما حدث بالضبط يا سيدى".

وكان هذا كل ما فى الأمر، فصرفه كيمب فى ضيق وكأنه يود القول: "إياك أن تفعل شيئاً كهذا مجدداً".

اتصل الرقيب بولوك قائلاً إن هناك سيدة تطلب مقابلته أو بالأحرى تطلب مقابلة الضابط المسئول عن التحقيق فى حادثة مطعم لوكسمبورج.

"من تكون تلك السيدة؟".

"اسمها الآنسة كلوى ويست".

قال المحقق كيمب: "دعها تصعد إلى مكتبى، يمكن منحها عشر دقائق لأننى سأقابل بعد ذلك السيد فاراداى. حسناً، لن يضيره شىء إن انتظر بضع دقائق، قد يغضب لذلك قليلاً ليس أكثر".

حين دخلت الآنسة كلوى ويست إلى الغرفة، تولد فى الحال لدى المحقق كيمب انطباع بأنه يعرفها. إلا أنه تخلى عن انطباعه هذا بعد دقيقة. فهو لم ير هذه الفتاة من قبل على الرغم من أن إحساسه بأنه يعرفها كان قوياً بداخله.

كانت الآنسة ويست تقريباً فى الخامسة والعشرين من عمرها وكانت طويلة القامة ذات شعر بنى وقدر كبير من الجمال. كان صوتها مثيراً للاهتمام حيث كان يشير إلى شىء من العصبية.

"حسناً يا آنسة ويست، كيف يمكننى مساعدتك؟".

كان كيمب يتحدث بطريقة سريعة.

"لقد قرأت فى الصحف عن مطعم لوكسمبورج والرجل الذى مات هناك".

"نعم، السيد جورج بارتون؟ هل كنت تعرفينه؟".

نظر إليها كيمب بعناية وقد تخلى عن انطباعه الأول.

كانت كلوى ويست تبدو مهذبة للغاية وشديدة الخجل، فأضاف فى تلطف:

"هلا ذكرت لى أولاً الاسم والعنوان بالضبط، حتى نعرف من أين نبدأ بالتحديد؟".

"كلوى إليزابيث ويست. 15 مارى فال كورت، مايدا فال. وأعمل ممثلة".

نظر إليها كيمب مجدداً بطرف عينه وتأكد لديه أن هذا هو عملها بالفعل، إنها ممثلة على الرغم مما يبدو على ملامحها من جدية.

"نعم، آنسة ويست؟".

"حين قرأت عن موت السيد بارتون وأن الشرطة تقوم بجمع التحريات، فكرت فى أن علىّ الحضور إلى هنا وإخبارك بأمر ما، وقد تحدثت مع صديقتى عن الأمر وكانت هى الأخرى ترى ذلك. لست أدرى إن كان فى ذلك ما يجدى لكن -"، ثم توقفت الآنسة ويست عن الكلام.

قال المحقق كيمب بسعادة: "نحن من سيقرر مدى جدواه، وما عليك سوى الحديث".

قالت الآنسة ويست: "أنا لا أقوم بالتمثيل فى الوقت الحالى".

كان المحقق كيمب على وشك أن يقول شيئًا لكى يظهر أنه على دراية بالمصطلحات الفنية المناسبة ولكنه كبح جماح نفسه.

"ولكن اسمى لا يزال موجوداً فى وكالات التمثيل وصورى فى المجلات... وفيها رآنى السيد بارتون. ولذا تعرف علىّ وشرح لى ما يريدنى أن أقوم به".

"حسناً؟".

"لقد قال لى إنه سيقيم حفل عشاء فى مطعم لوكسمبورج ويريد أن يصنع مفاجأة كبيرة لضيوفه. ثم أرانى صورة فوتوغرافية وأخبرنى أنه يريدنى أن أتزين مثل صاحبة الصورة تماماً؛ فقد كنت أشبهها إلى حد كبير كما قال هو لى". اجاثا كريستي & كتاب رواية

برقت إضاءات عديدة فى ذهن كيمب. لقد وجد صورة ل. روزمارى على المكتب فى غرفة جورج بمنزل الفاستون سكوير. وقد ذكرته تلك الفتاة بهذه الصورة. لقد كانت شبيهة ب. روزمارى بارتون - ليس على قدر لافت جداً - لكن الشكل العام والطباع كانت متشابهة.

"أيضاً أحضر لى فستاناً كى أرتديه. لقد أحضرته معى. إنه من حرير أخضر يميل للون الرمادى. كان علىّ أن أصفف شعرى بالطريقة التى كانت موجودة بالصورة (كانت صورة ملونة) وأن أقرب الشبه بالمساحيق. بعد ذلك أقوم بالتوجه نحو مطعم لوكسمبورج وأدخل المطعم فى نفس وقت الاستعراض الأول وأن أجلس إلى الطاولة الخاصة بالسيد بارتون حيث سيكون هناك مكان خال. ثم أخذنى إلى الغداء هناك وقام بالإشارة لى على المكان الذى ستكون فيه الطاولة".

"ولماذا لم تفعلى هذا الأمر يا آنسة ويست؟".

"لأنه فى حوالى الساعة الثامنة مساءً، اتصل بى شخص ما - أو ربما كان السيد بارتون نفسه - وقال إن الأمر كله قد تم تأجيله. وأنه فى اليوم التالى سوف يخبرنى بالموعد الجديد وفى صباح اليوم التالى رأيت فى الصحف خبر موته".

قال كيمب بسعادة: "ومن ثم أتيت إلينا. أشكرك شكراً جزيلاً يا آنسة ويست. لقد أوضحت لنا أحد الألغاز، لغز المكان الخالى. بالمناسبة، لقد قلت للتو "شخص

ما" ثم قلت "السيد بارتون" لماذا؟".

"لأننى فى بادئ الأمر لم أعتقد أنه السيد بارتون؛ فقد كان الصوت مختلفاً".

"هل كان صوت رجل؟".

"نعم. أعتقد ذلك على الأقل. وكان صوته مبحوحاً من أثر نزلة برد".

"هل كان هذا كل ما قاله؟".

"نعم كان هذا كل ما قاله".

طرح عليها كيمب بضعة أسئلة أخرى، إلا أنه لم يصل إلى المزيد.

وعندما ذهبت، قال للرقيب:

"إذن كانت تلك هى "خطة" جورج بارتون الشهيرة، الآن فهمت لماذا قالوا جميعاً إنه كان ينظر إلى المقعد الخالى بعد الاستعراض وهو شارد الذهن، كانت خطته الرائعة قد فشلت".

"أتعتقد أنه هو من قام بذلك؟".

"مستحيل، ولست متأكداً من أن الصوت كان صوت رجل أصلاً، لقد كانت تلك البحة ستاراً مهماً عبر الهاتف. نعم، إننا بالفعل نتقدم، أرسل لى السيد فارادای إن كان موجوداً".

الفصل التاسع

1

ذهب ستيفن فاراداى رابط الجأش وهادئ المظهر إلى مقر سكوتلانديارد وبداخله العديد من الانقباضات؛ الكثير مما يتعب روحه. كانت الأمور تبدو وكأنها قد سارت على ما يرام هذا الصباح. فلماذا طلب المحقق كيمب حضوره بتلك الأهمية؟ ما الذى يعرفه أو يشتبه فيه؟ قد يكون اشتباهاً مبهماً. الشىء الوحيد الذى يمكن أن يفعله هو أن يحافظ على هدوئه وألا يقر بشىء.

كان يشعر على نحو غريب بأنه محروم ووحيد بدون وجود ساندرا بجواره. كان يشعر أنه حين يواجهان المخاطر معا، فإن تلك المخاطر تفقد نصف قوتها. فطالما كانا معاً، كانا يتمتعان بالقوة و الشجاعة، والقدرة. إنه لا شىء حين يكون وحيداً، بل أقل من لا شىء. فهل تشعر ساندرا الشعور ذاته؟ هل تجلس الآن فى بيت كيدمينستر صامتة، متحفظة، فخورة، وتشعر من داخلها بأنها معرضة للهجوم على نحو بشع؟

استقبله المحقق كيمب بلطف ولكن فى جدية. وعلى الطاولة، جلس رجل لا يرتدى الزى الرسمى ومعه قلم رصاص وقطعة ورق. وبعد أن طلب من ستيفن أن يجلس، بدأ كيمب يتحدث إليه بطريقة رسمية للغاية.

"إننى أطلب منك سيد فاراداى الإدلاء ببعض الأقوال، وتلك الأقوال سوف تدون ومن ثم يطلب منك قراءتها قبل أن توقع بصحتها قبل أن تنصرف، ومن واجبى أيضاً أن أخبرك بأن لديك الحق فى رفض الإدلاء بأية أقوال وأن لديك الحق فى إحضار المحامى الخاص بك إن رغبت فى ذلك".

أُخذ فاراداى بما سمع، إلا أنه لم يظهر ذلك. وابتسم ابتسامة جافة، وقال: "لقد

كان ذلك مرعباً أيها المحقق كيمب".

"إننى أحب توضيح الأمور يا سيد فاراداى".

"كل شىء أقوله قد يستخدم ضدى، أليس كذلك؟".

"نحن لا نستخدم الكلمات ضد أحد، بل إن كل ما تقوله يمكن أن يستخدم كدليل".

"أفهم ذلك. لكنى لا أفهم أيها المحقق رغبتك فى الحصول على تعليقات إضافية منى، على الرغم من أنك قد سمعت كل ما لدىّ هذا الصباح".

"كانت تلك جلسة غير رسمية، مجرد تبادل لوجهات النظر. وأعتقد يا سيد فاراداى أن هناك بعض الحقائق التى ربما تفضل أنت مناقشتها هنا. فأى شىء خارج عن الموضوع نحاول أن نبقيه بعيداً عن الأعين، وأنا أعلم أنك تفهم ما أرمى إليه".

"أخشى أننى لا أفهمك".

تنهد المحقق كيمب قائلاً:

"ما أريد قوله هو أنك كنت على علاقة حميمة مع السيدة روزمارى بارتون".

قاطعه فاراداى:

"من قال ذلك؟".

انحنى كيمب إلى الأمام وأخذ ورقة مكتوبة على الآلة الكاتبة من درج مكتبه.

"هذه نسخة من خطاب وجد فى حاجيات السيدة روزمارى، والنسخة الأصلية

موجودة هنا. لقد سُلمت لنا من قبل الآنسة إيريس مارل والتى أقرت بأنه خط أختها".

قرأ ستيفن:

"عزيزى نمر"

اعترته حالة من الغثيان. فها هو صوت روزمارى... حديثها مناشدها... ألن يموت الماضى أبداً، ألن يندثر أبداً؟

استجمع شتات نفسه ثانية ونظر إلى كيمب.

"من الممكن أن تكون محقاً بأن السيدة بارتون هى من كتب هذا الخطاب، إلا أنه لا يوجد ما يشير إلى أنه كان مكتوباً لى".

"هل تنكر أنك كنت تدفع إيجار الشقة رقم 21 الواقعة فى مالاند كانيسون، ب. إيرلزكورت؟".

إذن هم يعرفون! وتعجب من أنهم كانوا يعرفون بالأمر طيلة الوقت.

هز فارادى كتفيه بلا مبالاة وهو يقول:

"تبدو ملماً بالكثير. لكن هل يمكن أن أسأل عن سبب تسليط الضوء على شئونى الخاصة؟".

"لن تكون شئوناً خاصة إذا ثبت ارتباطها بموت جورج بارتون".

"فهمت. أنت ترى أننى فى البداية كنت على علاقة بزوجته ثم قمت بقتله بعد ذلك".

"سيد فاراداى، سأكون صريحاً معك، لقد كنت أنت والسيدة بارتون صديقين مقربين، ثم هجرتها بإرادتك دون إرادتها. فقد كانت تنوى وفقاً لما يشير إليه هذا الخطاب أن تثير بعض المتاعب، ثم ماتت".

"لقد انتحرت. وأكاد أجد نفسى مذنباً فى أمر انتحارها وربما لمت نفسى لذلك، لكن ليس فى ذلك ما يتدخل فيه القانون".

"ربما تكون قد انتحرت بالفعل، وربما لا، إلا أن جورج بارتون لم يكن يعتقد ذلك. وبدأ فى الاستخبار عن الأمر ثم مات هو الآخر. وهذا بدوره يفتح الباب للتساؤل".

"أنا لا أفهم ما يدفعك للتوجه نحوى بالاتهام".

"ألا ترى أن موت السيدة بارتون جاء فى لحظة مناسبة تماماً بالنسبة لك؟ إن الفضيحة كانت لتدمر حياتك المهنية يا سيد فاراداى".

" لم تكن لتحدث فضيحة بالأساس. كانت السيدة بارتون لتجد سبباً ما".

"هل كانت زوجتك على علم بهذا الشأن سيد فاراداى؟".

"بالقطع لا".

"هل أنت على يقين من ذلك؟".

"نعم، أنا متأكد من ذلك. فلم يكن لدى زوجتى أى فكرة عن العلاقة بينى وبين السيدة بارتون سوى ما كان من صداقة. وأتمنى ألا تعرف بأى حال".

"هل زوجتك غيور يا سيد فاراداى؟".

"كلا، على الإطلاق. لم تظهر أنها تشعر بالغيرة فيما يتعلق بى. إنها بعيدة كل

البعد عن ذلك".

لم يعلق المحقق على هذا الأمر ولكنه قال:

"هل كان لديك فى أى وقت من العام الماضى مادة السيانيد يا سيد فاراداى؟".

"لا".

"لكنك تحتفظ بالكثير منه فى البيت الريفى الخاص بك؟".

"ربما يكون لدى البستانى، لكنى لا أعلم عنه شيئاً".

"ألم تشتر أى كمية منه بنفسك من أى متجر للكيماويات، لأغراض التصوير؟".

"أنا لا أعرف شيئاً عن التصوير، وأكرر أننى لم أشتر فى يوم من الأيام مادة السيانيد".

ضغط عليه كيمب قليلاً قبل أن يتركه يرحل فى النهاية.

بعد ذلك قال لرفيقه متأملاً: "لقد كان سريع الإنكار بشأن معرفة زوجته بعلاقته بالسيدة بارتون، فلم كان كذلك؟".

"أكاد أجزم أنه يخشى معرفتها بالأمر يا سيدى".

"هذا ممكن، لكنى أرى أنه من الذكاء بحيث يدرك أن احتمال جهل زوجته بالأمر، وثورتها إن هى علمت، يهيئ مبرراً إضافياً لدينا برغبته فى التخلص من روزمارى بارتون. وأنه لكى ينقذ نفسه كان عليه القول بأن زوجته لم تكن تعلم شيئًا عن هذا الأمر".

"لا أظنه فكر فى هذا يا سيدى".

هز كيمب رأسه، إن ستيفن فارادای ليس أحمق. فهو يملك عقلاً على درجة عالية من الذكاء. واعتقد أنه كان حريصاً على إقناع المحقق بأن ساندرا لا تعرف أى شىء عن الأمر.

قال كيمب: "حسناً، لقد كان الكولونيل رايس سعيداً جداً بالأشياء التى توصل إليها ولو كان ما علمه صحيحاً، فإن عائلة فارادای تخرج من دائرة الاشتباه، وسأكون سعيداً لكونهم أبرياء، فأنا أحب هذا الشاب، ولا أعتقد على المستوى الشخصى أنه قاتل".

2

قال ستيفن وهو يفتح باب غرفة الجلوس: "ساندرا؟".

خرجت له من الظلام، وفجأة أمسكت به من كتفيه.

"ستيفن؟".

"لماذا تجلسين فى الظلام؟".

" لم أكن أتحمل الضوء. حدثنى عما جرى".

قال:

"إنهم يعرفون بالأمر".

"بأمر روزماری؟".

"نعم".

"وماذا ترى؟".

"إنهم يرون أن لدىّ دافعاً للتخلص منها... انظرى يا عزيزتى ما الذى جلبته لك. لقد كان الأمر برمته خطئى. لو أننا انفصلنا بعد موت روزمارى — لو أننى ذهبت عنك، لو حررتك من الارتباط بى، فلم يكن لك علاقة بهذا الأمر البشع بأى حال".

"كلا، ليس هكذا... لا تتركنى... لا تتركنى أبداً".

ثم تشبثت به بقوة ودموعها تنهمر على وجنتيها. وشعر بها ترتجف.

"أنت حياتى يا ستيفن. أنت حياتى كلها، فلا تتركنى أبداً...".

"هل تهتمين لأمرى فعلاً يا ساندرا؟ لم أكن أعرف أبداً...".

"لم أكن أريدك أن تعرف، أما الآن".

"نعم، الآن... إننا الآن معاً فى هذا الأمر يا ساندرا... سوف نواجهه معاً ياساندرا...مهما كان الأمر سنواجهه معاً!".

عادت إليهما القوة وهما يقفان معاً، وقد تشبث كل منهما بالآخر فى هذا الظلام.

قالت ساندرا بعزم:

"لا يجب أن يدمر هذا الأمر حياتنا! ولن يفعل، لن يفعل!".

نظر أنطونى براون فى البطاقة التى حملها إليه الخادم الصغير.

عبس وجهه، ثم هز كتفيه فى لامبالاة، ثم قال للفتى:

"حسناً، دعه يدخل".

وحين دخل الكولونيل رايس، كان أنطونى يقف إلى جانب إحدى النوافذ حيث كان شعاع الشمس ينعكس على كتفيه.

رآه يملك هيئة جندى، طويل القامة ذا لون وجه يميل إلى البرونزى وشعر رمادى – رأى أنه رجل سبق أن رآه لكن قبل سنوات، ويعرف عنه الكثير أيضاً.

أما رايس فقد رأى رجلاً أسمر ذا قوام متسق ورأس جميل المظهر، قال له بصوت متراخ لطيف:

"كولونيل رايس، أليس كذلك؟ أنت صديق لـ جورج بارتون. أنا أعرف ذلك. لقد تحدث عنك فى العشاء الأخير، تفضل سيجارة".

"أشكرك، سوف أفعل".

قال أنطونى وهو ممسك بالكبريت:

"لقد كنت الضيف غير المتوقع فى تلك الليلة ولم تأت – على كل حال كان ذلك خيراً لك".

"أنت مخطئ إذن، لم يكن المكان الخالى مخصصاً لى".

ارتفع حاجبا أنطونى قائلاً فى دهشة:

"أحقاً ما تقول؟ لكن بارتون قال ـ".

قاطعه رايس:

"يمكن أن يكون جورج بارتون قد قال ذلك. لكن خطته كانت مختلفة إلى حد ما. لقد حجز جورج هذا المقعد لممثلة تدعى كلوى ويست".

حدق أنطونى النظر إليه.

"كلوى ويست؟ لم أسمع بهذا الاسم من قبل، من تكون؟".

"ممثلة شابة غير مشهورة ولكنها شبيهة إلى درجة كبيرة ب. روزمارى بارتون".

أصدر أنطونى صفيراً بفمه.

"لقد بدأت أفهم الآن".

"لقد أعطاها صورة ل. روزمارى حتى تتمكن من تقليد نفس تسريحة الشعر وكان لديها نفس الفستان الذى كانت روزمارى ترتديه فى نفس اليوم الذى ماتت فيه".

"كانت تلك هى خطة جورج إذن؟ حين ترتفع الأنوار وفى شىء أقرب إلى السحر يفاجأ الجميع! لقد عادت، لقد عادت روزمارى. ثم ينفجر الجانى من بين الجمع قائلاً: "حسناً، أنا من فعلتها"، توقف قليلاً ثم أضاف: "خطة حمقاء – حتى بالنسبة لشخص أبله مثل جورج المسكين".

"لا أظننى أفهمك".

ابتسم أنطونى ابتسامة عريضة.

"أنت تفهم ما أعنيه يا سيدى، إن المجرم المخضرم لن يتصرف بعصبية فتاة

صغيرة. فإن كان هناك من وضع السم لـ روزمارى بارتون بدم بارد وكان يرتب لنفس الشيء بالنسبة لـ جورج بارتون، فلابد أن ذلك الشخص يمتلك قدراً كبيراً من التحكم فى أعصابه. إن الأمر يستوجب ما هو أكثر من وجود ممثلة تتشبه بـ روزمارى لكى تجعل القاتل أو القاتلة يكشف سره".

"تذكر ماكبيث، لقد كان مجرماً عتيداً، وقد تهاوى تماماً حين رأى شبح بانكو فى الحفل".

"لكن الذى رآه ماكبيث كان شبحا بالفعل! ولم يكن مجرد ممثل يرتدى ملابس بانكو! إننى مستعد للاعتراف بأن شبحاً يمكنه أن يلقى بظلاله على مكان ما من عالم آخر. بل أنا مستعد للإقرار بإيمانى بوجود الأشباح – لقد آمنت بها فى الشهور الستة الماضية أو شبح واحد على وجه التحديد".

"حقاً، شبح من هذا؟".

"شبح روزمارى بارتون. يمكنك أن تسخر منى إن شئت إذ إننى لم أرها ولكنى شعرت بوجودها. فلسبب ما روح روزمارى المسكينة لا تتحمل البقاء ميتة".

"يمكننى اقتراح سبب لذلك".

"هل هذا لأنها قتلت؟".

"لنستخدم لفظاً آخر؛ لأنها قد صفيت جسدياً، ما رأيك فى هذا التعبير سيد تونى موريللى؟".

أطبق الصمت على المكان. ثم جلس أنطونى، وأطفأ سيجارته فى المطفأة وأشعل أخرى.

ثم قال:

"كيف اكتشفت ذلك الأمر؟".

"إذن أنت تعترف أنك تونى موريللى؟".

"لن أضيع الوقت فى محاولة الإنكار. من الواضح أنك قمت بإجراء الاتصالات اللازمة مع واشنطن وعرفت بالأمر كله".

"وتعترف أيضاً أنك هددت روزمارى بارتون حين عرفت بحقيقة هويتك بأنك سوف تقتلها إن لم تصن لسانها".

فوافقه تونى فى لطف: "لقد فعلت كل شىء رأيت أنه يخيفها كى تصون لسانها".

استولى شعور غريب على الكولونيل رايس. فلم تكن المقابلة تسير على النحو الذى توقعه لها، فنظر إلى الشاب المسترخى أمامه على المقعد، وشعر نحوه بشىء من الألفة.

"هل ألخص كل ما أعرفه عنك يا موريللى؟".

"سيكون ذلك أمراً مسلياً".

"لقد تمت إدانتك فى الولايات المتحدة بمحاولات تخريب فى مصانع إريكسن للطائرات، وتم الحكم عليك بالحبس وبعد أن أتممت فترة العقوبة خرجت من السجن ولم تعرف عنك السلطات أى شىء بعد ذلك. بعد ذلك ظهرت فى لندن حيث أقمت فى كاليردج وسميت نفسك أنطونى براون. وبعد ذلك تمكنت من التعرف على اللورد ديوسبيرى ومن خلاله تعرفت على العديد من صانعى السلاح الكبار ولقد أقمت فى بيت ديوسبيرى وبكونك ضيفه تم إطلاعك على العديد مما لم يكن يتوجب عليك معرفته! ومن المصادفات اللافتة للنظر، موريللى، أن وقعت

سلسلة من الحوادث غير المتوقعة وتمت النجاة فى اللحظات الأخيرة من كوارث ضخمة، كانت تقع بعد قيامك بزيارات للعديد من الأماكن المهمة والمصانع".

قال أنطونى: "المصادفات، هى أحداث غير عادية فعلاً".

"وأخيراً، وبعد غياب لبعض الوقت، ظهرت ثانية فى لندن وجددت معرفتك ب. إيريس مارل، متعللاً بأعذار لعدم زيارتك لهم فى المنزل حتى لا تشعر العائلة بمقدار درجة الحميمية التى أصبحت بينكما، وفى النهاية حاولت إقناعها بالزواج منك فى السر".

قال أنطونى: "مذهلة هى بالفعل الطريقة التى جمعت بها هذا القدر من المعلومات، لست أعنى ما يخص أمر السلاح، بل أعنى تهديداتى ل. روزمارى والتفاهات التى همست بها ل. إيريس. فهذا بالتأكيد لم تحصل عليه من المكتب الخامس؟".

نظر إليه رايس بحدة.

"إن لديك الكثير لتقدم تفسيراً له يا موريللى".

"ليس الكثير. فلو سلمنا بصحة الحقائق التى قلتها، فما يديننى فيها؟ لقد قضيت مدة عقوبتى. وبعد ذلك تعرفت على بعض الأصدقاء المهمين، ووقعت فى حب فتاة جميلة جداً وبالفعل أنا شغوف بالزواج منها".

"شغوف لدرجة أنك تريد إتمام الزواج دون أن تعلم عائلتها أى شىء عن ماضيك السيئ، إن إيريس مارل شابة صغيرة ثرية جداً".

أومأ أنطونى برأسه موافقاً.

"أعلم أنه حين يوجد المال تصبح العائلات كثيرة الشكوك. وإيريس كما ترى لا

تعرف أى شىء عن ماضىّ السيئ. والأفضل ألا تعرف".

"أخشى أنها على وشك معرفة كل شىء".

قال أنطونى: "يا لها من خسارة".

"ألا تدرك أنه من الممكن".

قاطعه أنطونى بضحكة ساخرة.

"يمكننى تصور ما ترمى إليه، لقد علمت روزمارى بارتون بأمرى فقتلتها. ثم شك جورج فى أمرى فقتلته هو الآخر! والآن أنا أسعى خلف أموال إيريس! الأمر كله معقول ومترابط، لكنك لا تملك أى دليل على إدانتى".

نظر إليه رايس بانتباه لبضع دقائق وبعدها نهض قائلاً:

"كل شىء قلته أنا كان صحيحاً، لكن الأمر برمته كان خطأ".

نظر إليه أنطونى مدققاً.

"ما هو الذى كان على خطأ؟".

بدأ رايس يجول فى الغرفة: "أنت من على خطأ. لقد كان الأمر مترابطاً إلى حد ما قبل أن أقابلك، أما الآن وقد رأيتك، فلم يعد مترابطاً كما كان. فأنت لست محتالاً. وإذا لم تكن محتالاً فأنت من الاستخبارات، أنا محق، أليس كذلك؟".

نظر إليه أنطونى فى صمت بينما كانت ابتسامة ترتسم على وجهه، وتمتم هامساً:

"نعم، غريبة هى قدرة المرء على تمييز بنى جلدته. لهذا السبب كنت أتجنب اللقاء بك. كنت أخشى أن تتعرف على حقيقتى فقد كان من المهم فى حينه ألا يعرفنى

أحد، كان ذلك مهماً حتى أمس. فالآن، والحمد لله، انكشف الأمر، فقد أوقعنا بشبكة المخربين الدولية التى سعينا خلفها. لقد عملت على هذه المهمة لمدة ثلاث سنوات حيث ترددت على اجتماعات معينة، وتحركت فى أوساط أصحاب المصانع. وفى النهاية رتب لى أن أقوم بعملية سرقة وصدر ضدى حكم بالسجن، كانت المهمة لتبدو مكشوفة إن عملت بشخصيتى الحقيقية.

وحين خرجت من السجن بدأت الأمور فى التحرك. ورويداً رويداً بدأت فى التسلل إلى مطبخ العمل الكبير حيث شبكة دولية كبيرة تمتد من وسط أوروبا. وقد عملت كوكيل لهم فى لندن وأقمت فى كاليريدج. كانت لدىّ أوامر بتكوين صداقات مع اللورد ديوسبيرى - وعليه كان رهانى، فمن خلاله تمتد معارفى. كان علىّ حين تعرفت على روزمارى بارتون أن أكون فى شخصية ذلك الشاب الجذاب الغريب عن المدينة. وفجأة وجدت أنها على علم بأنى كنت فى السجن فى أمريكا باسم تونى موريللى. فخفت عليها بشدة. فمن أعمل معهم سيقتلونها دون تردد إذا علموا أنها تعرف شيئاً. لقد قمت بكل ما أستطيع لإخافتها حتى تبقى صامتة، لكنى لم أعوِّل كثيراً على ذلك، ف. روزمارى غير كتومة بالفطرة. ووجدت أن أفضل شىء أقوم به هو الاختفاء، وفى ذلك الحين رأيت إيريس تهبط الدرج، وأقسمت أنه حين أنتهى من مهمتى فإننى سأعود أدراجى وأتزوجها.

حين انتهى الجزء المهم من مهمتى، عدت مجدداً واقتربت من إيريس ولكنى بقيت بعيداً عن البيت وبعيداً عن أهلها لأنى كنت أعلم أنهم سوف يتحرون عنى، وكنت أريد أن أبقى بعيداً عن الأنظار لأطول فترة ممكنة. لكنى كنت قلقاً عليها. فقد بدت مريضة وخائفة، ويبدو أن جورج كان يتصرف معها بطريقة غريبة. لقد توسلت إليها أن تهرب معى وأن نتزوج إلا أنها رفضت ذلك. وربما كانت على صواب فى ذلك. بعدها تمت دعوتى إلى ذلك الحفل، وحين جلسنا فى أماكننا على الطاولة ذكر جورج أنه يتوقع حضورك، حينها قلت إن لدى موعدًا مع شخص ما

وقد انصرف مبكراً. وبالفعل كان هناك شخص ما أعرفه من أمريكا يدعى مانكى كولمان، رغم أنه لا يتذكرنى لكننى بالفعل كنت أحاول تجنب اللقاء بك. فقد كنت حينها لا أزال فى مهمتى.

وبالطبع تعرف ما حدث بعدها حيث مات جورج. لم يكن لى دخل فى موته أو موت روزمارى. ولا أعرف من قتلهما".

"أليست لديك أدنى فكرة؟".

"إما أن يكون النادل أو أحد الأشخاص الخمسة الجالسين حول الطاولة. وأنا لا أعتقد أنه النادل. وليس أنا ولا إيريس. ربما يكون القاتل ساندرا فاراداى أو ستيفن فاراداى أو هما معا. لكن الاحتمال الأكبر من وجهة نظرى هو أن تكون روث ليسينج هى القاتلة".

"هل لديك أى دليل على صحة كلامك؟".

"كلا. لكن يبدو أنها الأقرب لفعل ذلك، لكن لا أعلم كيف تسنى لها ذلك. ففى كلا الحادثين كان مجلسها على الطاولة يجعل من المحال بالنسبة لها أن تتمكن من العبث بكأس الشراب، علاوة على هذا، بدا لى مستحيلا القيام بتسميم جورج لكن هذا ما جرى!"، ثم توقف أنطونى، قبل أن يتابع: "وأيضاً هناك شىء ما استحوذ على انتباهى، هل عرفت من الذى كتب تلك الخطابات المجهولة التى حفزت جورج فى ظنه هذا؟".

هز رايس رأسه قائلاً:

"كلا. كنت أظن أنى قد عرفته، لكنى كنت على خطأ".

"المثير فى هذا الشأن أنه يعنى أن شخصاً ما فى مكان ما يدرك أن روزمارى قد

قتلت، ولذا إن لم تكن حذراً، فإن ذلك الشخص قد يُقتل هو الآخر!".

وفقاً للمعلومات التى تلقاها أنطونى براون عبر الهاتف، فإن السيدة لوسيلا دراك سوف تخرج فى الخامسة لتشرب الشاى مع إحدى صديقاتها القدامى، وتفادياً لأى مصادفات كالعودة من أجل حافظة النقود أو حمل شمسية إذا لزم الأمر أو تلكؤ دردشة اللحظات الأخيرة على عتبة الباب، ضبط أنطونى موعد وصوله إلى الفاستون سكوير فى الخامسة وخمس وعشرين دقيقة. فقد كان ذاهباً لمقابلة إيريس، وليس عمتها. فبكل الاحتمالات حين تعود السيدة لوسيلا، سيكون هو قد حظى بفرصة لحديث متصل دون مقاطعة مع فتاته.

لقد أخبرته الخادمة - وهى فتاة تفتقر إلى الجرأة البولندية التى كانت تميز بيتى أركدال - أن الآنسة إيريس قد وصلت للتو وأنها فى المكتبة.

قال أنطونى والابتسامة تعلو وجهه: "لا تنشغلى بمرافقتى، أستطيع أن أجد طريقى" ومر بجوارها متجهاً نحو باب غرفة المكتب.

استدارت إيريس حين دخل الغرفة وقالت فى نبرة عصبية:

"أوه، هذا أنت".

توجه نحوها مسرعاً.

"ما الأمر يا عزيزتى؟".

"لا شىء"، ثم توقفت قليلاً، وتابعت فى سرعة: "لا شىء سوى أننى كنت على وشك أن تدهسنى سيارة. وكان ذلك خطئى، فقد كنت أعبر الطريق وأنا ذاهلة فى أفكارى بشدة دون النظر من حولى، ثم خرجت سيارة من المنعطف وتفاديتها بالكاد".

هزها بطريقة لطيفة.

"لا ينبغى أن تقدمى على أفعال كهذه يا إيريس، أنا قلق بشأنك! ليس لنجاتك المعجزة من الاصطدام بسيارة، لكن بشأن ما يدفعك للذهول عن الطريق. فما الذى يشغلك يا عزيزتى؟ أظن أنه أمر جلل، أليس كذلك؟".

أومأت برأسها، ثم رفعت عينيها بحزن نحو عينيه، كانتا متسعتين خوفاً، وقد أدرك ما تحمله عيناها حتى قبل أن تتحدث بصوت منخفض ومتسارع:

"أنا خائفة ".

استعاد أنطونى توازن ابتسامته الهادئة، ثم جلس بالقرب من إيريس على مقعد عريض.

قال لها: "لنناقش الأمر".

"لا أعتقد أننى أريد إخبارك به يا أنطونى".

"إنه أمر غريب حقاً. لا تكونى مثل بطلات الروايات الساقطة اللواتى يبدأن فى الفصل الأول بشىء لا يمكنهن الحديث عنه لا لشىء سوى تشويش البطل ومط الرواية قدر المستطاع".

ابتسمت ابتسامة خافتة.

"أريد أن أخبرك يا أنطونى، لكنى لا أعرف ما الذى ستعتقده حيال ما أخبرك به، بل لا أعتقد أصلاً أنك قد تصدق".

رفع أنطونى يده وبدأ يشير إلى أصابعه.

"واحد: ابن غير شرعى، اثنان: حبيب يبتز أموالك، ثلاثة –"

قاطعته ساخطة:

"بالطبع لا، ليس شيئاً من هذا القبيل".

قال أنطونى: "لقد أرهقتنى أيتها الشقية الصغيرة".

عبس وجه إيريس مجدداً.

"ليس هذا بالأمر الذى يدفعك للسخرية، إنه متعلق بليلة أمس".

فقال بجد: "حسناً".

قالت إيريس:

"لقد كنت فى التحقيق هذا الصباح، لقد سمعت.." ثم توقفت.

قال أنطونى: " لم أسمع سوى القليل. لقد تحدث الرقيب عن السيانيد بصفة عامة وتأثير سيانيد البوتاسيوم على جورج، وأدلة الشرطة التى قدمت من قبل المحقق الأول، وليس كيمب، ذلك الرجل ذى الشارب الأنيق الذى وصل أولاً إلى مطعم لوكسمبورج وتولى الأمور هناك، حيث أكد هوية جورج من خلال كبير موظفى جورج. بعد ذلك تأجل التحقيق لمدة أسبوع بأمر المحقق".

قالت إيريس: "إن المحقق قال إنه وجد لفافة صغيرة من الورق تحت الطاولة والتى كانت تحتوى على بعض حبات من سيانيد البوتاسيوم".

بدا على أنطونى الاهتمام قائلاً:

"صحيح. من الواضح أن من وضع السم فى كأس جورج هو الذى أسقط تلك اللفافة التى وجدت تحت الطاولة، فهذا أمر بسيط، ولا يمكن أن يخاطر بإبقائها معه، فقد تكتشف معه أو معها".

فوجئ بها ترتجف بعنف.

"كلا يا أنطونى، لم يكن الأمر كذلك".

"ماذا تقصدين يا عزيزتى؟ ماذا تعرفين عن الأمر؟".

قالت إيريس: "أنا من أسقطت تلك العبوة تحت الطاولة".

وجه عينيه الحائرتين إليها.

"اسمع يا أنطونى، أنت تذكر كيف ازدرد جورج كأسه ثم وقع ما وقع؟".

أومأ أنطونى.

"كان ذلك مرعباً، كان كحلم بغيض. فقد وقع حين بدا أن كل الأمور تسير على خير حال. أقصد أنه بعد أن انتهى الاستعراض وسطعت الأنوار، شعرت بالراحة؛ لأن تلك هى اللحظة التى وجدت فيها روزمارى ميتة، وعلى نحو ما شعرت أن الأمر كله يحدث مجدداً... شعرت كأنها هناك، ميتة على تلك الطاولة...".

"حبيبتى...".

"نعم، أعلم. كان مجرد توتر. على أى حال، لقد بقى كل منا على حاله ولم يحدث أى أمر مزعج وفجأة بدا ما حدث فى تلك الليلة قد تم وانقضى للأبد وأنه بإمكان المرء - وعلى نحو لا يمكننى شرحه - أن يبدأ من جديد. ولذلك رقصت مع جورج وشعرت فعلاً أننى بدأت بالاستمتاع بما أفعل ثم عدنا بعدها إلى الطاولة، وفجأة تكلم جورج عن روزمارى وطلب منا أن نشرب نخب ذكراها وحينها مات وعاد الكابوس مرة أخرى.

شعرت وقتها وكأننى مشلولة حيث وقفت هناك أرتجف. ثم أتيت أنت لتلقى نظرة

عليه وتراجعت أنا قليلاً للخلف، وجاء النُّدُل وطلب أحدهم إحضار الطبيب، كل هذا الوقت وأنا واقفة فى مكانى دون حراك، وفجأة شعرت بغصة فى حلقى وبدأت الدموع تنهمر على خدى. حاولت - وأنا أرتجف - فتح حقيبتى لإحضار منديل، فقد كنت تقريباً لا أرى شيئًا. أخرجت المنديل. لكن ثمة شيئاً كان به، كانت تلك العبوة الورقية البيضاء كتلك التى يعطينا إياها الصيدلى. لكنها لم تكن فى حقيبتى حين خرجت من المنزل، لم يكن لدى أى شىء من هذا القبيل! لقد وضعت كل أغراضى فى الحقيبة بنفسى حيث كانت فارغة. فوضعت عبوة مسحوق الوجه وأحمر الشفاه والمنديل والمشط الخاص بى فى علبته و شلناً واثنى عشر بنسا. لقد وضع أحدهم تلك العبوة فى حقيبتى، لابد أن أحدهم قد وضعها. وقد تذكرت كيف وجدت عبوة مشابهة فى حقيبة روزمارى بعد موتها وكان بها بعض السيانيد. لقد كنت خائفة يا أنطونى، كنت خائفة بشدة لم أشعر بأصابعى فسقطت العبوة من منديلى تحت الطاولة لقد أفلتها ولم أذكر شيئاً، لقد كنت خائفة جداً. هناك شخص يريد أن يظهر الأمر وكأنى أنا من قتلت جورج. وأنا لم أفعل ذلك".

أطلق أنطونى صافرة طويلة.

قال: "ألم يرك أحد؟".

ترددت إيريس ثم قالت ببطء: "لست متأكدة. أعتقد أن روث قد لاحظت الأمر. إلا أنها كانت تبدو فى حالة دوار ولا أعلم إن كانت قد لاحظت حقاً، أو أنها كانت تحدق إلىَّ وحسب".

أطلق أنطونى صافرة أخرى.

قال معلقًا: "هذ معضلة كبيرة فعلاً".

قالت إيريس:

"إن الأمر يزداد سوءاً. أخشى أن يكتشفوا الأمر".

"لكن لماذا لم تكن بصمات أصابعك عليه؟ فأول شيء يقومون به هو البحث عن بصمات الأصابع".

"أعتقد أننى كنت أمسكه من خلال المنديل".

أومأ أنطونى.

"ولكن من يستطيع أن يضع هذه العبوة فى حقيبتى؟ لقد كانت معى طوال المساء".

"لا يبدو الأمر مستحيلاً كما تظنين. فحين ذهبت للرقص بعد الاستعراض تركت الحقيبة على الطاولة، فربما عبث بها أحدهم حينها. وهناك احتمال قيام أحدهم بذلك، هل لك أن تنهضى وتحاكى طريقة تصرف النساء فى غرفة خلع المعاطف الخاصة بهن؟ فهذا مما لا أعرف عنه شيئاً أبداً، إذ قد نصل من خلال ذلك إلى شىء ما. هل تحادثت أو توقفت مع إحداهن، أو ربما انتقلت من مرآة إلى أخرى؟".

فكرت إيريس.

"لقد ذهبنا جميعاً إلى نفس الطاولة، وكانت تعلوها مرآة كبيرة ثم وضعنا حقائبنا ونظرنا إلى وجوهنا، كما تعرف".

"فى الواقع أنا لا أعرف، استمرى".

"وضعت روث مسحوقًا على أنفها ولفت ساندرا شعرها وضغطته بدبوس شعر. وخلعت أنا قبعتى وأعطيتها للخادمة وبعدها رأيت أن يدى غير نظيفة ولذا ذهبت إلى حوض غسيل الوجه".

"هل تركت حقيبتك على الطاولة الزجاجية؟".

"نعم، وغسلت يدى وكانت روث لا تزال تزين وجهها وأعتقد أن ساندرا كانت قد ذهبت وسلمت معطفها ثم عادت إلى المرآة وذهبت روث كى تغسل يدها، ثم عدت إلى المرآة وأصلحت شعرى قليلاً".

"من الممكن إذن أن تكون واحدة من الاثنتين هى التى وضعت العبوة فى حقيبتك دون أن تريها؟".

"نعم، لكنى لا أعتقد أن أياً من روث أو ساندرا يمكن أن تقوم بهذا الأمر".

"أنت تثقين بالناس كثيراً. إن لدى ساندرا من الغلظة ما يجعلها تحرق أعداءها على أوتاد كما فى العصور الوسطى أما روث فيمكنها أن تقوم بأكثر الأشياء فظاعة على وجه الأرض".

"لو كانت روث، فلماذا لم تقل إنها رأتنى أسقط العبوة؟".

"أنت محقة فى هذا. فلو كانت روث من دست لك السيانيد، لبذلت الجهد الشديد حتى لا يكون لك نجاة من الأمر، يبدو أن روث بعيدة عما جرى. الحق أن النادل هو أقرب احتمال. النادل، نعم النادل! لو أن ثمة نادلاً غريباً، نادلاً تم تأجيره لهذا المساء فقط. ولكن هذا لا ينطبق على جوزيبى وبيير...".

تنهدت إيريس.

"أنا سعيدة لأننى قد أخبرتك بالأمر. لن يعرف سوانا بالأمر. هل ستخبر أحداً؟ فقط أنا وأنت؟".

نظر إليها أنطونى بطريقة مربكة.

"لا يمكننى فعل ذلك يا إيريس. والحقيقة أنك سوف تأتين معى الآن فى سيارة أجرة كى نخبر المحقق كيمب، فلا يمكننا إخفاء أمر كهذا".

"كلا يا أنطونى، سوف يظنون أننى من قتلت جورج".

"بالفعل سوف يظنون ذلك لو أنهم اكتشفوا الأمر لاحقاً ولم تخبريهم أنت بأى شيء عنه! سوف يصبح توضيحك للأمور حينها ضعيفاً، لكن إذا تطوعت أنت بالأمر الآن، فالغالب أنهم سيصدقونك".

"من فضلك يا أنطونى".

"اسمعينى يا إيريس، أنت فى مأزق بلا شك. لكن بعيداً عن كل شيء، هناك شيء اسمه الحقيقة. ولا يمكنك تحقيق أمنك والنفاد بجلدك حين يتعارض الأمر مع مبدأ العدالة".

"هل أنت فعلاً نبيل إلى هذا الحد يا أنطونى؟".

قال أنطونى: "هذا إطراء كبير، لكننا فى كل حال سنذهب لمقابلة كيمب! والآن!".

خرجت معه إلى الصالة رغماً عنها، كان معطفها معلقاً على كرسى، فأحضره لها كى ترتديه.

كانت الثورة والخوف يملآن عينيها، لكن أنطونى لم يبد تساهلاً فى الأمر، وقال:

"سوف نستوقف سيارة أجرة عند نهاية الميدان".

وأثناء سيرهما نحو باب الصالة، سمعا صوت الجرس من الدور الأرضى.

تعجبت إيريس.

"لقد نسيت، إنها روث. لقد كانت آتية إلى هنا بعد أن غادرت المكتب لإعداد ترتيبات الجنازة، سيكون تشييع الجنازة بعد غد. وقد رأيت أننا سنحسن ترتيب الأمور حين تكون العمة لوسيلا خارج البيت، فهى مربكة للغاية".

تقدم أنطونى فى السير لفتح الباب، سابقا الخادمة التى أتت مسرعة من السلم الخلفى.

قالت إيريس: "لا عليك يا إيفانز"، فعادت الفتاة إلى حيث كانت مجدداً.

كان التعب يبدو على روث، وليست فى هندامها المعتاد كانت تحمل حقيبة وثائق كبيرة.

"آسفة على تأخرى. لكن النفق كان مزدحماً بشدة. لقد اضطررت لانتظار ثلاث حافلات، فلم أتمكن من العثور على أى سيارة أجرة".

بدا غريبًا لأنطونى أن تقدم روث ذات الكفاءة الكاملة اعتذاراتها، كان اعتذارها علامة أخرى على الأثر المدمر الذى تركه موت جورج على تلك الفتاة ذات الكفاءة الحديدية.

قالت إيريس:

"لن أستطيع الذهاب معك الآن يا أنطونى، فعلىّ أن أرتب بعض الأشياء أنا وروث".

قال أنطونى بطريقة صارمة:

"أعتقد أن أمرنا أهم... أنا آسف حقاً يا آنسة ليسينج لكن يجب أن أذهب أنا وإيريس، فالأمر مهم حقاً".

قالت روث بسرعة:

"لا بأس سيد براون. أستطيع ترتيب كل الأمور مع السيدة دراك حين تعود"، ثم ابتسمت فى تردد وقالت: "بإمكانى السيطرة عليها على أية حال".

قال أنطونى بإعجاب: "أنت تستطيعين السيطرة على أى شىء يا آنسة ليسينج".

"ربما تود إيريس أن تخبرنى ببعض النقاط الخاصة؟".

"ليس هناك أى نقاط مهمة. لقد وجدت أن من الأفضل ترتيب الأمر معاً؛ لأن العمة لوسيلا تغير رأيها كل دقيقتين، وأعتقد أن الأمر سيكون شاقاً عليك، فلديك الكثير لتقومى به. لكنى لا أهتم بأى نوع من المآتم سيتم إقامته! العمة لوسيلا تحب المآتم، لكنى أكرهها. صحيح أنه ينبغى الذهاب لدفن الناس، إلا أننى أكره الجلبة التى تصاحب الأمر. إن الأمر لا يعنى شيئاً للمشيعين، فهم ينسون الأمر برمته، لكن الأموات لا يعودون".

لم تجب روث، لكن إيريس كررت عبارة: "الأموات لا يعودون!".

قال أنطونى: "هيا بنا"، وجذبها للخروج من الباب المفتوح.

أشار أنطونى إلى سيارة أجرة تسير ببطء نحو الميدان وساعد أنطونى إيريس على الركوب فيها.

قال لها بعد أن طلب من السائق أن يتجه إلى مبنى سكوتلانديارد: "أخبرينى يا جميلتى، فيمن كنت تفكرين بالتحديد حين كنا فى الصالة وقلت إن الموتى لا يعودون؟ جورج أم روزمارى؟".

"لا أحد! لا أحد على الإطلاق! إلا إننى فقط أكره المآتم، لقد أخبرتك بذلك".

تنهد أنطونى.

ثم قال: "لابد أننى خبير روحانى إذن!".

الفصل الثانى عشر

جلس ثلاثة رجال حول طاولة رخامية.

كان الكولونيل رايس والمحقق كيمب يشربان فنجانين من الشاى البنى الداكن الغنى بحمض التانين. وكان أنطونى يشرب فنجانًا من القهوة القوية من ابتكار المقاهى الإنجليزية. لم يكن أنطونى يرغب فى القهوة، لكنه تحملها كى يكون على السواء فى اجتماعه بالرجلين، كان المحقق كيمب يتفحص أوراقه بعناية، وقد قبل الاعتراف به كزميل.

قال المحقق كيمب وهو يضع العديد من حبات السكر فى الشاى ويقلبه: "لو سألتنى، فإن الرأى عندى أن هذه القضية لن تطرح فى المحكمة أبداً، فنحن لن نجد الدليل".

سأل رايس: "أتعتقد ذلك؟".

هز كيمب رأسه بالموافقة على هذا وأخذ رشفة من الشاى.

"الأمل الوحيد هو أن تجد دليلاً يتعلق بشراء أو حمل السيانيد من قبل أحد الأشخاص الخمسة، إننى لم أجد أى دليل يدين أحداً، وستكون هذه إحدى القضايا التى تعرف فيها الفاعل ولكنك لا تستطيع إثبات إدانته".

قال له أنطونى فى اهتمام: "إذن أنت تعرف الجانى؟".

"حسناً، أنا متأكد فى قرارة نفسى من أنها السيدة ألكسندرا فاراداى".

قال رايس: "إذن لابد من وجود أسباب ليقينك هذا؟".

"هناك أسباب عديدة. فهذه المرأة من النوع الذى يغار إلى درجة الجنون، وهى

طاغية أيضاً، إنها تشبه تلك الملكة التى كانت تدعى إلينور أو شيئاً من هذا القبيل، التى تتبعت الأثر إلى كوخ فيرروزاموند وعرضت عليها خيار الموت بالخنجر أو بشرب كأس من السم".

تابع المحقق كيمب:

"هناك شخص ما كشف أمر القتل للسيد بارتون، فبدأ يتشكك، وأستطيع القول إن شكه كان محدداً الوجهة، فلم يكن ليذهب بعيداً ويشترى منزلاً فى الريف إلا ليراقب عائلة فاراداى. ولابد أنه شكه بهم بدا واضحا لها، بإلحاحه الشديد على حضور ذلك الحفل. وهى ليست من النوع الذى ينتظر ويرى، فهى طاغية كما قلت، فتخلصت منه! هذا كله من قبيل الاستنتاج النظرى بالطبع والحكم على الشخصية، لكن الشخص الوحيد الذى كانت لديه الفرصة ليضع شيئاً ما فى كأس السيد بارتون قبيل شرابه مباشرة كانت السيدة التى على يمينه".

قال أنطونى: "هل هناك من رآها؟".

"حسناً، كان هذا ما ينبغى أن يحدث، لكنهم لم يروها. يمكنك القول - إن أردت - إنها كانت بارعة".

"ساحرة هى إذن".

سعل رايس. وكان قد أخرج غليونه وبدأ يحشوه.

"لكن هناك ملاحظة صغيرة، لنسلم بأن السيدة ألكسندرا طاغية، وغيور، وتهيم حباً بزوجها، ولنسلم بأنها متورطة فى القتل، فهل تعتقد أنها من ذلك النوع الذى يضع دليل الجريمة فى حقيبة فتاة؟ فتاة بريئة بالفعل، فتاة لم تقدم لها أذى قط؟ هل هذا من تقاليد آل كيدمينستر؟".

ارتبك المحقق كيمب وهو جالس على مقعده ونظر إلى فنجان الشاى.

قال: "النساء لا يلعبن الكريكت، إن كان الالتزام بالقواعد هو ما تعنيه".

قال رايس وهو مبتسم: "الحق أن الكثيرات منهن يلعبن الكريكت، لكنى سعيد لأنى أراك غير مرتاح".

هرب كيمب من مأزقه واستدار نحو أنطونى وقال فى لطف: "بالمناسبة سيد براون – سأظل أناديك بهذا الاسم إن لم تمانع – أريد أن أعبر لك عن امتنانى لحزمك فى إحضار الآنسة إيريس فى ذلك المساء كى تخبرنا بقصتها".

قال أنطونى: "كان علىّ أن أقوم بالأمر على هذا النحو الحازم، فلو انتظرت، فربما لم أكن لأحضر على الإطلاق".

قل الكولونيل رايس: " لم تكن تريد المجىء بالطبع".

قال أنطونى: "لقد ارتبكت المسكينة. كان ذلك أمراً طبيعياً حسب ظنى".

قال المحقق وهو يصب لنفسه فنجاناً آخر من الشاى: "طبيعى جداً" وبعدها أخذ أنطونى رشفة من القهوة.

قال كيمب: "حسناً، أعتقد أننا أرحناها، وأنها عادت لبيتها سعيدة".

قال أنطونى: "أتمنى أن تذهب بعد الجنازة لقضاء بضعة أيام فى الريف. أظن أن أربعًا وعشرين ساعة من الطمأنينة بعيداً عن ثرثرة العمة لوسيلا، ستكون جيدة لها".

قال رايس: "ثرثرة العمة لوسيلا لها فوائدها".

قال كيمب: "هنيئا لك بها، إن من حسن الحظ أننى لم أر من الضرورى وضع تقريرموجز لأقوالها، فلو فعلت لكان كاتبى الآن فى المستشفى يعالج من تقلصات فى

عضلة يده".

قال أنطونى: "حسناً، أستطيع القول إنك على صواب أيها المحقق بشأن هذه القضية، فهى لن تقدم أبداً إلى المحكمة ولكن تلك نهاية غير مرضية. فهناك شىء لا نزال على جهل به. من ذلك الذى أرسل الخطابات لـ جورج بارتون يخبره فيها بأن زوجته قد قتلت؟ ليست لدينا أى فكرة عن هذا الشخص".

قال رايس: "هل لا تزال شكوكك كما هى يا براون؟".

"بالنسبة لـ روث ليسينج؟ نعم. أعتقد أنها المتهم الأول فى نظرى. لقد أخبرتنى بأنها اعترفت لك بحبها لـ جورج، إلا أن روزمارى كانت بكل المقاييس عائقاً بالنسبة لها. فلنقل إنها قد وجدت فجأة فرصة مناسبة للتخلص من روزمارى، وإنها اقتنعت أنها إن أزالت روزمارى من طريقها، فبإمكانها الزواج من جورج".

قال رايس: "لنسلم بما قلت. ونقر بأن روث ليسينج لديها الكفاءة التى تمكنها من القتل، وأنها ربما تفتقر إلى الشفقة والتى تنتج أساساً من الخيال. نعم، أسلم بذلك بالنسبة لجريمة القتل الأولى، ولكنى لا أعتقد أنها ارتكبت الجريمة الثانية، فببساطة لا أتخيلها تضع السم للرجل الذى أحبته والذى كانت تريد الزواج منه! وهناك نقطة أخرى تخرجها من دائرة الاتهام: لماذا سكتت حين رأت إيريس تسقط عبوة السيانيد تحت الطاولة؟".

فقال أنطونى متشككاً: "ربما لم ترها".

قال رايس: "أنا متأكد من أنها رأتها، حين كنت أتحدث إليها شعرت أنها تخفى شيئاً، فضلاً عن أن إيريس مارل تعتقد أن روث قد رأتها".

قال كيمب: "هيا أيها الكولونيل، أخبرنا عمن تشتبه به أنت، لابد أن لديك وجهة نظر حيال الأمر".

أومأ رايس موافقًا.

"هيا أفصح. هذا هو العدل. فقد استمعت إلى آرائنا وأبديت اعتراضاتك".

اتجهت عينا رايس من تركيزها على وجه كيمب إلى وجه أنطونى واستقرت فى التركيز عليه.

ارتفع حاجبا أنطونى.

"لا تقل لى إنك مازلت ترانى القاتل الأثيم".

فهز رايس رأسه ببطء.

"لا أستطيع تخيل سبب معقول واحد يدفعك لقتل جورج بارتون، وأعتقد أننى أعرف من قتله هو وروزمارى بارتون أيضاً".

"من يكون؟".

قال رايس وهو يتأمل وجهيهما:

"غريب أننا جميعاً اشتبهنا فى النساء؛ فأنا أيضاً أشتبه فى امرأة"، توقف قليلاً، ثم تابع بسرعة: "أعتقد أن القاتل هو إيريس مارل".

تراجع أنطونى فى مقعده بشدة، وللحظة احمر وجهه للغاية، ثم استعاد بجهد كبير سيطرته على نفسه. كان فى صوته حين تحدث رعشة خفيفة، لكن بذات القدر المتعمد من الخفة والتهكم.

قال: "لنناقش بالطبع هذه الاحتمالية أيضاً. لماذا يكون الجانى إيريس مارل؟ وإن كانت هى، فلماذا حدثتنى عن إسقاط عبوة السيانيد تحت الطاولة؟".

قال رايس: "لأنها كانت تعرف أن روث ليسينج رأتها تفعل ذلك".

فكر أنطونى فى رد، لكنه فى النهاية أومأ برأسه قائلاً:

"لنفترض ذلك، استمر، لماذا اشتبهت فيها بالأساس؟".

قال رايس: "لوجود الدافع. لقد تركت روزمارى ثروة هائلة لم يكن من حق إيريس المشاركة فيها. نعلم جميعاً أنها ربما عانت طوال سنوات بإحساس من الظلم وقع عليها. كانت تعلم أنه إذا ماتت روزمارى دون أن تنجب أطفالاً، فستئول إليها كل تلك الأموال. وكانت روزمارى محبطة وغير سعيدة ومرهقة بعد نزلة البرد وبدا أن ذلك هو الوقت المناسب الذى تقبل فيه فكرة الانتحار بدون نقاش".

قال أنطونى: "حسناً، لقد أظهرت الفتاة فى صورة وحش!".

قال رايس: "ليست وحشاً، لكن هناك سبباً آخر جعلنى أشك فيها، والذى قد تراه بعيد الاحتمال، إنه فيكتور دراك".

حدق أنطونى إليه قائلاً: "فيكتور دراك؟".

"إنها الضغينة، إننى لم أستمع إلى لوسيلا دراك عبثاً، لقد علمت بكل شيء عن عائلة مارل، ففيكتور دراك ليس ضعيفاً بقدر ما هو شرير أثيم، وأمه ضعيفة العقل وغير قادرة على التركيز. أما هكتور مارل فكان أيضًا ضعيفاً فاسداً وسكيراً، وروزمارى لم تكن مستقرة عاطفياً. إن تاريخ العائلة ملىء بالضعف والعيوب وعدم الاستقرار. هناك أسباب وراثية".

أشعل أنطونى سيجارة ويداه ترتجفان.

"ألا يمكنك تصور وجود شاة عاقلة وسط هذا القطيع الفاسد؟".

"بالطبع هذا ممكن. ولكنى لست متأكداً من أن تكون إيريس مارل هى تلك الشاة الحكيمة".

قال أنطونى ببطء: "لقد أطلعها جورج على تلك الخطابات، لذا ذعرت وقتلته؟ أليس هذا ما تراه؟".

"بالضبط. إنه الذعر".

"وكيف وضعت السيانيد فى كأس الشراب الخاص ب. جورج؟".

"أقر بأن هذا هو ما لا أعرفه".

"أنا سعيد أن هناك شيئاً لم تعرفه".

مال أنطونى بمقعده إلى الأمام ثم إلى الخلف، كانت عيناه مليئتين بالغضب والشعور بالخطر: "لقد امتلكت الجرأة لقول ذلك كله لى".

أجاب رايس بسرعة:

"أنا أعرف مدى صعوبته، لكنى رأيت أنه يجب أن يقال".

راقبهما كيمب باهتمام، لكنه لم يتكلم، وجعل يقلب الشاى وكأنه غائب العقل.

جلس أنطونى بشكل مستقيم، وقال: "حسناً، لقد تغيرت الأمور، لم يعد الأمر مجرد جلسة لأشخاص حول طاولة ويشربون سوائل مثيرة للغثيان، يتبادلون فيها نظريات غير عملية؛ فهناك قضية لابد من حلها، إذ يجب أن نزيل كل العوائق ونصل إلى الحقيقة. أعتقد أن هذه وظيفتى وسوف أنجزها بطريقة ما. لابد أن أقوم بجهد أكبر لكشف الأشياء التى لا نعرفها؛ لأننا حين نعرفها، سيتضح الأمر كله.

سأعيد عليكم عرض المعضلات. من كان يعرف أن روزمارى قد قتلت؟ ومن الذى كتب تلك الخطابات إلى جورج يخبره فيها بذلك؟ ولماذا كتبها؟

نأتى لجريمتى القتل ذاتهما، انس أمر الجريمة الأولى، لقد مر عليها وقت طويل، ولا نعرف بالضبط ما الذى حدث. لكن الجريمة الثانية حدثت أمام عينى، وقد رأيت كل ما حدث؛ لذا يجب أن أعرف كيف حدث الأمر. فقد كان الوقت الملائم لوضع السيانيد فى كأس جورج أثناء الاستعراض. لكنه لم يوضع فى هذا التوقيت؛ لأنه قد شرب من كأسه فى الحال بعد ذلك. لقد رأيته وهو يشرب وبعد أن شرب، لم يضع أى شخص أى شىء فى كأسه، ولم يمس أى شخص كأسه إلا حين شرب منها فى المرة التالية، فكانت مليئة بالسيانيد. ليس هناك من فرصة لتسميمه، لكنه سمم! كان فى كأسه سيانيد، لكن أحداً لم يضعه! هل أحرزنا أى تقدم بهذا؟".

قال المحقق كيمب: "كلا".

قال أنطونى: "نعم، لقد دخلنا إذن عالم السحر والخدع، أو استحضار الأرواح. وإليكما نظريتى الروحانية: أثناء الرقص أتت روح روزمارى واقتربت من كأس جورج ووضعت له بعض حبات السيانيد الواقعى، فبإمكان الأرواح أن تصنع السيانيد فى العالم الآخر. ثم عاد جورج وشرب فى ذكراها، آه يا إلهى!".

حدق إليه الرجلان فى فضول. كانت يداه فوق رأسه، وكان يتأرجح ذهاباً وإياباً كما لو كان يعانى ألماً حقيقياً فى رأسه قائلاً:

"وجدتها... وجدتها... الحقيبة... النادل...".

قال كيمب منزعجًا: "ماذا عن النادل؟".

هز أنطونى رأسه نافيًا:

"لا، لم أقصد ما فهمتماه. لقد دار بخلدى ذات مرة أننا فى حاجة هنا لنادل ليس بنادل بل ساحر، نادل تم استقدامه قبل الحادث بيوم، لكن ما وجدناه كان نادلاً متمرسًا بتلك المهنة، ومساعد نادل هو الآخر من السلالة الملكية للنُدُل – نادل ملاك، نادل فوق مستوى الشبهات ولايزال فوق مستوى الشبهات، لكنه لعب دوراً فى الأمر! يا الله لقد كان دور البطولة".

حدق إليهما بشدة.

"أتفهمان ما أقوله؟ إن نادلاً ربما وضع السم فى الشراب لكن ذلك النادل لم يفعل، ولم يُمس كأس جورج، لكنه مات بالسم. انتبها للتعريف والتنكير. كأس جورج! وجورج! هما شيئان منفصلان. الأموال، الكثير والكثير من الأموال! ومن يدرى ربما يكون الحب أيضاً شريكاً فى الأمر؟ لا تنظرا إلىّ وكأنى مجنون، تعالا وسوف أريكما ما أقصد".

ودفع مقعده إلى الخلف ووقف على قدميه وأمسك ب. كيمب من ذراعه.

"تعال معى".

نظر كيمب إلى فنجان الشاى نصف الممتلئ نظرة ندم.

ثم تمتم: "يجب أن أدفع ثمنه".

"كلا، كلا، سوف نعود بعد لحظة. هيا سنخرج، تعال يا رايس".

ودفع الطاولة جانباً، ودفعهما نحو المدخل.

"هل تريان كابينة الهاتف التى هناك؟".

"نعم".

تحسس أنطونى جيوبه.

"اللعنة، ليس معى عملات معدنية. لا بأس، فقد عدلت فى تفكيرى ولن أتصل، لنعد للداخل".

عادوا إلى داخل المقهى. كان كيمب أولاً وتبعه رايس وذراعه فى ذراع أنطونى.

كان وجه كيمب عابساً والتقط الغليون الخاص به حين جلس إلى الطاولة، وفرغه بعناية ثم بدأ فى وضع التبغ الذى أخرجه من جيب المعطف.

كان رايس ينظر إلى أنطونى بوجه عابس مرتبك، ثم مال بظهره إلى الوراء والتقط فنجانه كى يشرب ما تبقى فيه.

قال بطريقة حادة: "اللعنة، إن به سكر!".

ثم نظر عبر الطاولة ليجد أنطونى وقد اتسعت ابتسامته فى بطء.

قال كيمب بعد أن أخذ رشفة من فنجانه: "يا إلهى ما هذا؟".

قال أنطونى: "إنها قهوة، لقد حسبت بالفعل أنها لن تنال استحسانك، فأنا لم أستحسنها".

استمتع أنطونى برؤية وميض الفهم الفورى الذى حل فى عيون جليسيه.

لم يدم استمتاعه طويلاً؛ لأن فكرة أخرى طرأت عليه وألحت عليه بقوة.

هتف بصوت عال:

"يا الهى – السيارة!".

ثم تابع.

"يا لحماقتى – لقد أخبرتنى إيريس بأن سيارة كانت على وشك أن تدهسها ولكنى لم أعر لقولها اهتماماً تقريباً. هيا بنا بسرعة!".

قال كيمب:

"لقد قالت إنها ستتجه مباشرة إلى المنزل بعد أن رحلت من مبنى سكوتلاند يارد".

"بالفعل، لماذا لم أذهب معها؟".

سأل رايس: "من بالمنزل الآن؟".

"روث ليسينج هناك وهى بانتظار السيدة دراك، ربما مازالتا تناقشان أمر الجنازة حتى الآن!".

قال رايس: "ومناقشة أى شىء آخر، فتلك عادة السيدة دراك"، ثم أضاف على نحو مفاجئ: "هل لدى إيريس مارل علاقات قرابة أخرى؟".

"ليس على حد علمى".

"أعتقد أننى أفهم ما ترمى إليه أفكارك. لكن هل هذا ممكن؟".

"أعتقد ذلك. فكر بنفسك كم تؤخذ عبارة (بشرف فلان)باستخفاف".

كان كيمب يدفع الحساب، ثم أسرع الثلاثة بالخروج حينها قال كيمب:

"هل تظن أن الخطر شديد على الآنسة مارل؟".

"نعم بالفعل".

أوقف أنطونى سيارة أجرة؛ حيث ركب الثلاثة فيها وأخبروا السائق بأن يتجه بهم إلى الفاستون سكوير فى أسرع وقت ممكن.

قال كيمب ببطء:

"لا أفهم حتى الآن إلا فكرة عامة، إذن هذا يبعد الشك عن عائلة فارادای".

"نعم".

"أحمد الله على ذلك. لكن لا يمكن أن تكون هناك محاولة قتل أخرى فى القريب العاجل؟".

قال رايس: "كلما كانت المحاولة التالية أسرع، كان ذلك أفضل. حتى لا نتمكن من التفكير فى الاتجاه الصحيح. المرة الثالثة يحالفها الحظ دائماً؛ تلك هى الفكرة"، ثم أضاف: "لقد أخبرتنى إيريس مارل أمام السيدة دراك أنها ستتزوجك بمجرد أن تطلب منها ذلك".

كانوا يتحدثون فى تلعثم شديد؛ لأن السائق كان ينفذ تعليماتهم بشكل حرفى،

فكان يندفع بقوة فى المنعطفات ويخترق الزحام بحماسة بالغة.

وقبل المنحنى الأخير إلى الفاستون سكوير، اندفع بقوة داخل المنزل بارتجاج شديد.

لم يكن الفاستون سكوير أكثر أمناً مما بدا عليه ساعتها.

وبصعوبة بالغة استعاد أنطونى طبيعته الهادئة وتمتم:

"تماماً مثل الأفلام، مما يجعل المرء يبدو كالأحمق".

كان يقف على درجة السلم العليا يرن الجرس فى حين كان رايس يحاسب السائق وكان كيمب يلحقه على السلم.

فتحت الخادمة الباب.

قال أنطونى فى حدة:

"هل عادت الآنسة إيريس؟".

بدا على إيفانز الاندهاش.

"أوه، نعم يا سيدى، لقد عادت منذ نصف ساعة".

تنفس أنطونى فى ارتياح، كان كل شىء فى المنزل هادئاً وطبيعياً حتى إنه أحس بالخجل من ظنونه الميلودرامية.

"أين هى؟".

"أعتقد أنها فى غرفة الاستقبال مع السيدة دراك".

أومأ أنطونى وصعد السلم بخطوة متمهلة، وكان رايس وكيمب على مقربة منه.

كانت لوسيلا دراك تجلس هادئة فى غرفة الاستقبال تحت ظلال مصباح كهربائى تفتش فى درج المكتب عن السجل العقارى فى استغراق شديد وهى تتمتم بصوت مسموع:

"عزيزى أين وضعت خطاب السيدة مارشام؟".

سأل أنطونى بطريقة مفاجئة: "أين إيريس؟".

استدارت لوسيلا ونظرت إليه.

"إيريس؟ عذراً! إنها ليست هنا، هل يمكن أن أسأل من تكون؟".

أتى رايس من خلفه ورأته لوسيلا بوضوح، ولم تكن حتى تلك اللحظة ترى المحقق كيمب حيث إنه كان آخر من دخل الغرفة.

"عزيزى الكولونيل رايس! كم هو لطف منك أن تأتى! لقد كنت أتمنى أن تأتى قبل قليل، كنت أود استشارتك فى ترتيبات الجنازة. فنصيحة الرجل لها قيمتها. وأنا أشعر بإحباط شديد لدرجة أننى أخبرت الآنسة ليسينج بأننى لا أستطيع مجرد التفكير. ولابد من الإقرار بتعاطف الآنسة ليسينج وتطوعها للقيام بكل شىء كى ترفع عن كاهلى أى متاعب. ورغم أنها قامت بالترتيبات على نحو عقلانى، كان من الطبيعى أن أكون أنا الشخص الذى يعرف التراتيل التى كانت مفضلة لدى جورج – وهذا ما لم يحدث لأن جورج فى الواقع كان قليل التردد على دار العبادة ولكن بطبيعة الحال ولأنى كنت زوجة أحد رجال الدين، أقصد أرملة، فأنا أعرف التراتيل المناسبة".

استغل رايس وقفة طارئة منها كى يطرح عليها سؤاله: "أين الآنسة إيريس

مارل؟".

"إيريس؟ لقد أتت منذ قليل. قالت إنها تعانى من صداع وذهبت مباشرة إلى غرفة نومها. أنت تعرف أن فتيات هذه الأيام ليست لديهن القدرة على التحمل، فهن لا يتناولن الكثير من الطعام. وأعتقد أنها تكره الكلام عن ترتيبات الجنازة. لكن بالنهاية ينبغى على أحد أن يقوم بهذه الترتيبات، أريد أن أشعر بأن كل شيء قد تم على أكمل وجه، وأن نظهر أفضل احترام للفقيد. ليس لأننى لم أر قط أن العربة البخارية ذات وقار واحترام - إن كنت تدرك ما أقصده - فهى ليست مثل العربة التى تجرها الخيول ذات الذيول السوداء الطويلة، لكنى وافقت على الأمر مباشرة - إننى وروث - إننى أدعوها روث وليس الآنسة ليسينج - رتبنا الأمر بطريقة جيدة، وبإمكان إيريس أن تعتمد علينا فى كل شيء".

سأل كيمب:

"هل رحلت الآنسة ليسينج؟".

"نعم، لقد رتبنا لكل الأمور ورحلت الآنسة ليسينج منذ حوالى عشر دقائق. لقد أخذت الإعلانات الخاصة بالصحف معها حيث أعلنا أنه يمنع اصطحاب الورد وفقاً للظروف - وأن دار عبادة كانون ويستبرى هى من ستتولى خدمة مشهد الجنازة".

بينما تابعت هى سردها خرج أنطونى بطريقة لطيفة من الباب، وترك الغرفة قبل أن تقطع لوسيلا استرسالها فجأة لتسأل: "من كان هذا الشاب الذى أتى معكما؟ أنا لم ألحظ من البداية أنكما أتيتما به. لقد اعتقدت أنه واحد من هؤلاء الصحفيين المزعجين. لقد عانينا منهم من قبل".

كان أنطونى يصعد السلم بخفة، فسمع وقع خطوات خلفه، وحين أدار رأسه،

نظر، فوجد المحقق كيمب.

"هل انسحبت أنت الآخر؟ مسكين هو رايس!".

دمدم كيمب.

"إنه يتعامل مع مثل هذه المسائل بطريقة لطيفة، لكننى لست بارعاً فى هذا".

صعدا للطابق الثانى، وحين كانا على وشك صعود الطابق الثالث سمع أنطونى وقع أقدام تهبط؛ لذا سحب كيمب إلى حمام مجاور.

استمرت تلك الأقدام فى هبوط السلم.

أسرع أنطونى فى صعود درجات السلم. كان يعرف غرفة إيريس. لقد كانت تلك الغرفة الصغيرة التى فى الخلف، فطرق الباب بخفة.

"إيريس" ولكن لم يأته رد، لذا طرق مجدداً ونادى عليها فحاول فتح الباب إلا أنه وجد الباب مغلقاً.

فطرق الباب بإلحاح.

"إيريس، إيريس".

بعد ثانية أو ثانيتين توقف، ونظر إلى الأسفل، كان واقفاً على واحدة من تلك السجاجيد القديمة الطراز التى صنعت لتوضع خارج الأبواب لتفادى دخول الريح من أسفل الباب. كانت تلك السجادة تسد الفراغ السفلى للباب، فركلها أنطونى بعيداً، كان الفراغ الموجود تحت الباب واسعاً إلى حد ما فأحيانا يصمم ذلك الفراغ ليمرر السجادة الموضوعة بدلاً من الأرضيات غير النظيفة.

مال على ثقب الباب لكنه لم يستطع أن يرى شيئاً وفجأة رفع رأسه واشتم. ثم

تمدد على الأرض ووضع أنفه تحت عقب الباب.

ثم وقف صارخًا: "كيمب!".

لم يجد أنطونى أثرا للمحقق كيمب، لذا صرخ مجدداً.

كان الكولونيل رايس هو من أتى صاعداً السلم، ولم يمهله أنطونى فرصة للكلام وقال:

"أشتم رائحة غاز تأتى من الداخل، يجب علينا كسر الباب".

كان رايس يتمتع ببنية بدنية قوية، لذا تراجع هو وأنطونى قليلاً إلى الخلف. ومع دوى تكسير وقرقعة، فتح الباب.

تراجعا إلى الخلف قليلاً، ثم قال رايس:

"إنها هناك بالقرب من المدفأة. سوف أقتحم المكان وأحطم النافذة، فى حين تحملها أنت إلى الخارج".

كانت إيريس مارل واقعة بالقرب من المدفأة وأنفها وفمها باتجاه الموقد.

بعد دقيقة أو اثنتين، كان أنطونى ورايس قد بسطا جسد الفتاة الفاقدة لوعيها على الأرض بالقرب من الرياح التى تهب من النافذة. وهما فى حالة اختناق وسعال.

قال رايس:

"سوف أتعامل أنا معها. واذهب أنت لإحضار الطبيب".

هبط أنطونى الدرج بسرعة، ونادى عليه رايس:

"لا تقلق. أعتقد أنها ستكون بخير. لقد وصلنا إليها فى الوقت المناسب".

أجرى أنطونى اتصالاً هاتفياً وبدأ بالتحدث فى سماعة الهاتف، ومن ورائه كانت السيدة دراك تشوش اتصاله بعبارات تعجب.

ثم استدار فى النهاية بعد أن أنهى الاتصال وهو يتنفس بارتياح:

"لقد وجدته، إنه يعيش هنا بالقرب من الميدان سوف يحضر إلى هنا فى غضون دقيقتين".

"لكن ما الذى يجرى! هل إيريس مريضة؟".

كان ذلك نداء أخيراً من لوسيلا.

قال أنطونى:

"لقد كانت فى غرفتها، والباب مغلق، ورأسها على موقد الغاز وقد امتلأت به الغرفة".

صرخت السيدة دراك بطريقة حادة: "إيريس؟ هل انتحرت إيريس؟ لا أصدق، لا أصدق!".

عاد إلى أنطونى شىء من ابتسامته العريضة.

قال لها: "لست فى حاجة لأن تصدقى ذلك فهذا لم يحدث".

"والآن يا تونى، أرجوك، هل لك أن تخبرنى بالأمر كله؟".

كانت إيريس نائمة على أريكة، وكانت شمس نوفمبر تسطع فى جرأة على ليتل بريورز.

نظر أنطونى إلى الكولونيل رايس الذى كان يجلس على قاعدة النافذة، وعلى وجهه ابتسامة عريضة:

"ليس لدىّ مانع يا إيريس من الاعتراف بأننى كنت أنتظر تلك اللحظة. فلو لم أشرح مدى ما كانت عليه براعتى لانفجرت كمداً. لن يكون هناك أى تواضع فى سرد الحكاية. بل يكون عزفاً متواصلاً منى لا حياء فيه، مع توقفات للسماح لك بقول عبارات من قبيل: "يا لك من ماهر يا أنطونى" أو "يا لروعتك يا تونى" أو عبارات أخرى على هذه الشاكلة، والآن يبدأ العرض هيا بنا.

"لقد كان الأمر بسيطاً جداً. أقصد أنها كانت تبدو قضية واضحة المعالم لها سبب ونتيجة. موت روزمارى الذى اعتبر انتحارا، لم يكن كذلك. حين ازداد الشك لدى جورج وبدأ تحرى الأمر، وبالفعل كان قريباً من الوصول للحقيقة، وقبل أن يتمكن من كشف النقاب عن القاتل، قُتل. لقد بدا تسلسل الأحداث واضحاً جداً.

لكن علينا أن نتوقف عند بعض التناقضات، الأول: لا يمكن أن يكون جورج قد سُمِّم. لكن جورج مات بالسم، والثانى: لم يمس أحد كأس جورج. لكن كأس جورج كان به سم.

فى الواقع لقد كنت غافلاً عن حقيقة مهمة، حقيقة الاستخدام المتنوع لصيغة

الملكية. فأذن جورج هى أذنه بلا نقاش لأنها لايمكن أن تنفصل عن وجهه إلا بعملية جراحية! ولكن الأمر مختلف بالنسبة لساعة جورج. فأنا أعنى الساعة التى يرتديها جورج، والسؤال الذى قد يطرح نفسه: هل هى ساعته أم أن أحدهم أقرضه إياها، وحين نتحدث عن كأس جورج أو فنجان الشاى الخاص ب. جورج، فإن مفهوم الملكية يكون غامضاً أيضاً. فأنا لا أعنى سوى الكأس أو الفنجان الذى شرب منه جورج آخر مرة والذى لا يمكن تمييزه عن باقى الكئوس أو الفناجين التى من نفس الشكل.

ولتوضيح الأمر، قمت بعمل تجربة. كان رايس يشرب شاياً بدون سكر، وكان كيمب يشرب شاياً بسكر، وكنت أنا أشرب القهوة، وبالنسبة للشكل كانت السوائل الثلاثة متشابهة إلى حد كبير، وكان ثلاثتنا نجلس إلى طاولة رخامية دائرية صغيرة بين العديد من الطاولات الدائرية المشابهة، وباختراع ذريعة معينة ألححت عليهما أن يأتيا معى ويتركا مقعديهما نحو مدخل المقهى ولقد دفعنا المقاعد إلى الخلف عند قيامنا، وعمدت إلى تحريك الغليون الخاص بكيمب والذى كان بجوار طبقه إلى مكان ملائم بجانب طبقى دون أن أدعه يرانى أقوم بذلك. وحين خرجنا اختلقت عذرا آخر وعدنا إلى أماكننا. كان كيمب فى المقدمة، فجذب المقعد وجلس مقابل الطبق الذى كان مميزاً بالغليون الذى كان قد تركه. وجلس رايس على يمينه كما كان الأمر قبل ذلك وأنا على يساره – لاحظوا ما حدث – إن لدينا متناقضات! لقد كان فنجان رايس يحتوى على السكر وفنجان كيمب يحتوى على القهوة. عبارتان متناقضتان لا يمكن أن يكون أى منهما صحيحاً – ولكنهما كانتا صحيحتين. واللفظ المضلل هنا هو فنجان كيمب. فنجان كيمب حين ترك الطاولة وفنجان كيمب حين عاد إليها لم يكن هو نفس الفنجان.

وهذا يا إيريس ما حدث فى مطعم لوكسمبورج فى تلك الليلة. بعد أن انتهى الاستعراض وذهب الجميع للرقص. سقطت منك الحقيبة ثم التقطها النادل – لكنه

ليس النادل الأساسى؛ لأن النادل الذى كان يقوم على خدمة الطاولة كان يعرف مكان جلوسك – لكنه نادل آخر متعجل قلق. يصرخ به الجميع ويمشى مسرعاً حاملاً طبق الصلصة لأحد العملاء، فتوقف بسرعة لالتقاط الحقيبة ووضعها بالقرب من الطبق – فى الواقع لقد وضعها إلى يسار المكان الذى كنت تجلسين فيه. وكنت أنت وجورج أول من عاد من الرقص، فاتجهت دون تفكير إلى المكان الذى تميز بوجود حقيبتك، تمامًا كما فعل كيمب بالنسبة إلى المكان الذى ميزه وجود الغليون. وجلس جورج فى المكان الذى اعتقد أنه يمينك. وحين اقترح نخب ذكرى روزمارى، شرب من الكأس التى اعتقد أنها الكأس الخاصة به، ولكن فى الواقع كانت هذه كأسك أنت – التى من الممكن أن يوضع فيها السم بسهولة دون الحاجة لخدعة تشرح الأمر؛ لأن الشخص الوحيد الذى لم يشرب بعد الاستعراض كان بالضرورة هو من كان النخب فى صحته!

والآن وبمراجعة الموقف كله مرة أخرى وبعد أن اختلفت الجلسة تماماً نجد أنك كنت الضحية المقصودة، وليس جورج! فيبدو أن جورج استُهدف خطأ. لكن ماذا لو سارت الأحداث كما خطط لها، على أى نحو كان العالم سيرى الحادث؟ مجرد تكرار لحفلة العام الماضى وانتحار مكرر! فالناس ستقول إن هذه العائلة لديها ميول انتحارية! ولفافة السيانيد التى وجدت فى حقيبتك، ستفسر الأمر بوضوح! لقد اكتأبت الفتاة المسكينة لوفاة أختها مما دفعها للانتحار، إنه أمر محزن جداً، لكن أولئك الفتيات الثريات عادة ما يصبن بحالات من العصبية!".

قاطعته إيريس: "ولكن لماذا يريد أى شخص أن يتخلص منى؟ لماذا؟ لماذا؟".

"كل هذه الأموال يا ملاكى. الأموال، الأموال، الأموال! لقد آلت إليك أموال روزمارى بعد موتها، والآن لنفترض أنك مت دون أن تتزوجى، إلى أين تئول هذه الأموال؟ ستئول إلى أقرب أقاربك. إلى عمتك السيدة لوسيلا دراك، الآن وبكل التصورات لايبدو ممكناً أن تكون تلك السيدة قاتلة. لكن هل يوجد هناك شخص

آخر قد يستفيد؟ بالفعل هناك، إنه فيكتور دراك. فلو أن لوسيلا استحوذت على الأموال، فهذا يعنى تماماً كما لو أنها انتقلت لـ فيكتور - وفيكتور يدرك هذا! لقد كان دوماً قادراً على أن يفعل ما يشاء مع أمه، وليس من الصعب تصور فيكتور دراك كقاتل. منذ بداية القضية كانت هناك إشارات لـ فيكتور، وذكر له. فهو بعيد عن مسرح الأحداث. لم يكن أكثر من شخصية شريرة ثانوية".

"لكن فيكتور فى الأرجنتين! لقد كان فى أمريكا الجنوبية لما يقارب العام".

"هل كان هناك بالفعل؟ لقد وصلنا بهذا التساؤل لما يسمى بالعقدة الرئيسية لكل قصة. "أن تقابل الفتاة الشاب!" حين قابل فيكتور، روث ليسينج بدأت قصتهما الخاصة، لقد سيطر عليها. أظن أنها قد شغفت به حباً، فالفتيات الهادئات المطيعات هن أسرع من يسقط بهذه القوة.

فكرى فى الأمر قليلاً. ستلاحظين أن كل الدلائل التى تشير إلى أن فيكتور كان فى أمريكا الجنوبية اعتمدت على كلام روث. فلم يتم التحقق منها؛ لأن الأمر لم يكن جوهرياً أبدا! لقد قالت روث إنها قد رأت فيكتور يغادر على متن الباخرة كريستوبل قبل موت روزمارى! وكانت روث هى التى اقترحت إجراء اتصال ببوينيس آيريس فى نفس يوم موت جورج - بعدها صرفت عاملة الهاتف من العمل والتى كان من الممكن أن تذكر عرضاً أنها لم تقم بالاتصال.

بالطبع كان من السهل التحقق من الأمر الآن! لقد وصل فيكتور دراك إلى بيونيس آيريس على متن قارب غادر إنجلترا بعد موت روزمارى بيوم. ولم يجر أى اتصال هاتفى بين أوجليفى وروث بخصوص فيكتور دراك فى اليوم الذى مات فيه جورج. وقد رحل فيكتور دراك من بيونيس آيريس إلى نيويورك منذ عدة أسابيع. كان من السهل بالنسبة له أن يجهز برقية ترسل باسمه فى ذلك اليوم - واحدة من تلك البرقيات الشهيرة التى يطلب فيها المال ليثبت أنه كان بعيداً بآلاف الأميال.

رغم أنه...".

"نعم، أنطونى، رغم ماذا؟".

قال أنطونى، وهو يصل إلى ذروة القصة بسعادة بالغة: "رغم أنه كان يجلس إلى الطاولة المجاورة لطاولتنا فى مطعم لوكسمبورج مرتدياً شعراً مستعاراً أشقر تماماً!".

"أكان هو ذاك الرجل ذا الشكل المرعب؟".

"ذلك الرجل ذو البشرة الشقراء والعينين المحتقنتين. أشياء سهلة يمكن التنكر بها، ويمكن من خلالها إضفاء الكثير من التغيير على شكل الإنسان. فى الواقع لقد كنت أنا الوحيد من بين الحاضرين فى الحفلة - باستثناء روث - الذى سبق له رؤية فيكتور دراك - لم أكن أعرفه بهذا الاسم! على أية حال كان ظهرى له وأنا جالس. فحين كنا لا نزال فى قاعة الشراب، أظننى ميزت شخصاً أعرفه من أيام السجن - يدعى مونكى كولمان. وباعتبار أننى أحيا الآن حياة محترمة لم أكن قلقاً من تعرفه علىَّ. ولم أكن أظن فى تلك اللحظة أن يكون لـ مونكى كولمان أى علاقة بالجريمة، سوى أن فيكتور دراك ومونكى كولمان كانا اسمين لشخص واحد".

"ولكنى لا أفهم حتى الآن كيف قام بالأمر؟".

تولى الكولونيل رايس سرد بقية الحكاية.

"بأسهل طريقة ممكنة. أثناء الاستعراض مر من جانب الطاولة كى يجرى اتصالاً هاتفياً. لقد كان فيكتور ممثلاً وكان عليه أن يقوم بدور مهم، دور النادل، فإن وضع المساحيق وتقليد دور بيدرو أمر هين جداً لكونه ممثلا، ولكن للتحرك بإتقان حول الطاولة، وبطريقة سير النادل، وطريقته فى ملء كئوس الشراب، والتى تحتاج إلى طريقة وأسلوب معين؛ كل هذا يحتاج لنادل، فأى عمل أخرق قد يؤدى إلى لفت الانتباه له، لكن أحداً منكم لم يلاحظ ذلك النادل المزيف. لقد كنتم

تشاهدون الاستعراض، ولم تهتموا بهذا الجزء التكميلى من المطعم، النادل!".

قالت إيريس بصوت متردد:

"ماذا عن روث؟".

قال أنطونى:

"لقد كانت روث بالتأكيد هى من وضعت لفافة السيانيد فى حقيبتك، وربما حدث ذلك فى غرفة الملابس فى بداية الأمسية وبذات الأسلوب الذى استخدمته منذ عام مع روزمارى".

قالت إيريس: "لطالما وجدت أن من الغريب أن جورج لم يخبر روث بأمر تلك الخطابات، فقد كان يستشيرها فى كافة الأمور".

ضحك أنطونى ضحكة قصيرة.

"بالفعل لقد أخبرها فى البداية. كانت تعرف أنه سيفعل، ولذا كتبتها. بعد ذلك قامت بالترتيب "لخطته" نيابة عنه وتركت له التنفيذ. حيث جهز المسرح لاستقبال حادثة الانتحار رقم اثنين – ولو أن جورج اعتقد أنك قتلت روزمارى ثم انتحرت بسبب شعورك بالذنب أو الفزع ما اختلف الأمر لدى روث!".

"لقد كنت أحبها، لقد أحببتها إلى حد كبير! فى الواقع، لقد تمنيت لو أنها تزوجت جورج".

قال أنطونى: "كان من الممكن أن تكون زوجة صالحة له، لو أنها لم تقابل فيكتور، وإليك هذه القاعدة: كل قاتلة كانت فتاة صالحة يوماً ما".

ارتعشت إيريس: "كل هذا بسبب المال!".

"كم أنت بريئة. إن المال هو أصل كل الشرور! فقد قام فيكتور بما قام به لأجل المال بالأساس، أما روث فجزء من دافعها كان المال وجزء كان فيكتور وجزء أخير، حسب ظنى، لكراهيتها لـ روزمارى. نعم، لقد كانت مستعدة للتمادى للنهاية؛ فهى بالمناسبة من حاولت عامدة أن تصدمك بالسيارة، واستمرت فى سعيها حين تركت لوسيلا فى غرفة الاستقبال وطرقت الباب الأمامى وبعدها صعدت إلى غرفة نومك، كيف كانت تبدو؟ مثارة تمامًا، أليس كذلك؟".

فكرت إيريس.

"لا أظن ذلك. لقد طرقت الباب، ثم دخلت وقالت إن كل شىء قد تم الترتيب له وسألت عما إذا كنت أشعر بتحسن، فقلت لها نعم، إلا إننى أشعر فقط أننى متعبة قليلاً. بعدها التقطت مصباحى الكبير المغطى بالمطاط وقالت إنه مصباح جميل. كان هذا ماحدث وبعده لا أستطيع تذكر أى شىء".

قال أنطونى: "كلا يا عزيزتى، لقد ضربتك ضربة خفيفة خلف رأسك بذلك المصباح. لم تكن ضربة قوية. بعدها وضعتك بطريقة فنية قرب موقد الغاز، وأغلقت النوافذ، وفتحت الموقد، ثم خرجت وأغلقت الباب بالمفتاح ومررت المفتاح من تحت الباب. وحشرت السجادة الصوفية فى الشق السفلى للباب كى تمنع أى تسرب، ثم نزلت بخفة على السلم. لقد دخلت أنا وكيمب إلى الغرفة فى الوقت المناسب. حيث أسرعت أنا إليك وذهب كيمب خلف الآنسة روث ليسينج دون علمنا إلى المكان الذى كانت توقف فيه سيارتها، وكما تعرفين، لقد شعرت بشىء من الشك فى الطريقة التى حاولت بها روث إقناعنا بأنها أتت بالحافلة وقطار الأنفاق!".

ارتعدت إيريس.

"هذا فظيع – كانت عازمة على قتلى بهذا القدر. هل كانت تكرهنى أنا أيضاً؟".

"أوه، لا يجب أن أفكر بهذه الطريقة. لكن الآنسة ليسينج امرأة ماهرة وذات كفاءة عالية. وكانت بالفعل شريكة فى جريمتى قتل ولا يمكن لها أن تخاطر بحياتها من أجل لا شيء. لا شك عندى أن اعتراض لوسيلا دراك على قرارك بالزواج منى كانت حاسمة. فلم يعد هناك وقت لتضيعه. ففى حال زواجنا، أكون أنا أقرب الأقارب بالنسبة لك وليست لوسيلا".

"لوسيلا المسكينة. كم أنا حزينة من أجلها".

"أعتقد أننا جميعاً كذلك. إنها لم تقم بأى فعل شائن. إنها مخلوق طيب للغاية".

"هل فعلاً تم القبض على فيكتور؟".

نظر أنطونى إلى رايس الذى أومأ برأسه ثم قال:

"لقد تم ذلك حين وصل إلى نيويورك".

"هل كان سيتزوج روث بعد ذلك؟".

"لقد كانت تلك فكرة روث، وأعتقد أنها كانت مقتنعة بها".

"أنطونى، لا أظننى أحب أموالى كثيراً".

"حسناً يا حبيبتى. يمكننا القيام بأعمال خير كثيرة بهذه الأموال إن كنت تحبين ذلك. أنا لدىّ المال الذى يكفى لنعيش منه ونحيا حياة رغدة. يمكن أن نتخلص منها كلها لو أردت فنهب المنازل مثلاً للأطفال أو فى توفير دخان خال من التوباكو لكبار السن أو ما رأيك فى حملة من أجل تقديم قهوة أفضل فى كل أنحاء إنجلترا؟".

قالت إيريس: "يجب أن أحتفظ بالقليل. فى حال ما إذا كبرت وقررت هجرك".

"لا أعتقد يا إيريس أن هذه هى الروح التى يجب أن نبدأ بها حياتنا الزوجية، بالمناسبة أنت لم تقولى لى: "يا لها من روعة يا تونى" أو "يا لك من ماهر يا تونى!"".

ابتسم الكولونيل رايس ونهض من مكانه.

قال متعجباً: "أنا ذاهب إلى عائلة فارادای لتناول الشاى"، وقال ل. أنطونى وهو يغمز إليه بطرف عينه: "لا أعتقد أنك سوف تأتى؟".

هز أنطونى رأسه وخرج رايس من الغرفة، وحين وصل إلى الممر توقف وقال دون أن يستدير:

"أداء جيد".

قال أنطونى والباب يغلق من خلفه: "هذا يشير إلى الرضا البريطانى السامى".

سألت إيريس فى صوت هادئ:

"لقد ظن أننى قد ارتكبت هذا الأمر، أليس كذلك؟".

قال أنطونى: "لا يجب أن تأخذى عليه هذا".

"نعم، أتفهم ذلك. فلقد عرف العديد من الجواسيس الجميلات، هؤلاء اللاتى يسرقن الوصفات الطبية السرية ويتملقن لاستخلاص الأسرار من الجنرالات. هذا هو سبب طبيعته تلك وتلك هى الطريقة التى يصدر بها أحكامه. فهو يعتقد دوماً أن تلك الفتاة الجميلة لابد أن تكون متورطة".

توقفت برهة ثم سألت:

"لماذا آمنت يا تونى بأننى لم أرتكب تلك الجريمة؟".

قال أنطونى بطريقة لطيفة: "أعتقد أنه الحب ليس إلا".

ثم تغير وجهه، وأصبح جاداً فجأة، ولمس زهرية صغيرة بجانب إيريس ذات لون أخضر رمادى وبها وردة بنفسجية.

"ما الذى تفعله هذه الوردة فى هذا الوقت من العام؟".

"إنه أمر محتمل فهى وردة قد تنبت إذا كان الخريف لطيفاً".

التقطها أنطونى من الزجاج وأمسكها للحظة أمام خده، وأغمض عينيه نصف إغماضة فرأى شعراً كستنائياً كثيفاً، وعينين زرقاوين باسمتين وفماً أحمر ملتهباً...

ثم قال وكأنه يخاطب أحداً:

"لم يعد لها وجود فى الجوار الآن، أليس كذلك؟".

"من تقصد؟".

"أنت تعرفين من أقصده، إنها روزمارى... أعتقد أنها كانت تعرف يا إيريس أنك فى خطر".

ولمس تلك الوردة ذات العبير الجميل بشفتيه وألقاها برفق من النافذة.

"الوداع يا روزمارى، شكراً لك...".

قالت إيريس برقة:

"للذكرى...".

وبطريقة أكثر رفق:

"أدعو الله أن تبقى ذكرى الحب...".

أجاثا كريستي Agatha Christie

السيانيد الساطع

فراسة لا تبارى في داخل النفس البشرية
ـــ الملحق الأدبي لصحيفة تايمز

يلتف ستة أشخاص حول مائدة عامرة تسع لسبعة أفراد. وأمام المكان الخالي كان هناك فرع من نبات إكليل الجبل (الروزماري) – «الروزماري يخلد الذكرى». فقد انتاب الجميع شعور غريب بأنه ما من أحد سينسى تلك الليلة، التي مضى عليها عام كامل، حينما توفيت روزماري بارتون – ذات الوجه الصبوح الذي تغيرت معالمه تماماً بسبب التشنجات الناتجة عن الألم والرعب – على نفس المائدة.

ولكن منذ ذلك الحين أصبحت ذكرى روزماري عالقة في أذهان الجميع لا تبارحها أبداً – لقد كان بوسعها إثارة عاطفة قوية في نفوس معظم من قابلتهم. وفي إحدى الحالات كانت تلك العاطفة قوية بالقدر الذي يدفع أحدهم للقتل...

«لا شك أن الكشف عن هوية الجاني سيفاجىء تسع قراء من كل عشرة». ـــ نيويورك تايمز



صدر أيضًا:

الرجل ذو السترة البنية
أوراق اللعب على الطاولة
موت على ضفاف النيل
جريمة من ثلاثة فصول



